

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



تَكَوِينُ كَرَمِ

الْمَرْوُوفِ بْنِ أَبِي حَبِشَةَ الْهَمْدَانِيِّ

أَبْلَاةٌ

الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقُ

مُتَعَمِّدٌ عَلَى مَقَالِدِ الْحَقِّ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْقِسْمُ الثَّانِي ١٤٨ هـ

بَعْدَ

الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ

الْمُرْتَبِطِ بِالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ

وَبَدَائِلِهِ

شُرُوحٌ وَعَلَيَّاتُ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ

(١٣٧ - ١١١٠ هـ)

مَجْمُوعٌ

أَبْنَوْهُ قَسِيمُ الْبَصَائِرِ





إجازتان من العلامة محمد باقر المجلسي رحمه الله... بخطه الشريف

حبيب الله بن حسن علي الإصفهاني على ظهر نسختين

من كتاب «بحار الأنوار» في مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله... بقم - رقم ٥٧٨

و هامش صفحة من المجلد السادس من الكتاب المذكور

عند الميرزا نصر الله الشبستري بطهران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مَنْ سَلَكَ سَبِيلَ صَالِحٍ جَاءَ إِلَى الْوَالِدِ



تَكَافُفٌ

لِلْمُرُوفِ يُرِيقُ حَيْدَ الْهَيْفَتَيْنِ

إِبْرَاهِيمَ

الإمام أبو عبد الله الصَّادِقُ

جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام

السنة ١٤٨ هـ

عَلَى

أبي محمد الحسن بن محمد بن علي بن أبي

الموفق في الأمل القراني

وَبَدَيْلِهِ

شُرُوحٌ وَقَلِيْقَاتُ الْعَلَامَةِ الْمَجْلِسِيِّ

(١٠٣٧ - ١١١٠ هـ)

مُعَدِّدٌ

أَبُو بَكْرٍ الْوَلِيدُ

مَكْتَبَةُ الْعِلْمِ وَالْحَقِيقَةِ

▼ کتاب فکّر المعروف بـ توحيد المفضل

المفضل بن عمر الجعفي

تحقيق: قيس المطار

منشورات دليل ما

الطبعة الأولى: ١٤٢٧ هـ - ١٣٨٥ ش.هـ.

طبع في ٢٠٠٠ نسخة

المطبعة: نگارش

السر مجلداً ١٠٠٠٠ توماناً

ردمك: ٧-٢٠٩-٣٩٧-٩٦٤ ISBN

ایران، قم، شارع معلم، بنایة الناشرين، الطابق السادس، رقم ٦١٣-٦١٢

هاتف و فکس: ٣٧٧٣٣٤١٣، ٣٧٧٤٤٩٨٨ (+٩٨٢٥)

صندوق البريد: ١١٥٣ - ٣٧١٣٥

www.Dalilema.ir

Dalilema@yahoo.com



منشورات دليل ما

مراكز التوزيع

- ١) قم، شارع معلم، بنایة الناشرين، الطابق الأرضي، رقم ٩، منشورات دليل ما، الهاتف ٣٧٨٤٢٤٦٦
- ٢) قم، شارع صفائیه، مقابل زقاق رقم ٣٨، منشورات دليل ما، الهاتف ٣٧٧٣٧٠١١ - ٣٧٧٣٧٠٠١
- ٣) طهران، شارع إنقلاب، شارع الفخر الرازي، رقم ٦١، الهاتف ٦٦٤٦٤١٤١
- ٤) مشهد، شارع الشهداء، شمالي حديقه نادري، زقاق خوراكيان، بنایة گنجینه الكتاب، الطابق الأول، منشورات دليل ما، الهاتف ٥ - ٢٢٣٧١١٣
- ٥) النجف الأشرف، سوق الحويش، مقابل جامع الهندي، مكتبة الامام باقر العلوم عليه السلام، الهاتف ٠٧٨٠١٢٦٣٥٧٩
- ٦) كربلاء المقدسة، شارع قبله الإمام الحسين عليه السلام، مكتبة ابن فهد الحلبي عليه السلام، الهاتف ٠٧٨٠١٥٨٨١٧ - ٠٧٨٠١٥٥٨٩٤٢

مفضل بن عمر، قرن ٢ ق

[توحيد مفضل]

کتاب فکّر المعروف بـ توحيد المفضل / المفضل بن عمر الجعفي ؛ تحقيق قيس المطار. - قم: دليل ما، ١٣٨٥.

٢٣٠ ص.

ISBN 964 - 397 - 209 - 7

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیما.

مطالب این کتاب را حضرت امام صادق علیه السلام بر منخل املاء نمود، است.

١. خدا - آیتات. ٢. خداشناسی، الف. جعفر بن محمد علیه السلام، امام ششم، ٨٠ - ١٤٨ ق. ب. عطار، قیس، محقق، ج. عنوان، د.

عنوان: توحيد المفضل.

٢٩٧ / ٤٢

٩٧٢ / ٢١٧ BP

١٣٨٥

٨٥ - ١٨٥٩٨

کتابخانه ملی ایران

الاهداء

وَفَّقَنِي اللَّهُ لِاتِّمَامِهِ
وَحِينَا أَكْمَلَ أَهْدِيَّتُهُ

مُحَقِّقًا بِشَكْلِهِ الرَّائِقِ
إِلَى إِمَامِي جَعْفَرٍ الصَّادِقِ

قيس العطار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين،
واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.
وبعد، فإنَّ أشرف العلوم قدراً وأرفعاً شأنًا وخطراً هو العلم بالمعارف الإلهية
والأصول الاعتقادية، وهو الذي يتكفّل به علم الكلام، وهذا العلم هو أشرف
العلوم؛ لأنَّ شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلوم العلم الإلهي هو أشرف
الموجودات، فكان هو أشرف العلوم.

وقد صدع الأنبياء الكرام وبلغوا وحاججوا بأخصر الطرق وأوضحها وأدقها،
فأسسوا أسس علم الكلام منذ بدء الخليقة، فكان احتجاج هايل على قايل،
واحتجاج نوح عليه السلام على قومه، وإبراهيم عليه السلام على عبدة التّجّوم، وموسى عليه السلام على
السّحرة، وعيسى عليه السلام على أهل الطبّ، ورسول الله محمد عليه السلام على الكفّار والمشرّكين
والمنافيق وأدباء العرب وغيرهم، فكان الأنبياء عليهم السلام هم أصحاب الحجج

الواضحة و الأدلة الدامغة ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ (١).

و حين انتشر الإسلام - كثرة طيبة لجهود الرسالات و النبوات، و كنتاج طبيعي لمنطق الرسول الأكرم ﷺ و جهوده و مجادلاته لمختلف المشارب و المسارب بالتي هي أحسن - أخذت الأمم تعتنق الدين الجديد و تفكر بالمنطق الإلهي طبق المعطيات الجديدة، و كان النبي محمد ﷺ يزج كل الشكوك و الشبهات الطارئة، و كل ما لعله يندح في أذهان معتنقي الدين الجديد، ناهيك عن محاججاته للكفار و اليهود و النَّصارى.

و كانت مسألة التوحيد من أهم - بل أهم - ما يجري حوله البحث و النقاش و المسائلة، فلذلك نزلت سورة الإخلاص في التوحيد، و لذلك سُميت هذه السورة المباركة نِشْبَةَ الرَّبِّ.

فمن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: انْصِبْ لَنَا رَبِّكَ، فَلَبِثَ ثَلَاثًا لَا يَجِيبُهُمْ، ثُمَّ نَزَلَتْ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» (٢) ...

قال المازندراني: و فيها من جوامع التوحيد ما تعجز عنه عقول العارفين، و من لوازم التنزيه ما يتحير فيه فحول السالكين، فقد كتب العلماء و دوّن الفضلاء شيئاً جميلاً من حقائقها، و أمراً جزيلاً من دقائقها، و لم يجدوا مع ذلك معشار ما فيها، فن تمسك بها و تفكر فيها فقد رشد، و من أعرض عنها و قال بخلافها فهلك و قد فسد (٣).

(١) الأنعام: ١٤٩.

(٢) الكافي ١: ٩١/ ح ١، التوحيد للصدوق: ٩٣/ ح ٨.

(٣) شرح أصول الكافي ٣: ١٣٧.

و عنه عليه السلام: «قل هو الله أحد» نسبة الربّ عزوجل^(١).

و عنه عليه السلام: لما نزلت «قل هو الله أحد» خلق الله لها أربعة آلاف جناح، فما كانت تمرّ بلاءً من الملائكة إلّا خشعوا لها وقالوا: هذه نسبة الربّ تبارك وتعالى^(٢).
و روى الكليني بسنده عن عبدالعزيز بن المهدي، قال: سألت الرضا عليه السلام عن التوحيد، فقال عليه السلام: كلّ من قرأ «قل هو الله أحد» وآمنَ بها فقد عرف التوحيد^(٣).
فكان التوحيدُ عمدةً مسائل علم الكلام التي أكّد عليها الله عزوجل ورسوله عليه السلام، وكانت كلمة «لا إله إلّا الله» الكلمة الأولى التي صدع بها الرسول وكانت تحوي جوامع الكلم وكلّ التوحيد لمن فهمها^(٤).

و بعد وفاة رسول الله عليه السلام و توتّب الغاصبين على أكتاف آل محمد عليه السلام راح أمير المؤمنين و فاطمة الزهراء عليهما السلام يفتقان أحكام أصول علم الكلام و يبيّنان للبشرية معنى الدليل و معنى الحجّة و معنى الحقّ المهتضم، تلك الأصول التي ظلت إلى اليوم قمّاً شامخة ترتادها الأجيال طيلة العصور، رغم حرص الحكومات الظالمة وقياداتها اللامرعية على طمس معالمها و تضييع آثارها و مآثرها.

و لما استتبّ لهم الأمور، و أخذت تتوسّع الفتوحات بلا نظام فكريّ متين، و توافدت الأمم لاعتناق الإسلام أكثر فأكثر، بانّ العجز الفكري بشكل فاضح عند

(١) الفقيه ١: ٤٧٠ / ح ١٣٥٣، التهذيب ٢: ١١٦ / ح ٤٣٧.

(٢) الخرائج و الجرائع ٢: ٦٨٦ / ح ٦.

(٣) الكافي ١: ٩١ / ح ٤.

(٤) و لذلك قال الإمام الرضا عليه السلام: بشروطها و أنا من شروطها، بعد أن روى عن جده رسول الله عليه السلام، عن جبرئيل عليه السلام، عن الله عزوجل: كلمة لا إله إلّا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي.

الشيخين، خصوصاً في مناظراتهم لليهود والنصارى و من كانت في أذهانهم شبهات يريدون لها حلولاً، حتى كان الصحابة يضطرون للاستجداء بعلم أمير المؤمنين عليه السلام للحفاظ على وجه الإسلام الناصع، و لحلّ ما يستعصي عليهم من مبهمات الأمور، حتى اضطرّ عمر للاعتراف بهذه الحقيقة المرة على قلبه قائلاً «لولا عليّ هلك عمر» و «لولاك هلكنا» و «معضلة ليس لها أبو الحسن».

و هكذا كان الحكم السياسي بيد الفاضلين، و مجرى التاريخ العلمي بيد أمير المؤمنين عليه السلام، الذي كان و ما يزال و سيبقى تتجاذبه كلّ المدارس العلمية محاولةً التقرب إليه و التزلف إلى مدرسته العظمى، خصوصاً بعد أن بانّت ملكاته الإلهية و تجلّت حتى لمن جهلوه و أبغضوه عند استلامه أزمّة الخلافة الفعلية، و طار صيته في الآفاق حتى كان اليهود والنصارى و المنافقون و الطارئون يعتقدون أنه الملجأ الوحيد و النّدّ الفريد في المساجلات العلمية، و خصوصاً في علم التوحيد الذي هو أشرف العلوم و أعقدها.

فقد اجتمعت اليهود إلى رأس الجالوت فقالوا: إنّ هذا الرّجل عالمٌ - يعنون علي ابن أبي طالب عليه السلام - فانطلق بنا إليه نسأله، فأتوه ... فقال له رأس الجالوت: يا أمير المؤمنين، جئنا نسألك، قال عليه السلام: سل يا يهودي عما بدا لك، قال: أسألك عن ربّنا متى كان؟ فقال عليه السلام: كان بلا كيونة، كان لم يزل بلا كمّ و لا كيف، كان ليس له قبل، هو قبل، هو بلا قبل و لا غاية و لا منتهى غاية و لا غاية إليها، انقطعت عنه الغايات فهو غاية كلّ غاية (١) ...

و من خطبة له عليه السلام في التوحيد - قال في حقّها الشريف الرضي أنّها تجمع من

أصول العلم ما لا تجمعها خطبة - : ما وحده من كيْفُهُ، ولا حقيقتُهُ أصابَ من مثْلِهِ، ولا إتياءه عنى من شَبْهِهِ، ولا صمَدُهُ من أشار إليه وتوَهَّمَهُ، كلُّ معروفٍ بنفسه مصنوعٌ، وكلُّ قائمٍ في سواه معلولٌ ... لا يجري عليه الشُّكُونُ والحركة، وكيف يجري عليه ما هو أجراه، ويعود فيه ما هو أبداه، ويحدث فيه ما هو أحدثه، إذا لتفاوتت ذاته، ولتجزأ كُنْهُهُ، ولا تمتنع من الأزل معناه، ولكان له وراءُ إذ وُجِدَ له أمامٌ، ولا تمس التمام إذ لزمه النقصانُ، وإذا لقامت آية المصنوع فيه، ولتحول دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه ... ولا يوصف بشيءٍ من الأجزاء ولا بالجوارح والأعضاء، ولا بعرضٍ من الأعراض، ولا بالغيرية والأبعاد، ولا يقال له حدٌ ولا نهاية، ولا انقطاع ولا غاية (١) ...

ومن خطبة له ﷺ أيضاً: الحمد لله الدالّ على وجوده بخلقه، وبمحدث خلقه على أزليّته، وباشتباهم على أن لا شبه له، لا تستلمه المشاعر، ولا تحجبه السواتر: لافتراق الصانع والمصنوع، والحادث والمحدود، والربّ والمربوب، الأحد لا بتأويل عدد، والمخالق لا بمعنى حركةٍ ونَصَب ... مَنْ وصفه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزلّه، ومن قال: كيف؟ فقد استوصفه، ومن قال: أين؟ فقد حيزه (٢) ...

ولو أردنا استقصاء عشر معشار كلمات أمير المؤمنين ﷺ في التوحيد لاحتجنا إلى جهد جهيد، لكن يكفينا قول الشريف الرضي في مقدمة نهج البلاغة: و رأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بـ«نهج البلاغة»، إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها، ويُقَرَّب

(١) نهج البلاغة ٢: ١١٩ - ١٢٥ / الخطبة ١٨٦.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٣٩ / الخطبة ١٥٢.

عليه طلائها، فيه حاجة العالم والمتعلم، وبُغيةً البليغ والزاهد، ويمضي في أثنائه من الكلام في التوحيد والعدل وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شبه الخلق، ما هو بلبالٍ كُلُّ غَلَّةٍ و جلاء كُلِّ شبهة^(١).

و تابع الإمامان الحسنان عليهما السلام نهج الأنبياء ونهج جدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيهما أمير المؤمنين عليه السلام، فأرشدا التائبين، وهديا الضالّين، وأكّدا على تبيين مفاهيم التوحيد ودقائق مسائله، وحسبُ المرء أن يقرأ مناجاة الإمام الحسين عليه السلام لرَبِّه قبيل شهادته بلحظات ليقف على معاني التوحيد ومغازيه ومراميه^(٢).

وبعد استبّاب الأمور لمعاوية والأمويين ومن بعدهم للعباسيين كان الشك والكفر والإلحاد والزندقة والمناوية و... كلّها تزحف زحفاً وتدبّ ديباً وتنخر في جسم الأمة الإسلامية، فظهر التشبيه والتجسيم والجبر وغير ذلك من الأفكار المريضة، واستفحل الأمر وتطوّر بشكل كبير في العصر العباسي، فتعدّدت المذاهب العقلية والفلسفية في القرنين الثاني والثالث، فلذلك نرى في هذين القرنين تكثيف الأئمة عليهم السلام وأصحابهم الجهود الكبيرة، فبدلوها سخية للوقوف دون انحراف الأفكار والعقائد والفقه والتاريخ والسيرة وعلى كافّة الأصعدة.

وفيما نحن فيه نرى دعاء الإمام السّجاد عليه السلام في التوحيد: إلهي بدت قدرتك ولم تبد هبة جلالك فجهلوك، وقدّروك بالتقدير على غير ما أنت به، شبهوك وأنا بريء يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك، ليس كمتلك شيء إلهي ولم يدركوك، وظاهر ما بهم من نعمة دليلهم عليك لو عرفوك، وفي خلقك يا إلهي مندوحة عن أن

(١) آخر خطبة الكتاب.

(٢) انظر مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ٢٨٢ - ٢٨٣.

ينالوك، بل ساووك بخلقك فمن تَمَّ لم يعرفوك، واتَّخذوا بعض آياتك ربّاً، فبذلك وصفوك، فتعاليت يا إلهي عما به المشبهون نَعَتُوك^(١).

وعن عبدالرحمن بن أبي نجران، قال: سألتُ أبا جعفر^(ع) عن التوحيد، فقلتُ: أَتَوَهُمُ شيئاً؟ فقال: نعم، غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، لا يشبهه شيء، ولا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يُعقل وخلاف ما يُتَصَوَّرُ في الأوهام؟ إنما يتوهم شيء غير معقول ولا محدود^(٢).
وقال^(ع): إِنَّ اللَّهَ - تباركت أسماؤه التي يُدعى بها وتعالى في علوِّ كُنْهه - أَحَدٌ، تَوَحَّدَ بِالتَّوَحُّدِ في تَوْحُّده، ثمَّ أجراه على خلقه، فهو أَحَدٌ صَمَدٌ قُدُّوسٌ، يعبدُه كلُّ شيءٍ ويصمِدُ إليه^(٣)...

وفي زمان الإمام الصادق^(ع) كانت ذروة التصدي، حيث أخذ كلٌّ من هَبٍّ ودَبٍّ يدلي بدلوه ويُنظِّرُ ويُدرِّسُ كلٌّ ما يحلُّه، فضاع على الناس الصواب إلّا ما كان عند أهل البيت^(ع)، فلذلك قال يونس بن يعقوب للإمام الصادق^(ع): جُعِلْتُ فداك، إنِّي سمعتك تنهى عن الكلام وتقول: ويل لأصحاب الكلام... فقال الإمام^(ع): إنما قلت: فويل لهم إن تركوا ما أقول وذهبوا إلى ما يريدون^(٤).

قال المازندراني: إِنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ عِلْمٌ غَامِضٌ لَا يُدْرِكُ حَقِيقَتَهُ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَمَنْ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْخَطَا، وَآمَنَ غَيْرُهُمْ وَإِنْ بَالَعُوا فَهُمْ بَعْدُ فِي مَقَامٍ يَحْتَمِلُ الْخَطَا وَالضَّلَال، إذ ليس المعصوم إلّا من عصمه الله، وبالجملة: أهل الكلام يجب أن

(١) الصحيفة السجادية: ٢٢ / دعاؤه^(ع) في التوحيد.

(٢) الكافي ١: ٨٢ / ح ١.

(٣) المحاسن للبرقي ١: ٢٤١ / ح ٢٢٦.

(٤) الكافي ١: ١٧١ / ح ٤.

يكون معصوماً أو من يسمع من المعصوم، وقول الصادق عليه السلام صريح في ذلك^(١).
ولذلك نرى في هذه الفترة نجوماً لامعة من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام مثل هشام ابن الحكم والمفضل بن عمر ومؤمن الطاق وغيرهم من عمالقة الفكر، ومن ثم نرى امتداد هذا الفكر الشاخص حتى اليوم وهو يفند مدرستي الأشاعرة والمعتزلة، ويقف بكل كبرياء ليحطم معتقدات المانوية والمزدكية والثنوية والزرادشتية، مضافاً إلى أباطيل الزنادقة والملحدين والمشككين وتيارات الانحراف.

وفي هذا المضمار نلاحظ كثرة المؤلفات في التوحيد، إما على نحو المؤلفات المستقلة، أو في ضمن مواضيع وكتب أخرى، وما أُلّف في التوحيد حمل أسامي وعناوين كثيرة ليس هذا محل استقصائها، غير أننا نذكر هنا ما حمل منها اسم «التوحيد» وأُلّف مستقلاً في هذا المجال، لنقف على أهمية كتاب توحيد المفضل وموقعه في الفكر البشري عموماً والإسلامي خصوصاً والشيعي الإمامي على الأخص، والكتب هي:

١ - التوحيد: للمفضل بن عمر الجعفي الكوفي، وهو كتاب «فكر» الذي ذكره النجاشي، وهو هذا الكتاب المائل بين يديك.

٢ - التوحيد: لشيخ متكلمي الشيعة أبي محمد هشام بن الحكم الكوفي، الذي كان حياً سنة ١٩٩ هـ.

٣ - التوحيد: لأبي جعفر محمد بن خليل السكاك البغدادي، تلميذ هشام بن الحكم.

٤ - التوحيد: لأبي أحمد محمد بن أبي عمير زياد بن عيسى الأزدي، المتوفى سنة

٢١٧ هـ، وقد لقي الامام الكاظم عليه السلام وروى عن الإمام الرضا عليه السلام.

٥- التوحيد: للضحاك أبي مالك الحضرمي الكوفي العربي، رواه علي بن الحسن ابن محمد الطاطري الذي هو في طبقة الحسن بن علي بن فضال المتوفى سنة ٢٢٤ هـ. أدرك الضحاك الإمام الصادق عليه السلام، وروى عن الإمام الكاظم عليه السلام، وهو من الواقفية. يروي عنه النجاشي بأربع وسائط.

٦- التوحيد: لأبي الحسن علي بن الحسن بن محمد الطاطري الواقفي، يروي عنه النجاشي بثلاث وسائط.

٧- التوحيد و العدل الكبير، و التوحيد و العدل الصغير: لأبي محمد القاسم بن إبراهيم طباطبا، المعروف بالقاسم الرسي، المتوفى متخفياً سنة ٢٤٦ هـ عن سبع وسبعين سنة.

٨- التوحيد: لأبي سعيد سهل بن زياد الآدمي الرازي، كان حياً سنة ٢٥٥ هـ، و هو من أصحاب الأئمة: الجواد و الهادي و العسكري عليه السلام، و كتب إلى الإمام العسكري عليه السلام.

٩- التوحيد من كتب الله الأربعة المنزلة: لأبي محمد الفضل بن شاذان بن الخليل الأزدي النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦٠ هـ، من أصحاب الأئمة: الجواد و الهادي و العسكري عليه السلام.

١٠- التوحيد: لأبي جعفر محمد بن الحسين بن أبي الخطّاب الزيّات الهمداني، المتوفى سنة ٢٦٢ هـ، من أصحاب الأئمة: الجواد و الهادي و العسكري عليه السلام.

١١- التوحيد: لشيخ القميين أبي جعفر أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري القمي، صحب من الأئمة الرضا و الجواد و الهادي عليه السلام، يرويه عنه النجاشي بثلاث وسائط،

و هو الذي أخرج أحمد بن محمد بن خالد البرقي من قم، و البرقي توفي سنة ٢٧٠ هـ أو ٢٧٤ هـ.

١٢ - التوحيد: لمحمد بن إسماعيل بن أحمد بن بشير البرمكي، المعروف بصاحب الصومعة، يروي بواسطة واحدة عن الإمام الهادي عليه السلام المستشهد سنة ٢٥٤ هـ، وكان في زمان السفراء الأربعة، يروي عنه محمد بن جعفر الأسدي الكوفي المتوفى سنة ٣١٢ هـ. يرويه عنه النجاشي بثلاث وسائط. فهو من رواة أواخر القرن الثالث.

١٣ - التوحيد و الشرك: لأبي الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، من مشايخ الكليني المتوفى سنة ٣٢٨ هـ. فهو من رواة أواخر القرن الثالث و أوائل القرن الرابع.

١٤ - التوحيد الكبير و التوحيد الصغير: لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي، قبل الثلاثمائة و بعدها، توفي حدود سنة ٣١٠ هـ.

١٥ - التوحيد: لأبي سهل إسماعيل بن علي بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت، المتوفى سنة ٣١١ هـ، من الفائزين بلقاء الحجة عجل الله فرجه.

١٦ - التوحيد: لأبي عبدالله الحسين بن عبيد الله بن سهل السعدي، يروي السعدي عن الحسن بن علي السجادة من أصحاب الإمامين الجواد و الهادي عليهما السلام. يروي النجاشي جميع كتبه عنه بثلاث وسائط.

١٧ - التوحيد: لأبي محمد إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن هلال المخزومي، كان حيّا سنة ٢٩٨ هـ، و ربّما يكون هو المذكور في كتب العامة المتوفى سنة ٣٠١ هـ. و هو من مشايخ علي بن أحمد العقيقي المعاصر للصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هـ. رواه عنه النجاشي بواسطتين.

١٨ - التوحيد: للشريف أبي يعلى حمزة بن القاسم بن علي بن حمزة بن الحسن بن

عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام العلويّ العباسي، الثقة الجليل، من رجال أوائل المائة الرابعة، يروي عن سعد بن عبدالله الأشعري المتوفى سنة ٣٠١ هـ، ويروي عنه هارون بن موسى التلعكبري المتوفى سنة ٣٨٥ هـ.

١٩ - التوحيد: لأبي النضر محمد بن مسعود العياشي السلمي السمرقندي، صاحب تفسير العياشي، المتوفى نحو سنة ٣٢٠ هـ.

٢٠ - التوحيد: لوالد الشيخ الصدوق، الشيخ أبي الحسن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، المتوفى سنة ٣٢٩ هـ.

٢١ - التوحيد والإيمان: لأبي الفضل محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليم الجعفي الكوفي المعروف بالصابوني، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام، وأدرك الغيبتين الصغرى والكبرى، والكبرى وقعت سنة ٣٢٩ هـ. يروي عنه بلا واسطة ابن قولويه المتوفى سنة ٣٦٨ هـ.

٢٢ - التوحيد: لأبي عبدالله الكاتب، الحسين بن القاسم بن محمد بن أيوب بن شمون. يرويه النجاشي بسنده إلى أبي طالب الأنباري المتوفى سنة ٣٥٦ هـ، عنه.

٢٣ - التوحيد والمعرفة: لأبي الحسن علي بن أبي سهل حاتم بن أبي حاتم الفزويني، كان حياً سنة ٣٥٠ هـ، وسمع منه التلعكبري إلى ما بعد سنة ٣٢٦ هـ. يرويه عنه أبو عبدالله بن شاذان الذي هو من مشايخ النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ.

٢٤ - التوحيد: للشريف أبي القاسم علي بن أحمد العلوي الكوفي المتوفى سنة ٣٥٢ هـ.

٢٥ - التوحيد والعدل والإمامة: لأبي طالب عبيد الله بن أبي زيد أحمد الأنباري، المتوفى سنة ٣٥٦ هـ.

٢٦- التوحيد: للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المتوفى سنة ٣٨١ هـ.

٢٧- التوحيد و نفي التشبيه: للشيخ أبي عبدالله الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، أخ الشيخ الصدوق، و المتوفى بعد أخيه الشيخ الصدوق.

٢٨- التوحيد و نفي التحديد: للإمام المنصور بالله، أبي الحسين القاسم بن علي العياني، المتوفى سنة ٣٩٣ هـ بقرية عيان.

٢٩- التوحيد و سائر أبوابه: للشيخ أبي محمد يحيى بن أبي الحسين محمد الزاهد العلوي النيسابوري من بني زبارة، لقي الشيخ الطوسي كثيراً ممن لقوه وقرأوا عليه، فهو من طبقة السيد المرتضى و سائر و أبي يعلى الجعفري.

٣٠- التوحيد: لأبي سلمة البكري، عليم بن محمد الشاشي، حكاه النجاشي، وقال: لم يُخبرني عنه أحد من أصحابنا أنه رآه، غير أنه ذكر في الفهرستات.

و من خلال هذا الاستعراض السريع للكتب المؤلفة في التوحيد، يبرز توحيد المفضل في صدر القائمة، مما يؤكد ما قلناه من أن التشويش و الخلط و التشويه لمفهوم التوحيد كان قد وصل إلى درجة كبيرة في عصر الإمام الصادق عليه السلام، خصوصاً و أن الأمويين و العباسيين كانوا يروجون للأفكار المعادية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، و للأفكار التي تخدمهم كالجبر و أن كل ما يقع فهو من الله، و كالتجسيم و حط مرتبة البارئ تعالى، و غير ذلك، و انجرت تشكيكاتهم حتى طالت النبوة التي هي فرع التوحيد، فزعموا غلط النبي صلى الله عليه و آله و سهوه، و أنه غير معصوم مطلقاً، و أنه يناله السحر، و و... ليبرر الحكم لأنفسهم و يبرر لهم و عاظمهم أغاليطهم و فضائحتهم، بمزعة أن كل إنسان خطأ و أنه ليس هناك معصوم!!!

ولذلك نرى ابن أبي العوجاء وصاحبه ينالان من النبي ﷺ بمحضر المفضل بن عمر، فيزعم صاحب ابن أبي العوجاء أن النبي ﷺ فيلسوف استطاع أن يسخر الناس بعقله، ثم قرّن اسمه باسم الربّ في الأذان!! وجزّأ ابن أبي العوجاء الشكّ والإلحاد إلى أصل وجود الخالق سبحانه وتعالى، زاعماً أن الكون وجد بلا خالق ولا صانع، وأنه متكوّن من ذاته، وأن الأشياء لا صنعة فيها ولا تقدير.

ولما سمع المفضل بن عمر كلامهما راح يردّهما منفعلاً، فأجاباه بأن الإمام الصادق عليه السلام كان يسمع الشبهات ويحجب عنها بكلّ متانة وتأنٍّ وبقوة الحجّة، وهذا يؤكّد بشكل قاطع مدى اهتمام الإمام عليه السلام بعلم التوحيد بشكل خاصّ، واستمراره عليه السلام في دفع شبهات المشبّهين وتشكيكات المشكّكين، وتخريصات الدهريّين والزنادقة وسائر المنحرفين.

وهناك لجأ المفضل إلى الإمام الصادق عليه السلام ليملي عليه مجالس في التوحيد تمثّل قبة الفكر الإسلامي الصحيح، ومثل هذا الكتاب الرائع كان كتاب الإهليلجة الذي كتبه الإمام الصادق عليه السلام للمفضل بن عمر أيضاً في نفس المجال، أعني في التوحيد.

كتاب فُكْرُ المعروف بالتوحيد

قال النجاشي في ترجمة المفضل بن عمر: وله كتاب يوم وليلة، وكتاب فُكْرُ؛ كتاب في بدء الخلق والحثّ على الاعتبار، وصية المفضل، كتاب علل الشرائع^(١)... قال العلامة المجلسي عليه السلام: قال النجاشي في ترجمة المفضل: «وله كتاب فُكْرُ كتاب

في بدء الخلق والحث على الاعتبار»، ولعلّه إشارة إلى التوحيد^(١).

وقال أيضاً: وعدّ النجاشي من كتبه كتاب الفكر ... ولعلّ المراد منه هو كتاب توحيده هذا^(٢).

ونقل السيد الخوئي رحمه الله عبارة النجاشي فيها: «وكتاب فِكر»، ثم قال: أقول: هو المعروف بتوحيد المفضل^(٣).

وقال مرّة أخرى: ويكفي في جلالة المفضل تخصيص الإمام الصادق عليه السلام بإياه بكتابه المعروف بتوحيد المفضل، وهو الذي سمّاه النجاشي بكتاب فِكر^(٤).

وقال الاغا بزرك الطهراني: التوحيد لأبي عبدالله أو أبي محمد مفضل بن عمر الجعفي الكوفي ... عبّر عنه النجاشي بكتاب فِكر^(٥).

وإنما سُمّي بكتاب فِكر، لأنّ الإمام الصادق عليه السلام أكثر فيه من قوله «فِكر يا مفضل»، وعرف بتوحيد المفضل لأنّ موضوع الكتاب هو التوحيد وقد أملاه الإمام عليه السلام على المفضل.

وهذا الكتاب هو من عيون ما وصلنا من الكتب في علم التوحيد، وإذا كان هناك كلام في سنده أو في تمامية سنده، فلا كلام في أنّه يحوي عيون المطالب الحقّة في التوحيد، مطابقاً لما ورد عن أهل البيت عليهم السلام، مؤيّدَةً بالدليل العقلي السليم، ولذلك أطراه العلماء وجعلوه محلّ عنايتهم ومحطّ أنظارهم، وأفادوا منه كثيراً في بحوثهم وكتبهم.

(١) بحار الأنوار ١: ٣٢.

(٢) بحار الأنوار ٣: ٥٦.

(٣) معجم رجال الحديث ١٩: ٣١٧.

(٤) معجم الرجال الحديث ١٩: ٣٢٩.

(٥) الذريعة ٤: ٤٨٢.

قال السيد ابن طاووس: و يصحب [المسافر] معه كتاب المفضل بن عمر الذي رواه عن الصادق عليه السلام في معرفة وجوه الحكمة في إنشاء العالم السفلي وإظهار أسرارهِ، فإنّه عجيب في معناه^(١).

و قال في كشف المحجّة مُوصياً ولده محمّداً، فانظر في كتاب نهج البلاغة و ما فيه من الأسرار، و انظر كتاب المفضل بن عمر الذي أملاه عليه مولانا الصادق عليه السلام فيما خلق الله جلّ جلاله من الآثار^(٢).

و قال العلامة المجلسي عليه السلام: و لنذكر بعد ذلك توحيد المفضل بن عمر، و رسالة الإلهيلجة المرويتين عن الصادق عليه السلام، لاشتغالهما على دلائل و براهين على إثبات الصانع تعالى، و لا يضّر إرسالهما لاشتغال انتسابهما إلى المفضل، و قد شهد بذلك السيّد ابن طاووس و غيره ... مع أنّ متن الخبرين شاهد صدق على صحّتهما، و أيضاً يشتملان على براهين لا تتوقف إفادتهما العلم على صحة الخبر^(٣).

و قال أيضاً: و كتاب التوحيد و الإلهيلجة قد عرفت حالهما، و سياقهما يدلّ على صحّتهما^(٤).

و قال الميرزا النوري عليه السلام: قال السيّد المحقق صدر الدين العاملي: من نظر في حديث المفضل المشهور عن الصادق عليه السلام علم أنّ ذلك الخطاب البليغ و المعاني العجيبة و الألفاظ الغريبة، لا يخاطبُ الإمام بها إلّا رجلاً عظيماً جليلاً كثير العلم زكيّ الحسّ، أهلاً لتحمل الأسرار الرفيعة و الدقائق البديعة^(٥).

(١) الأمان من أخطار الأسفار و الأزمان: ٩١ - ٩٢.

(٢) كشف المحجّة: ٥١ / الفصل ١٦.

(٣) بحار الأنوار ٣: ٥٥ - ٥٦.

(٤) بحار الأنوار ١: ٣٢.

(٥) خاتمة المستدرك ٤: ١٣١، أعيان الشيعة ١٠: ١٣٢ - ١٣٣.

وقال رحمه الله: قال التقي المجلسي في شرح المشيخة: و اعلم أنّ للمفضل نسخة معروفة بتوحيد المفضل، كافية لمن أراد معرفة الله تعالى، و النسخة شاهدة بصحتها، فينبغي أن لا يغفلوا عنها ... ثم قال الميرزا النوري رحمه الله: و مضامين الكتاب كما قال رحمه الله من أقوى الشواهد بصحتها^(١) ...

و قال العلامة السيد الطباطبائي رحمه الله في تعليقه على البحار: أمّا متن الخبر الأوّل المشتهر بتوحيد المفضل فهو مطابق لجُلّ الأخبار المروية عن أهل البيت عليه السلام المطابقة لمعارف الكتاب العزيز، و ما يشتمل عليه من الأدلة براهين تامة لا غبار عليها^(٢). و قال المازندراني رحمه الله: و الحقّ أنّه مع قلة حجمه كتاب يظهر لمن مارسه من العلم بالحكم الإلهية و التدبيرات الربوبية ما يكلّ اللسان عن وصفه، و يعجز البيان عن شرحه^(٣). و قد أفاد رحمه الله في مواطن كثيرة من شرحه من كتاب توحيد المفضل، و استدللّ به على كثير من المطالب، و أحال عليه في المسائل التي تحتاج إلى مزيد بيان و إيضاح^(٤).

و نقل الميرزا النوري رحمه الله تصريح الحرّ العاملي رحمه الله بأنّ توحيد المفضل من الكتب المعتمدة^(٥).

و أفاد منه الشيخ الحويزي رحمه الله المعاصر للحرّ العاملي رحمه الله في تفسير نور الثقلين في موارد كثيرة، بل لم يتخطّه أحدٌ من علماء الطائفة ممّن ألفوا في علم التوحيد، و لم

(١) خاتمة المستدرك ٤: ١٣١.

(٢) هامش بحار الأنوار ٣: ٥٦.

(٣) شرح أصول الكافي ١: ٤٦.

(٤) انظر على سبيل المثال شرح أصول الكافي ٣: ١٤، ٤: ٣٣، ١٢: ١٣.

(٥) انظر خاتمة المستدرك ١: ٢٢٩.

يذكروه إلا بالاعجاب والإكبار والإشادة بمطالبه الإلهية التي لا يمكن أن تصدر عن غير المعصوم عليه السلام.

لفت نظر:

بعد أن وقفنا على بعض تصريحات العلماء الأعلام في حقّ كتاب التوحيد، وقبل أن نقف على أسانيد هذا الكتاب، لا بدّ لنا من لفت النظر والتنبيه على أنّ كتاب التوحيد ونسخه المشهورة المتداولة وكلّ النسخ التي وقفنا عليها، تضمّ أربعة مجالس أملاها الإمام الصادق عليه السلام على المفضّل في علم التوحيد، وكلّ هذه المجالس تتعلق بأحوال المادّيات وما في العالم السفليّ التي من خلالها يستدلّ على وجود الخالق والعمد في الخلق وأنّ المخلوقات كلّها طبق نظام دقيق وخلق عجيب أنيق يدلّ على الصانع وحُسن الصنعة.

غير أنّ نهاية المجلس الرابع تدلّ على أنّ الإمام عليه السلام وعدّ المفضّل بن عمر أن يملّي عليه مجلساً آخر أو مجالس أخرى تدلّ على الباري سبحانه وتعالى لكن عبر بيان علم ملكوت السماوات والأرض وما بينهما، وما فيها من عجائب الخلق، وأصناف الملائكة وصفوفهم ومقاماتهم ومراتبهم إلى سدرة المنتهى، وسائر الخلق من الجنّ والإنس إلى الأرض السابعة السفلى وما تحت الثرى.

ونسخ التوحيد وإن كانت خالية عن تنمّة أمالي الإمام عليه السلام، إلّا أنّ الميرزا النوري رحمته الله أشار إلى عثوره على ما يترجّح أنّه المجلس الخامس لكنّه اعتذر عن نقله بأنّه لم يجده في موضع يمكنه الاعتماد عليه.

ودلّ الاغابزرك الطهراني رحمته الله على محلّ وجود هذا المجلس الخامس، الذي يبدو

أنه بالضبط ما أشار إليه النوري رحمه الله، إذ أنه موجود في كتاب من كتب الفرقة الذهبية بسندٍ مذكور في محله.

قال الميرزا النوري رحمه الله: و يوجد في بعض المواضع حديث أوله: روي من الشيخ الثقة الحسين بن محمد بن علي الحلبي... عن مفضل بن عمر الجعفي، قال: قلت لمولانا الصادق عليه السلام للوعد منه إليّ وقد خلوت به فوجدتُ منه فرصة أتمناها: أسألك عما جرى في خاطري... الخبر، وفيه مطالب غريبة غامضة لا توجد في غيره، ويُحتمل أن يكون هو ما وعده عليه السلام في آخر الخبر السابق [أي المجلس الرابع]، إلا أنني لم أجده في موضع يمكن الاعتماد عليه والنقل منه^(١).

وقال الاغا بزرك الطهراني: التوحيد لأبي عبدالله - أو أبي محمد - مفضل بن عمر الجعفي الكوفي، عبّر عنه النجاشي بكتاب فكر، وسمّاه بعض الفضلاء بكنز الحقائق والمعارف... فتبيّن أنه عدلٌ للرسالة الإلهيلجة، وكلاهما في إثبات التوحيد، وهما من منشآت الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام، غير أنه قد كتب الإلهيلجة بنفسه إلى مفضل بن عمر، وأملى التوحيد هذا على المفضل وهو كتبه بخطه...

ويظهر من كلام السيّد ابن طاووس المتوفى سنة ٦٦٤ هـ أنّ المتداول من التوحيد هذا في عصره كان هذا الموجود المطبوع المشروح المتداول اليوم... إلى آخر الموجود من المجالس الأربعة... وهذا الجزء كلّه متعلّق بأحوال المادّيات وما في العالم السفلي، والجزء الآخر الذي هو في بيان أحوال الملكوت الأعلى - وقد وعد صادق الوعد عليه السلام ببيانه للمفضل هذا - لم يكن مشهوراً متداولاً في تلك الأعصار مثابةً اشتهاه الجزء الأوّل، لكنّه ظفر به أخيراً السيد ميرزا أبو القاسم الذهبي فأورده

بتامه في كتاب «تباشير الحكمة» (١). (٢)

وقال أيضاً: إن الجزء الثاني من توحيد المفضل موجود في كتاب تباشير الحكمة، تأليف السيد العارف ميرزا أبو القاسم بن محمد نبي الحسيني الشريفي الذهبي الشيرازي الشهير بـ «آقا ميرزا بابا»، قال: وصرّح المؤلف بأنه وإن لم يصل إليه هذا الجزء بإسنادٍ معتبر مثل الجزء الأول لكنه يُشَمُّ منه روائع الصدور عنهم عليهم السلام (٣). ونحن ذكرنا هذا المجلس الخامس كما وجدناه تكميلاً للفائدة وتعميماً لها، وإكمالاً لكل ما وصلنا من هذا الكتاب، وإن كان شرح العلامة المجلسي رحمته الله لا يتناول هذا المجلس، ولم ينقل عنه علماءنا في كتبهم لأنّ نسخته لم تصل إليهم ولم يعثروا عليها.

أسانيد الكتاب

المجالس الأربعة من هذا الكتاب وجدنا لها سنيين:

الأول: سند النجاشي: أخبرنا أبو عبد الله بن شاذان، قال: حدثنا أحمد بن محمد ابن يحيى، عن أبيه، عن عمران بن موسى، عن إبراهيم بن هاشم، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر (٤).

الثاني: سند الحرّ العاملي عن الصدوق، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن الحسن بن مّثيل، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن المفضل

(١) في طبعته الحجرية، و الحروفية الجديدة «طباشير الحكمة»، و لا أدري هل هذا من لحن الفُرس، أو أنّ المراد به الطباشير الذي يكتب به.

(٢) الذريعة ٤: ٤٨٢ - ٤٨٣.

(٣) انظر الذريعة ٣: ٣١٠.

(٤) رجال النجاشي: ٤١٦.

ابن عمر (١).

وأما المجلس الخامس فسنده هو: روي عن الشيخ الثقة أبي الحسن محمد بن علي الحلبي، عن شيخه السيد أبي عبدالله الحسيني بن أحمد الصيني، قال: حدثني جعفر بن مالك الفزاري الكوفي، عن عبدالله بن يونس الموصلي، [عن محمد بن صدقة العبدي]، عن محمد بن سنان الزاهري، عن صفوان بن يحيى الكوفي، عن مفضل بن عمر الجعفي.

و هناك سندان آخران للشيخ الطوسي إلى جميع كتب و روايات محمد بن سنان، قال:

أخبرنا بكتبه و رواياته جماعة، عن أبي جعفر بن بابويه، عن أبيه و محمد بن الحسن جميعاً، عن سعد و الحميري و محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين و أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان.

و أخبرنا أيضاً ابن بابويه، عن محمد بن علي ماجيلويه، عن محمد بن أبي القاسم عمه، عن محمد بن علي الصيرفي، عن محمد بن سنان (٢).

و السند الأول ضعيف بالصيرفي، و الثاني صحيح إلى محمد بن سنان بلا كلام، و محمد بن سنان ثقة على الصحيح - كما سيأتيك - فيكون السند صحيحاً، فإذا أضيف إلى سند النجاشي الصحيح أو الحسن - كما ستقف عليه قريباً - كانت النتيجة هي أن كتاب فكر صحيح الإسناد.

و عُدّة الكلام تقع في السند الأول، لأن السند الثاني - كما سيتبين لك - إنما هو سند

(١) إجازة الحرّ العاملي للفاضل المشهدي المطبوعة في البحار ١١٠: ١١٩ - ١٢٠.

(٢) الفهرست: ١٤٣ / رقم ٦٠٩.

الصدوق إلى المفضل في مشيخة الفقيه، و تعميمه إلى كل ما للمفضل فيه تساهل كبير، و السند الثالث المختص بالمجلس الخامس فيه بعض المجاهيل، فبقى أهمية الكلام في السند الأول.

السند الأول

و هو سند صحيح أو حسن.

فمحمد بن علي أبو عبدالله بن شاذان القزويني ثقة لأنه من مشايخ النجاشي^(١)، كما أنه شيخ إجازته، و شيوخ الإجازة مستغنون عن التنصيص بالوثاقة^(٢).

و أحمد بن محمد بن يحيى العطار القمي، اختلف في حاله، و الأشهر الاعتماد عليه، فهو من مشايخ الإجازة، و وثقه الشهيد الثاني و السماهيجي و الشيخ البهائي، و اعتمد القدماء على روايته^(٣)، و عدم عدّ جمع له في الثقات لا يدل على عدمه^(٤)، و قد يستفاد التعديل من قرائن أخرى^(٥).

و أبوه محمد بن يحيى العطار القمي، أبو جعفر، ثقة عين، من مشايخ

(١) معجم الرجال الحديث ١٧: ٣١٥ / الترجمة ١١٢٧٤.

(٢) تنقيح المقال ٣: ١٥٦.

(٣) انظر معجم الرجال الحديث ٣: ١٢٠ - ١٢٢ / الترجمة ٩٣٢، و ذهب السيد الخوئي رحمته الله إلى أنه مجهول الحال، و تنقيح المقال ١: ٩٥ - ٩٦ و زاد توثيق المحقق الأردبيلي و المحقق الداماد و الشيخ حسن صاحب المنتقى.

(٤) تنقيح المقال ١: ٩٦.

(٥) انظر حاوي الأقوال ٣: ١٣ - ١٥، حيث عدّ أحمد العطار هذا من جملة جماعة لم يصرح بتعديلهم لكن استفيد التعديل من قرائن أخرى.

أصحابنا في زمانه، وهو من مشايخ الكليني^(١)، وثقه كل من ذكره من الفقهاء^(٢).
وعمران بن موسى الزيتوني الأشعري القمي، ثقة^(٣)، فلا غم فيه بوجه^(٤).
وإبراهيم بن هاشم القمي، أبو إسحاق، والد علي بن إبراهيم بن هاشم القمي صاحب التفسير، لا ينبغي الشك في وثاقته، لرواية ولده كثيراً عنه، ونقل السيد ابن طاووس الاتفاق على وثاقته، ولأنه أول من نشر حديث الكوفيين بقم، وقد اعتمد عليه القميون بل المتشددون منهم أيضاً^(٥). ومن لم يذهب إلى وثاقته قال أنه حسن أو حسن كالصحيح^(٦).
ومحمد بن سنان الزاهري أبو جعفر الزاهري المتوفى سنة ٢٢٠ هـ أو بعدها^(٧)، وقع الاختلاف فيه، فهو إما ثقة وإما ممدوح، وقد ضعفه بعضهم. وهو من أصحاب الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام.

-
- (١) انظر معجم رجال الحديث ١٩: ٣٣ / الترجمة ١٢٠١٠ و ١٩: ٤٣ - ٤٥ / الترجمة ١٢٠٣٣.
- (٢) تنقيح المقال ٣: ١٩٩. و انظر رجال العلامة: ١٥٧ / الترجمة ١١٠ - القسم الأول، و رجال ابن داود: ١٨٦ / الترجمة ١٥٣٣ - القسم الأول.
- (٣) انظر معجم رجال الحديث ١٤: ١٦٣ - ١٦٤ / الترجمة ٩٠٧٢ و ١٤: ١٦٤ - ١٦٥ / الترجمة ٩٠٧٤.
- (٤) تنقيح المقال ٢: ٣٥٢. و انظر رجال العلامة: ١٢٥ / الترجمة ٥ - القسم الأول، و رجال ابن داود: ١٤٧ / الترجمة ١١٥٠ - القسم الأول.
- (٥) انظر معجم رجال الحديث ١: ٢٨٩ - ٢٩١ / الترجمة ٣٣٢، و رجال العلامة: ٤ - ٥ / الترجمة ٩ - القسم الأول، و رجال ابن داود: ٣٤ / الترجمة ٤٣ - القسم الأول.
- (٦) انظر تنقيح المقال ١: ٤٠. و معنى حسن كالصحيح هو لزوم العمل بحديثه حتى ممن لا يعمل بالحسن.
- (٧) انظر معجم رجال الحديث ١٧: ١٧٠ - ١٧١.

قال المامقاني بعد بحث طويل في حال ابن سنان هذا: قد تلخّص مما ذكرنا كله أنّ الأقوى كون الرجل ثقة، صحيح الاعتقاد، معتمداً، مقبول الرواية وإن رمى من رماه بالغلو؛ إمّا لاشتباهه في ميله أولاً إلى الغلو وثباته بمكالمة صفوان معه، أو لما سمعته آنفاً من بعض الأتقياء من أنّه كان من أصحاب أسرار الأئمة عليهم السلام، وروى من أسرارهم ما تمسك به الغلاة فجرحه الأصحاب دفعاً للأفسد وهو تقوي الغلاة بالفساد^(١).

وقال السيد الخوئي رحمته الله: المتحصّل من الروايات أنّ محمد بن سنان كان من الموالين ومن يدين الله بموالاة أهل بيت نبيّه صلى الله عليه وآله، فهو ممدوح، فإن ثبت فيه شيء من المخالفة فقد زال ذلك وقد رضي عنه المعصوم عليه السلام، ولذلك عدّه الشيخ من كان ممدوحاً حسن الطريقة^(٢).

وذهب إلى تضعيفه جماعة من العلماء والرجاليين، فذهبوا إلى عدم الاعتماد على ما انفرد بروايته، قال السيد الخوئي رحمته الله: ولولا أنّ ابن عقدة والنجاشي والشيخ والشيخ المفيد وابن الغضائري ضعفوه، وأنّ الفضل بن شاذان عدّه من الكذابين، لتعيّن العمل برواياته، ولأجل ذلك لا يمكن الاعتماد على توثيق الشيخ المفيد إياه... ولا على توثيق علي بن إبراهيم إياه^(٣).

وكيف كان فإنّ الكلام في هذا المجال طويل وليس هاهنا محل استقصائه، غير أنّ الصواب أنّه ثقة، وما ورد فيه من القدح والذم إمّا صدر لجهاتٍ كلّها غير ناهضة للتضعيف^(٤).

(١) تنقيح المقال ٣: ١٢٨.

(٢) معجم رجال الحديث ١٧: ١٦٩.

(٣) معجم الرجال الحديث ١٧: ١٦٩.

(٤) انظر ذلك بشيء من التفصيل في منتهى المقال ٦: ٦٥ - ٧٦ / رقم ٢٦٦٩.

و حسبنا ما في رواية صحيحة السند عن أبي طالب عبدالله بن الصلت القمي، قال: دخلتُ على أبي جعفر الثاني عليه السلام في آخر عمره، فسمعتَه يقول: جزى الله صفوان بن يحيى ومحمد بن سنان وزكريا بن آدم عني خيراً، فقد وفوا لي ^(١) ...

وما رواه كل من الكليني والصدوق والكشي بأسانيدهم عن محمد بن سنان، قال: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام قبل أن يُحمل إلى العراق بسنة، وعليُّ ابنه عليه السلام بين يديه، فقال لي: يا محمد، قلت: ليِّك، قال: إنَّه سيكون في هذه السنة حركة ولا تخرج منها، ثمَّ أطرق ونكت في الأرض بيده، ثمَّ رفع رأسه إليَّ وهو يقول: ويضلَّ الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء، قلت: وما ذلك جعلت فداك؟ قال: من ظلم ابني هذا حقَّه وجحد إمامته من بعدي، كان كمن ظلم علي بن أبي طالب حقَّه وإمامته من بعد محمد عليه السلام، فعلمتُ أنَّه قد نعى إليَّ نفسه ودلَّ على ابنه، فقلت: والله لئن مدَّ الله في عمري لأسلمنَّ إليه حقَّه ولا قرَّن له بالإمامة، وأشهد أنَّه حجة الله من بعدك على خلقه، والداعي إلى دينه، فقال لي: يا محمَّد، يمدَّ الله في عمرك وتدعو إلى إمامته وإمامة من يقوم مقامه من بعده، فقلت: ومن ذاك جعلت فداك؟ قال: محمَّد ابنه، قلتُ: بالرضا والتسليم، فقال: كذلك وجدتكَ في صحيفة أمير المؤمنين عليه السلام، أما إنَّك في شيعتنا أبينُّ من البرق في الليلة الظلماء.

ثم قال عليه السلام: يا محمَّد، إنَّ المفضل أنسي ومستراحي، وأنت أنسهما ومستراحهما، حرام على النار أن تمسك أبداً - يعني أبا الحسن الرضا عليه السلام و أبا جعفر عليه السلام ^(٢).

(١) اختيار معرفة الرجال ٢: ٧٩٢/ ٩٦٣.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٢: ٧٩٦- ٧٩٧/ ٩٨٢، الكافي ١: ٣١٩/ ح ١٦، عيون أخبار الرضا

و أمّا المفضل بن عمر الجعفي فهو أشهر من نار على علم، و وثاقته و علوّ شأنه كالشمس في رابعة النهار.

فقد وردت في حقّه مدائح عظيمة عن ثلاثة من الأئمة المعصومين، و هم الإمام الصادق و الإمام الكاظم و الإمام الرضا عليهم السلام، تدل على علوّ شأنه و سامي مكانته، خصوصاً إذا لوحظت مروياته الدالّة على عالي مرتبته و سلامة عقيدته و تثبّته في أمور التوحيد و النبوة و الإمامة.

و الروايات المادحة كثيرة جداً بحيث تحقّق العلم بوثاقة الرجل و أنّه محلّ إجلال و إكبار الأئمة، فلا تقاومها بعض الروايات الدائمة الصادرة على بعض وجوه المصالح.

ما روي عن الصادق عليه السلام في حقّه:

روى الشيخ المفيد بسنده الصحيح، عن عبدالله بن الفضل الهاشمي، قال: كنت عند الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، إذ دخل المفضل بن عمر، فلما بصّر به ضحك إليه، ثمّ قال: إليّ يا مفضل، فو ربّي إني لأحبّك و أحبّ من يحبّك، يا مفضل لو عرف جميع أصحابي ما تعرف ما اختلف اثنان، فقال له المفضل: يا بن رسول الله، لقد حسبت أن أكون قد أنزلت فوق منزلي، فقال عليه السلام: بل أنزلت المنزلة التي أنزلك الله بها^(١)...

و روى الكشي بسنده عن المفضل بن عمر، قال: سمعتُ أبا عبدالله عليه السلام يوماً وقد دخل عليه الفيض بن المختار... فقال له الفيض: إني لأجلس في حلّقهم بالكوفة

(١) الاختصاص: ٢١٦ / حديث المفضل و خلق أرواح الشيعة من الأئمة عليهم السلام.

فأكاد أشك في اختلافهم في حديثهم، حتى أرجع إلى المفضل بن عمر فيوقفني من ذلك على ما تستريح إليه نفسي ويطمئن إليه قلبي، فقال أبو عبدالله عليه السلام: أجل هو كما ذكرت يا فيض ^(١)...

و روى بسنده عن علي بن الحسين العبيدي، قال: كتب أبو عبدالله عليه السلام إلى المفضل بن عمر الجعفي حين مضى عبدالله بن أبي يعفور: يا مفضل، عهدتُ إليك عهدي كان إلى عبدالله بن أبي يعفور، فمضى موفياً لله عز وجل ولرسوله ولا إمامه بالعهد المعهود لله ^(٢)...

و روى الكليني بسنده عن المفضل، قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: اكتب و بُتَّ علمك في إخوانك، فإن مُتَّ فأورث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم ^(٣).

و روى أيضاً بسنده عن المفضل، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدهما من مالي ^(٤).

و روى أيضاً بسنده عن أبي حنيفة سابق الحاج، قال: مرّ بنا المفضل وأنا وختني نتشاجر في ميراث، فوقف علينا ساعة، ثم قال لنا: تعالوا إلى المنزل، فأتيناها فأصلح بيننا بأربعمائة درهم فدفعها إلينا من عنده، حتّى إذا استوثق كل واحد منا من صاحبه، قال: أمّا إنّها ليست من مالي، ولكن أبو عبدالله عليه السلام أمرني إذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيء أن أصلح بينهما وأفتديهما من ماله، فهذا من مال أبي

(١) اختيار معرفة الرجال ١: ٣٤٧ / ٢١٦.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٢: ٥١٨ / ٤٦١.

(٣) الكافي ١: ٥٢ / ح ١١.

(٤) الكافي ٢: ٢٠٩ / ح ٣.

عبدالله ﷺ^(١).

و روى الكشي و الطوسي بسنديهما عن هشام بن أحمـر، قال: دخلت على أبي عبدالله ﷺ - وأنا أريد أن أسأله عن المفضل بن عمر - و هو في ضيعة له في يوم شديد الحر و العرق يسيل على صدره، فابتدأني فقال: نَعَمْ - و الله الذي لا إله إلا هو - الرجل المفضل بن عمر الجعفي، حتَّى أحصيت نيفاً و ثلاثين مرّة يقولها و يكرّرها، و قال: إنما هو والد بعد والد^(٢).

و روى الكشي بسنده عن بشير الدهان، قال: قال أبو عبدالله ﷺ لمحمد بن كثير الثقفي: ما تقول في المفضل بن عمر؟ قال: ما عسيْتُ أن أقول فيه، لو رأيت في عنقه صليباً و في وسطه كستيجاً لعلمتُ أنه على الحق بعد ما سمعتك تقول فيه ما تقول. قال ﷺ: رحم الله لكن حجر بن زائدة و عامر بن جذاعة أتياني فشتّمه عندي، فقلت لهما: لا تفعلوا فاني أهواه، فلم يقبلا، فسألتهما و أخبرتهما أنّ الكفّ عنه حاجتي فلم يفعلا، فلا غفر الله لهما، أما إني لو كرمتُ عليهما لكرم عليهما من يكرم عليّ^(٣)...

و روى الكليني بسنده عن يونس بن ظبيان، قال: قلت لأبي عبدالله ﷺ: ألا تنهى هذين الرجلين عن هذا الرجل؟ فقال: من هذا الرجل؟ و من هذين الرجلين؟ قلت: ألا تنهى حجر بن زائدة و عامر بن جذاعة عن المفضل بن عمر، فقال ﷺ: يا يونس قد سألتهما أن يكفّا عنه فلم يفعلا، فدعوتهما و سألتهما و كتبت

(١) الكافي ٢: ٢٠٩ / ح ٤.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦١٤ / ٥٨٥، الغيبة للطوسي: ٣٤٦ - ٣٤٧ / ح ٢٩٧.

(٣) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦١٢ - ٦١٣ / ٥٨٣. و مثله في ٢: ٦١٣ - ٦١٤ / ٥٨٤ بسنده عن

إليهما وجعلته حاجتي إليهما فلم يكفأ عنه، فلا غفر الله لهما ... أما والله لو أحباني لأحبا من أحب^(١).

و في رجال الكشي: حكى نصر بن الصباح، عن ابن أبي عمير بإسناده: أن الشيعة حين أحدث أبو الخطاب ما أحدث خرجوا إلى أبي عبدالله عليه السلام فقالوا: أقم لنا رجلاً نفرع إليه في أمر ديننا وما نحتاج إليه من الأحكام، قال عليه السلام: لا تحتاجون إلى ذلك، متى ما احتاج أحدكم عرج إلىي وسمع مني وينصرف، فقالوا: لا بد. فقال عليه السلام: قد أقت عليكم المفضل، اسمعوا منه واقبلوا عنه، فإنه لا يقول على الله وعلَيَّ إلا الحق، فلم يأت عليه كثير شيء حتى شنعوا عليه وعلى أصحابه، وقالوا: أصحابه لا يصلّون ويشرّبون النبيذ وهم أصحاب الحماهم ويقطعون الطريق، والمفضل يقرّبهم ويدنّبهم^(٢).

و روى الكليني بسنده عن يونس بن يعقوب، قال: أمرني أبو عبدالله عليه السلام أن آتي المفضل وأعزيه بإسماعيل، وقال: أقرئ المفضل السلام وقل له: إننا قد أصبنا بإسماعيل فصبرنا، فاصبر كما صبرنا، إننا أردنا أمراً وأراد الله أمراً، فسلّمنا لأمر الله^(٣).

قال السيّد الخوئي رحمته الله: هذه الرواية تدل على شدة علاقة الصادق عليه السلام بالمفضل ابن

(١) الكافي ٨: ٣٧٣ - ٣٧٤ / ٥٦١. و رواه الكشي في اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٢١ / ٥٩٨

مختصراً بسنده عن يونس بن ظبيان، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك لو كتبت إلى هذين الرجلين بالكف عن هذا الرجل فإنهما له مؤذيان، فقال: إذن أغريهما به ... أما والله لو كرمت عليهما لكرم عليهما من أقرب وأوثر.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٢٠ / ٥٩٢.

(٣) الكافي ٢: ٩٢ / ح ١٦.

عمر، و الرواية صحيحة^(١).

ما روي عن الكاظم عليه السلام في حقه:

روى الكشي بسنده عن صفوان، قال: بلغ من شفقة المفضل أنه كان يشتري لأبي الحسن عليه السلام الحيتان، فيأخذ رؤوسها و يبيعها و يشتري له حيتاناً؛ شفقةً عليه^(٢).

و روى بسنده عن خالد بن نجيح الجوان، قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: ما يقولون في المفضل بن عمر؟ قلت: يقولون فيه هَبْهُ يهودياً أو نصرانياً و هو يقوم بأمر صاحبكم، قال: ويلهم ما أخبت ما أنزلوه، ما عندي كذلك، و ما لي فيهم مثله^(٣). و روى الكشي و الطوسي بسنديهما عن موسى بن بكر، قال: كنت في خدمة أبي الحسن عليه السلام و لم أكن أرى شيئاً يصل إليه إلا من ناحية المفضل بن عمر، و لربما رأيتُ الرجل يجيء بالشيء فلا يقبله منه و يقول: أوصله إلى المفضل^(٤).

و روى الكشي و الكليني و الصدوق بأسانيدهم عن محمد بن سنان، قال: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام قبل أن يحمل إلى العراق بسنة، و عليّ ابنه عليه السلام بين يديه، فقال لي: يا محمد، قلتُ لبيك، قال: إنّه سيكون في هذه السنة حركة و لا تخرج منها ... ثم قال: يا محمد إنّ المفضل أنسي و مستراحي^(٥)...

(١) معجم رجال الحديث ١٩: ٣٢٦.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٢١ / ٥٩٦.

(٣) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٢٠ / ٥٩٤.

(٤) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٢٠ - ٦٢١ / ٥٩٥، الغيبة للطوسي: ٣٤٧ / ح ٢٩٩.

(٥) اختيار معرفة الرجال ٢: ٧٩٦ - ٧٩٧ / ٩٨٢، الكافي ١: ٣١٩ / ح ١٦، عيون أخبار الرضا

و روى الكشي بسنده عن عيسى بن سليمان، عن أبي إبراهيم عليه السلام، قال: قلت: جعلني الله فداك، خلفتُ مولاك المفضلَ علياً، فلو دعوت له، قال عليه السلام: رحم الله المفضلَ قد استراح، قال: فخرجتُ إلى أصحابنا فقلت لهم: قد - والله - مات المفضل، قال: ثم دخلتُ الكوفة وإذا هو قد مات قبل ذلك بثلاثة أيّام^(١).
و روى بسنده عن موسى بن بكر، قال: سمعتُ أبا الحسن عليه السلام يقول لما أتاه موت المفضل بن عمر: رحمه الله كان الوالد بعد الوالد^(٢).

ما روي عن الرضا عليه السلام في حقّه:

روى الكشي بسنده عن محمد بن حبيب، قال: حدثني بعض أصحابنا ممن كان عند أبي الحسن الرضا عليه السلام جالساً، فلما نهضوا قال لهم: القوا أبا جعفر عليه السلام فسلموا عليه وأحدثوا به عهداً، فلما نهض القوم التفت إليّ وقال: يرحمُ الله المفضل، إن كان ليكتفي بدون هذا^(٣).
هذه المدائح كلّها و الترحّات و التوثيقات الضمنية عن ثلاثة من الأئمة عليهم السلام، تتلوها أقوال كبار علماء الطائفة و رجاليّها، حيث عدّه الشيخ المفيد عليه السلام من خاصّة أبي عبد الله عليه السلام و بطائنه و ثقاته الفقهاء الصالحين ممن روى النصّ بالإمامة من أبي عبد الله عليه السلام على ابنه أبي الحسن موسى عليه السلام^(٤).

(١) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٢١ / ٥٩٧.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦١٢ / ٥٨٢.

(٣) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٢٠ / ٥٩٣. و رواه الكليني في الكافي ١: ٣٢ / ح ١ بسنده عن علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الوليد، عن يحيى بن حبيب الزيات، قال: أخبرني من كان عند أبي الحسن الرضا عليه السلام ...

(٤) الإرشاد ٢: ٢١٦.

وقد روى له ابن قولويه في كامل الزيارات في عدة مواضع، فهو من المؤثّقين له على من يلتزم هذا المبنى^(١).

وذكره الشيخ الطوسي في المحمودين المختصين بالأئمة، حيث قال في كتاب الغيبة: فصل في ذكر طرف من أخبار السفراء الذين كانوا في حال الغيبة، وقبل ذكر من كان سفيراً حال الغيبة نذكر طرفاً من أخبار من كان يختصّ بكلّ إمام ويتولّى له الأمر... فمن المحمودين حمران بن أعين... ومنهم المفضّل بن عمر^(٢).

وعده ابن شهر آشوب من خواص أصحاب الصادق عليه السلام في باب إمامة الصادق عليه السلام^(٣)، وعده من الثقات الذين رووا صريح النصّ على موسى بن جعفر عليه السلام من أبيه عليه السلام^(٤)، كما ذكر أن المفضّل بن عمر الجعفي كان باب موسى بن جعفر عليه السلام^(٥). وعده الشيخ في رجاله، تارة في أصحاب الصادق عليه السلام^(٦)، وأخرى في أصحاب الكاظم عليه السلام^(٧)، كما ذكره في الفهرست قائلاً: المفضّل بن عمر، له وصيّة يرويها^(٨)... وعده البرقي في أصحاب الصادق عليه السلام، قائلاً: المفضّل بن عمر الجعفي، مولى، كوفي^(٩)...

وهذا كلّ لا تقاومه بعض الطعون الواردة فيه، إذ أنّها مضافاً إلى انحصارها في

(١) انظر كامل الزيارات: ٨٩ / الباب ١٠ - ح ٢، و ص ٢٤٨ / الباب ٤٧ - ح ٤، وغيرهما.

(٢) الغيبة للطوسي: ٣٤٦ / الفصل ٦.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٤٠٠ / باب إمامة الصادق عليه السلام.

(٤) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٤٣٦ / فصل في معالي أموره عليه السلام.

(٥) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٤٣٨ / فصل في أحواله و تواريخه عليه السلام.

(٦) رجال الطوسي: ٣١٤ / ٥٥٤.

(٧) رجال الطوسي: ٣٦٠ / ٢٣.

(٨) الفهرست: ٢٥١ / ٧٥٨.

(٩) رجال البرقي: ٩٠ / رقم ٨٦٧.

زمان الصادق عليه السلام - مما يدل على أنها صدرت تقية و حفاظاً عليه، شأنها شأن الطعون الصادرة في حق زارة و أمثاله - لا تتعدى رمية بالخطابية و الإسماعيلية و الغلو، و كلها مردودة غير ثابتة، فقد نفى الأعلام هذه المنسوبات إليه، و احتمل بعضهم أنه صار خطايا مدة ثم رجع عن ذلك، و هذا غير قادح فيه.

على أن القدح فيه جاء عن ابن الغضائري الذي لا اعتداد بكتابه و لا بقدوحه، و عن النجاشي و هو لا يقاوم التوثيق المارة الذكر.

قال أبو علي في منتهى المقال: و يظهر من أخباره أنه كان في الغالب على حسن العقيدة، و على تقدير كونه خطائياً يكون ذلك في وقت ما فلا يضر، نظير نظرائه من البزنطي و ابن المغيرة و ابن الوشاء، فظهر الجواب عن سائر ماورد في ذمه بوروده في تلك الأوقات.

و في الكافي في باب الصبر في الصحيح عن يونس بن يعقوب، قال: أمرني أبو عبدالله عليه السلام أن آتي المفضل و أعزيه بإسماعيل، و قال: أقرئ المفضل السلام و قل له: إنا قد أصبنا بإسماعيل فصبرنا، فاصبر كما صبرنا ...

ثم قال: أقول: أمّا ما ذكره في الخلاصة فيه من القدح فهو بأجمعه كلام الغضائري كما نقله عناية الله القهبائي، و تضعيف النجاشي معارض بتعديل المفيد في الإرشاد و الشيخ في العيبة، و الأخبار و إن كانت متعارضة إلا أن أخبار المدح أقرب إلى السلامة و أبعد من التهمة، فإن كان و لا بدّ فلتحمل أخبار الذم على أول أمره ... و الشاهد خبر حماد^(١).

(١) في اختيار معرفة الرجال ٢: ٦١٢ / ٥٨١ روى بسنده عن حماد بن عثمان، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول للمفضل بن عمر الجعفي: يا كافر يا مشرك، مالك و لا بني - يعني إسماعيل بن جعفر - و كان منقطعاً إليه يقول فيه مع الخطابية، ثم رجع بعد.

وقال في التحرير الطاووسي: ورد في مدحه وذمه آثار، وقال حماد بن عثمان أنه رجع بعد، انتهى. فاحتمال الكشي استقامته أولاً ثم صيرورته خطائياً خطأً، ومما ينادي بذلك الصحيح المذكور عن الكافي عن يونس بن يعقوب المتضمن لقراءة الإمام عليه السلام عليه، فإنه بعد موت إسماعيل، وأخبار الدم أكثرها في أيام حياته. وأما كونه غالباً فشيء يُقطع بفساده^(١).

وقال المامقاني في تنقيح المقال: المفضل بن عمر الجعفي، أبو عبد الله... وقد وقع الخلاف في الرجل على قولين: أحدهما أنه ثقة، وهو الذي صرح به الشيخ المفيد بقوله في الارشاد: ممن روى النص عن أبي عبد الله عليه السلام على ابنه أبي الحسن موسى عليه السلام من شيوخ أصحاب أبي عبد الله وخاصة وبطانته وثقاته الفقهاء الصالحين رحمهم الله المفضل بن عمر الجعفي... وهو نص في توثيقه الرجل، وعن غيبة الطوسي أنه كان من قوام الأئمة وكان محموداً عندهم ومضى على مناجهم، وظاهر المحقق الوحيد أيضاً الاعتماد عليه. ثانيها: أنه ضعيف، وهو الذي صرح به جماعة، قال ابن الغضائري... وقال النجاشي...

حجة القول الأول الأخبار المستفيضة الواردة في مدحه... إلى غير ذلك من الأخبار الدالة على عدالة الرجل وجلالته وبذل غاية جهده في خدمات إمامه وكونه مستريحاً بالموت، المؤيد بكونه كثير الرواية وسديدها، وكون الكتب المعتمدة مملوءة من أخباره، وكون رواياته متلقاة بالقبول مقبولة، وقصور سند جملة من الأخبار المزبورة الواردة في مدحه غير ضائر بعد تعاضدها وتجاورها، بل تواترها معنى...

حجة القول الثاني أمور: منها رمي غير واحد إياه بالغلو... وفيه أنا بيننا غير مرة أن رمي القدماء الرجل بالغلو لا يعتمد عليه ولا يُركن إليه، لوضوح كون القول بأدنى مراتب فضائلهم غلوّاً عند القدماء... ولقد أجاد المحقق الوحيد حيث قال: إنّ رواياته الكثيرة في كتب الأخبار والرجال صريحة في خلاف الغلو.

ومنها نسبة الخطائية إليه... وكيف يعقل ترحّم الإمام عليه السلام على من كان خطائياً وإخباره بأنّه استراح بالموت بنيل الروح والريحان، وكيف يعقل كون الخطابي أنسه ومستراحه، أم كيف يعقل تشبيهه إياه بالوالد... والأخبار الدالة على كونه وكيل الكاظم عليه السلام في قبض الأموال على وجه ما كان يصل إليه شيء إلا من قبله، وكان يأمر من أتاه بالمال أن يسلمه إلى المفضل. وإن أراد [الكشي] أنّه صار خطائياً مدة ثم رجع - كما هو صريح ما رواه هو [أي الكشي] من رواية حماد بن عثمان، ففيه أن صيرورته خطائياً مدة - بشبهة عرضت له - ثم رجوعه عن ذلك بعد تبين الحق له وتوبته عما كان عليه غير قادح في الرجل^(١)...

وقال السيّد الخوئي رحمه الله في معجم الرجال الحديث: والذي يتحصل مما ذكرنا أن نسبة التفويض والخطائية إلى المفضل بن عمر لم تثبت... وأما الروايات الواردة في ذمّه فلا يُعتدّ بما هو ضعيف السند منها، نعم إنّ ثلاث روايات منها تامّة السند، إلا أنّه لا بدّ من ردّ علمها إلى أهلها، فإنها لا تقاوم ما تقدم من الروايات الكثيرة المتضاربة، التي لا يبعد دعوى العلم بصورها عن المعصومين إجمالاً، على أن فيها ما هو الصحيح سنداً، فلا بدّ من حملها على ما حملنا عليه ما ورد من الروايات في ذم زرارة ومحمد بن مسلم وبريد بن معاوية وأضرابهم.

و يؤكد ذلك أنّ الاختلاف إنما هو في الروايات التي رويت عن الصادق عليه السلام، وأما ما روي عن الكاظم والرضا عليه السلام فكلّهما مادحة على ما تقدّم، وهذا يكشف عن أنّ القدح الصادر عن الصادق عليه السلام إنما كان لعلّة.

ويكفي في جلالة المفضل تخصيص الإمام الصادق عليه السلام بإياه بكتابه المعروف بتوحيد المفضل... وفي ذلك دلالة واضحة على أنّ المفضل كان من خواص أصحابه ومورد عنايته.

أضف إلى ذلك ما تقدّم من توثيق ابن قولويه والشيخ المفيد إياه صريحاً، ومن عدّ الشيخ إياه من السفراء المدوحين... والنتيجة أنّ المفضل بن عمر جليل ثقة^(١).

والذي يؤكد جلالة وثاقه وعظمة المفضل بن عمر، وينفي عنه شبهة الخطائية، أنّ الكبار من علماء العامة عدّوه من رؤساء الشيعة الإمامية ومن ذوي الأقدار فيهم، وعدّوه في عداد زرارة وعمار الساباطي، بل سمّوا القائلين بإمامة موسى بن جعفر عليه السلام فرقة «موسوية مفضّلية»، وهذا يؤكد عدم إسماعيليته وعدم خطأيته.

قال أبو الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٣٠ هـ: والقائلون بإمامة موسى بن جعفر يُدْعَوْنَ الموسائية [كذا، والصواب: الموسوية] لقولهم بإمامة موسى بن جعفر، ويُدْعَوْنَ المفضّلية؛ لأنهم نسبوا إلى رئيس لهم يقال له: المفضل بن عمر، وكان ذا قدر فيهم^(٢).

وقال الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ: الموسوية والمفضّلية فرقة واحدة قالت

(١) معجم الرجال الحديث ١٩: ٣٢٨ - ٣٢٩.

(٢) مقالات الإسلاميين ١: ١٠٤.

بإمامة موسى بن جعفر نصّاً عليه بالاسم... وكان موسى هو الذي تولى الأمر وقام به بعد موت أبيه، رجعوا إليه واجتمعوا عليه، مثل: المفضل بن عمر، و زرار بن أعين، و عمار الساباطي^(١).

وأخيراً، فإن المفضل بن عمر من وجهاء الطائفة وكبارها وثقاتها، وإخلاصه لأئمتّه، وملازمته لهم، ورواياته الكثيرة عنهم، تحكي كلّها عن عظمة هذا الرجل وإخلاصه و تفانيه و تحمّله المتاعب والأدوار الخطيرة في سبيل معتقده الحق، فرحم الله المفضل عدد ما ترحّم عليه الأئمة^(٢).

و من كل ما تقدم يُعلم أنّ سند النجاشي إلى كتاب التوحيد هو سند صحيح أو حسنٌ، فقول السيّد الخوئي^(٣): «و الطريق الذي ذكره [النجاشي] إلى كتبه ضعيف»^(٤) آتٍ من تشدّده المتزايد، إذ يبدو أنّ تضعيفه للسند إنّما هو لجهالة أحمد ابن محمد بن يحيى العطار عنده، وقد عرفت أنّه ثقة، ولعدم اعتماده على محمد بن سنان الزاهري، وقد علمت أنّ الصواب خلافه.

السند الثاني

قال الحرّ العاملي^(٥) في إجازته للفاضل المشهدي: وأجزتُ له أن يروي عني كتاب التوحيد و كتاب الاهليلجة و غيرهما من روايات المفضل بن عمر، بالسند السابق عن الصدوق، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن الحسن بن متّيل، عن أحمد

(١) الملل والنحل ١: ١٤٩ - ١٥٠.

(٢) معجم رجال الحديث ١٩: ٣٣٠.

ابن أبي عبدالله، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن الفضل بن عمر^(١).
 وهذا السند هو سند الصدوق في المشيخة، حيث قال: وما كان فيه عن الفضل
 ابن عمر فقد رويته عن محمد بن الحسن^(٢)... إلخ.
 وهذا الطريق صحيح بناء على وثاقة محمد بن سنان، وإلا فهو ضعيف^(٣)، غير
 أن هذا السند مختص بروايات الفضل في الفقيه، وقد تتبعناها فلم نَرَ فيها ولا رواية
 عن التوحيد، بل تتبعنا كتب الصدوق - وخصوصاً كتابه التوحيد - فلم نَرَ رواية
 بهذا الإسناد، فالظاهر أن تعميم الحرّ العاملي عليه السلام هذا الإسناد إلى كتاب توحيد
 الفضل والاهليلجة فيه تساهل.

و أما سند المجلس الخامس

فإن أبا الحسن محمد بن علي الحلبي^(٤) هو تلميذ الحسين بن حمدان
 الخنصبي، ومن أعلام طائفة العلويين، ولم نقف له على ترجمة في كتب أصحابنا،
 غير أن في مقدّمة كتاب الهداية الكبرى نقلاً عن مصادر العلويين ذكر في وفاة
 الخنصبي ما نصّه: وشهد وفاته بعض تلامذته ومريديه، منهم أبو محمد القيس
 البديعي، وأبو محمد الحسن بن محمد الاعزازي، وأبو الحسن محمد بن علي

(١) إجازة الحرّ العاملي للفاضل المشهدي المطبوعة في البحار ١١٠ : ١١٩ - ١٢٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤ : ٤٣٥.

(٣) قال السيد الخوئي في معجم رجال الحديث ١٩ : ٣٣٠ والطريق كطريق الشيخ إليه ضعيف
 وليس في هذا الطريق ما يصح للطعن غير محمد بن سنان.

(٤) في خاتمة المستدرک: «الحسين بن محمد بن علي الحلبي». والصواب أنه أبو الحسن - أو
 الحسين - محمد بن علي الحلبي.

الجلِّي^(١)، ودفن في حلب^(٢) ...

وفي نسخة من ديوان الخصبي: ديوان قدوة الزمان وإمام الوقت والأوان، السيد أبي عبدالله الحسين بن حمدان، عليه الرحمة والرضوان، وهو مما رواه الشَّابُّ الثقة أبو سعيد ميمون بن قاسم الطبراني^(٣)، قال: أنشدني الشيخ الثقة أبو الحسين محمد بن علي الجلِّي قدس الله روحه بحلب سنة ٣٩٩ تسعة وتسعين وثلاثمائة، قال: سمعته من الشيخ الخصبي قدس الله روحه وشرف مقامه تحت قلعة حلب^(٤) ...

وأما أبو عبدالله الحسيني^(٥) بن أحمد الصيني، فهو مصحَّف عن أبي عبدالله الحسين بن حمدان الحُصْبِي، المولود سنة ٢٦٠ هـ، والمتوفَّى سنة ٣٣٤ هـ أو ٣٤٦ هـ أو ٣٥٨ هـ^(٦)، وآخرها أصوبها.

قال النجاشي: كان فاسد المذهب، له كتب، منها: كتاب الاخوان، كتاب المسائل، كتاب تاريخ الأئمة، كتاب الرسالة تخطيط^(٧).

وقال ابن الغضائري: كذاب، فاسد المذهب، صاحب مقالة ملعونة، لا يلتفت إليه^(٨).

(١) هكذا ضبطت قلم بالجم، وهي نسبة صحيحة. انظر إكمال الكمال ٢: ١١١ و ١١٣.

(٢) مقدمة الهداية الكبرى: ٥.

(٣) الصفحة الأولى من النسخة ب من ديوان الخصبي، الموجودة صورتها في أول ديوانه: ٢٤.

(٤) وفي خاتمة المستدرك: الحسين، وهو الصواب.

(٥) انظر الذريعة ١: ٣٢٠ / ١٦٥٧، ومقدمة الهداية الكبرى: ٥، ومقدمة ديوان الخصبي: ٩.

(٦) رجال النجاشي: ٦٧ / ١٥٩.

(٧) مجمع الرجال ٢: ١٧٢.

وقال الشيخ الطوسي: روى عنه التلعكبري^(١)، سنة ٣٤٤ هـ^(٢).
وقد دافع عنه بعض المتأخرين، كالسيد الأمين في أعيان الشيعة^(٣)، والظاهر أنَّ
عمدة القدرح فيه هو فساد المذهب والتخليط، وأما كونه كذاباً كما سمعت عن ابن
الغضائري، أو كونه قائلاً بالتناسخ والحلول كما عن ابن حجر، فلا دليل عليه، وكأنه
لذلك لم يقدحه الشيخ الطوسي.

قال ابن حجر: الحسين بن حمدان بن الخطيب الخصيبي، أحد المصنفين في فقه
الإمامية، ذكره الطوسي والنجاشي وغيرهما، وله من التأليف: أسماء النبي وأسماء
الأئمة والاخوان والمائدة، وروى عنه أبو العباس ابن عقدة وأثنى عليه، وقيل أنه
كان يؤمّ سيف الدولة، وله أشعار في مدح أهل البيت، وذكر ابن النجاشي أنه خلط
وصنف في مذهب النصيرية واحتج لهم، قال: وكان يقول بالتناسخ والحلول^(٤).
وفي كلامه هذا افتراء على النجاشي إذ ليس من هذا الكلام عين ولا أثر في
كتابه، كما أنَّ في كلامه افتراء على الخصيبي من أنه قائل بالتناسخ والحلول إذ لا أثر
لذلك فيما وقفنا عليه من مؤلفاته ومروياته^(٥).

وأما جعفر بن مالك الفزاري الكوفي، فقد وقع الاختلاف فيه، والصواب أنه
ثقة. توفي حدود سنة ٣٠٠ هـ.

(١) رجال الشيخ الطوسي: ٤٢٣ / ٦٠٩٨.

(٢) الذريعة ١: ٣٨٢ / ١٩٧٨.

(٣) أعيان الشيعة ٥: ٤٩٠ - ٤٩١.

(٤) لسان الميزان ٢: ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٥) انظر الهداية الكبرى، وديوان الخصيبي، وأخبار يوم الغدير، كلها للخصيبي وهي
مطبوعة.

قال الشيخ الطوسي: جعفر بن محمد بن مالك، كوفي ثقة، و يضعفه قوم، روى في مولد القائم عليه السلام أعا جيب^(١).

وقال الكوفي في الاستغاثة: حدثنا جماعة من مشايخنا الثقات منهم جعفر بن محمد بن مالك الكوفي^(٢).

وقد روى عنه أبو علي بن همام وأبو غالب الزراري وعلي بن إبراهيم، وهو يكشف عن توثيقه.

وكان أستاذ الحسين النخعي حيث أكثر الرواية عنه في الهداية الكبرى، وقال: وكان جعفر بن مالك راوياً علوم آل محمد عليه السلام، وكان الحسن عمه من فقهاء شيعة آل محمد عليه السلام^(٣).

قال النجاشي: كان ضعيفاً في الحديث. قال أحمد بن الحسين [الغضائري]: كان يضع الحديث وضعاً، ويروي عن المجاهيل. وسمعت من قال: كان أيضاً فاسد المذهب والرواية. ولا أدري كيف روى عنه شيخنا النزيل الثقة أبو علي بن همام، وشيخنا الجليل الثقة أبو غالب الزراري رحمهما الله^(٤).

وقال ابن الغضائري: كذاب، متروك الحديث جملة، وكان في مذهبه ارتفاع، ويروي عن الضعفاء والمجاهيل، وكل عيوب الضعفاء مجتمعة فيه^(٥).

وذكر النجاشي في ترجمة محمد بن أحمد بن يحيى استثناء ابن الوليد والصدوق

(١) رجال الشيخ الطوسي: ٤٥٨ / ٤ في من لم يرو عن الأئمة.

(٢) الاستغاثة في بدع الثلاثة ٢: ٧٦.

(٣) الهداية الكبرى: ٧٠ / ح ٢٤.

(٤) رجال النجاشي: ١٢٢ / ٣١٣.

(٥) مجمع الرجال ٢: ٤٢.

من رواياته ما رواه عن جمع منهم جعفر بن محمد بن مالك، واستصواب أبي العباس ابن نوح استثناءهما^(١).

قال المامقاني: وتحقيق المقال أنّ الأقوى كون الرجل ثقة، اعتماداً على توثيق الشيخ المؤيد بأمور، فمنها: كشف رواية أبي علي بن همام وأبي غالب الزراري عنه عن توثيقهما إياه كما لوّح إليه النجاشي ... ومنها ما عن كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة ... ومنها رواية البرزفري وابن عقدة عنه وكونه كثير الرواية وإكثار المشايخ الرواية عنه، فلا شبهة لنا في لزوم الاعتماد على توثيق الشيخ المؤيد بما عرفت^(٢) ...

ثم قال ما ملخصه: إنّ النجاشي لم يضعفه، وإنما قال أنّ أحاديثه ضعيفة من جهة تضمّنها الأعاجيب، وكلام ابن الغضائري لا قيمة له، ونسبة الغلو والارتفاع إليه باطلة؛ إذ كثيراً ما كانوا يضعفون ويرمون بالارتفاع من يروي روايات فيها مقامات لا يدركونها، وإلى ذلك أشار الشيخ الطوسي رحمه الله، هذا إن لم يكن منشأ تضعيف النجاشي هو تضعيف ابن الغضائري.

وأما استثناء ابن الوليد والصدوق واستصواب ابن نوح، فإنّ ذلك ليس لضعف جعفر بن محمد بن مالك، وإنما لخصوصية في الروايات، ويشهد له أنّ في المستثنى من هو مسلم الثقة والعدالة والضبط، كما يشهد له أنّ الصدوق روى عن جعفر بن محمد بن مالك روايات كثيرة بغير طريق محمد بن أحمد بن يحيى^(٣).

(١) انظر رجال النجاشي: ٣٤٨ / ٩٣٩. وانظر الفهرست: ١٤٥ / ٦١١.

(٢) تنقيح المقال ١: ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٣) تنقيح المقال ١: ٢٢٦. وانظر تهذيب المقال ٤: ٤٢١ - ٤٦٤.

و أمّا عبدالله بن يونس الموصلي، فلم نقف له على ترجمة، نعم هناك أخوان راويان ثقتان، سمع منهما التلعكبري سنة ٣٢٦ هـ، وهما أبو الحسن عبدالعزيز بن عبدالله بن يونس الموصلي^(١)، وأبو القاسم عبدالواحد بن عبدالله بن يونس الموصلي^(٢).

و هناك راو باسم عبدالله بن يونس السبيعي، روى عن المفضل بن عمر، و روى عنه محمد بن شهاب^(٣) و نفس هذا الرواي روى الخصب في الهداية الكبرى عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري، عنه، عن المفضل بن عمر^(٤)، كما روى عن جعفر ابن محمد بن مالك، عنه (باسم عبدالله السبيعي) عن المفضل بن عمر^(٥) و لعلّ السبيعي هو نفسه الموصلي، و أنّه هو والد عبدالعزيز و عبد الواحد الموصليّان، يؤيد ذلك ما في أمالي المفيد و أمالي الطوسي «عبدالواحد بن عبدالله بن يونس الربيعي، قال: حدثنا الحسين بن محمد بن عامر»^(٦)، فإنّ عبدالواحد هذا هو نفسه أبو القاسم عبدالواحد بن عبدالله بن يونس الموصلي الذي يروي عن الحسين بن محمد بن عمران بن عامر الأشعري. فيكون الأب و ابنه سبيعيّين أو ربعيّين محتداً، موصليّين نسبةً أو مسكناً أو مولداً.

و كيف كان فإنّ عبدالله بن يونس الموصلي مجهول شخصاً، و عبدالله بن يونس

(١) رجال الطوسي: ٤٣١ / ٦١٨٣.

(٢) رجال الطوسي: ٤٣١ / ٦١٨٤.

(٣) انظر معجم رجال الحديث ١١: ٤٠٩ / ٧٢٤٩، و تهذيب الاحكام ٦: ٣٧ / ح ٧٥، و فرحة الغري: ١١٢.

(٤) انظر الهداية الكبرى: ٣٧.

(٥) انظر الهداية الكبرى: ٣٨.

(٦) أمالي المفيد: ٣١٢ ح ٥، و أمالي الطوسي: ٨٠ / ح ١٢٠.

السبيعي مجهول حالاً.

وأما محمد بن صدقة العبدي، فلم يرد في تباشير الحكمة، وورد في خاتمة المستدرك، وعلى فرض وجوده في السند فإنه مصحف عن محمد بن صدقة الغنبري البصري، أبي جعفر.

روى عن الإمام الكاظم عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام، وله كتاب عن موسى بن جعفر عليه السلام ^(١).

وفي رجال الطوسي عدّه من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام قائلاً: محمد بن صدقة الغنبري ^(٢).

وعدّه مرة أخرى في أصحاب الإمام الرضا عليه السلام قائلاً: محمد بن صدقة، بصري غالٍ ^(٣).

والظاهر أنه إمامي، لكنّه مجهول الحال، إذ في غلوّه تأمل، خصوصاً بعد سكوت النجاشي عن ذلك. وتوثيق المامقاني إياه برواية إبراهيم بن المنذر الحزامي ^(٤) - أو الحزامي كما هو الصواب - مجازفة، وكذلك إيراد السيد الخوئي رحمته الله روايته هذه وقوله أنّها صريحة وثاقته إلا أنّ طريقها ضعيف بعدة مجاهيل ^(٥)، لا محصل له، لأنّ هذه الرواية هي رواية عاميّة وإن رواها الشيخ الطوسي في أماليه ^(٦)، ومحمد بن صدقة

(١) انظر رجال النجاشي: ٣٦٤ / ٩٨٣.

(٢) رجال الشيخ الطوسي: ٣٥٩ / ٨.

(٣) رجال الشيخ الطوسي: ٣٩١ / ٦٠.

(٤) انظر تنقيح المقال ٣: ١٣٣.

(٥) انظر معجم رجال الحديث ١٧: ١٩٩ / ١١٠٠٤.

(٦) أمالي الطوسي: ٣٩٩ / ح ٨٨٩.

فيها هو القدكي العامي^(١)، لا العنبري الإمامي.

هذا وكان العنبري قد روى عن محمد بن سنان و روى عنه محمد بن سنان.

وأما محمد بن سنان الزاهري، فقد مرّ الكلام فيه وأنّ الصواب أنّه ثقة.

وأما صفوان بن يحيى الكوفي، فهو البجلي، بيّاع السابري المتوفى سنة

٢١٠هـ، من أصحاب الإمام الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام، و روى عن أربعين

رجلاً من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، له كتب كثيرة، وهو ثقة ثقة عين، ومن

أصحاب الإجماع، توفي بالمدينة وبعث إليه الإمام الجواد عليه السلام بجنوطه وكفنه، وأمر

إسماعيل بن موسى بالصلاة عليه^(٢)، وهو لو ثاقته غني عن الكلام.

وأما المفضل بن عمر الجعفي، فهو ثقة وقد مرّ الكلام فيه.

يبقى أن كلّاً من عبدالله بن يونس، ومحمد بن صدقة، ومحمد بن سنان، وصفوان

ابن يحيى كانوا في طبقة واحدة، وكلّ منهم سمع أو يصلح أن يسمع من المفضل

مباشرة، ورواية المتعاصرين عن بعضهم وإن كانت غير عزيزة إلا أنّ رواية

الرواي بثلاث وسائط من معاصريه عمن يستطيع الرواية عنه مباشرة أمر في غاية

النُدرة، فمن غير البعيد أن يكون أصل الإسناد «عن عبدالله بن يونس الموصلي،

ومحمد بن صدقة العنبري، ومحمد بن سنان الزاهري، وصفوان بن يحيى الكوفي،

عن المفضل بن عمر الجعفي»، خصوصاً وإنّ أغلب روايات جعفر بن مالك الفزاري

عن المفضل إنّما هي بواسطة واحدة أو واسطتين.

(١) انظر الحد الفاصل للرامهرمزي: ٤٠٣، والتبيين لأسماء المدلسين لسبط ابن العجمي:

٥١. و انظر لسان الميزان ٥: ٢٠٦ حيث عقد ترجمة له، ثم عقد ترجمة أخرى لمحمد بن

صدقة الراوي عن موسى بن جعفر الصادق.

(٢) انظر معجم رجال الحديث ١٠: ١٣٤ - ١٤١ / ٥٩٣٢.

ومهما يكن الأمر فإن هذا السند ضعيف^(١) على الأقل من جهة أبي الحسن محمد ابن علي الجليّ، وعبدالله بن يونس الموصلّي، غير أنّ ما يهوّن الخطب هو أنّ الكتاب برؤمته لا تتوقف مطالبه على صحة الخبر، بل هو استدلالات وبراهين على وجود الصانع، ومطالبه معتزدة بالأدلة العقلية الدقّية مضافاً إلى المرويات الصحاح عن أهل البيت في هذا المضمار.

قال المجلسي: ولذكر بعد ذلك توحيد المفضل بن عمر، ورسالة الاهليلجة المرويتين عن الصادق عليه السلام لاشتغالها على دلائل وبراهين على إثبات الصانع تعالى، ولا يضّر إرسالها^(٢) لاشتغال انتسابها إلى المفضل، وقد شهد بذلك السيد ابن طاووس وغيره... مع أنّ متن الخبرين شاهد صدق على صحتها، وأيضاً هما يشتملان على براهين لا تتوقف إفادتها العلم على صحة الخبر^(٣).

نسخ الكتاب و منهج التحقيق:

اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب على أربع نسخ خطية مضافاً إلى مطبوعة النجف الأشرف، فكانت تضم المجالس الأربعة من كتاب التوحيد، والنسخ هي:

(١) بل في متن الملجس الخامس بعض التعابير التي يستخدمها النصيرية، كالتعبير عن رسول الله ﷺ بالسيد الميم، وعن ظاهر صفة أمير المؤمنين عليه السلام بالصورة الأنزعية. انظر ص ٤٢ من رسالة أخبار يوم الغدير نقلاً عن الحسين الخصيبي.

(٢) الظاهر أنّ المجلسي رحمه الله غفل عن سند النجاشي لكتاب التوحيد، أو أنّ كلامه منصبّ على نسخه الموجودة حيث إنّها كلّها خالية عن الإسناد، وكون ما في هذه النسخ هو ما رواه النجاشي أمرٌ غير محقّق.

(٣) بحار الأنوار ٣: ٥٥.

١ - نسخة مكتبة أحمد بن موسى عليه السلام (شاهچراغ) بشيراز، المحفوظة برقم ٢٣٠، وهي بخط النسخ، كتبها حسين بن شمس الدين محمد الاصفهاني، وفرغ من كتابتها في يوم الجمعة ٢٢ شعبان سنة ١٠٧٤ هـ. وهي مكوّنة من ٩٥ صفحة، في كل صفحة ١٥ سطراً، وهي بحجم $١٣ \times ١٩/٥$ سم. وتماز هذه النسخة بوفرة شروح الكلمات الغامضة وضبط ما يحتاج إلى الضبط من الكلمات. وقد رمزنا لها بالحرف «أ».

٢ - نسخة مكتبة آية الله العظمى السيّد المرعشي النجفي عليه السلام ضمن المجلّد الثاني من كتاب «بحار الأنوار» تأليف العلامة المجلسي عليه السلام برقم ٧٢٣٢، وهي بخط النسخ، مكوّنة من ٢٧٤ ورقة، وكتاب التوحيد من الورقة ١١٦ - ١٤٢، في كلّ صفحة ٢٣ سطراً، وهي بحجم $١٨ \times ٢٥/٥$ سم. والنسخة نفيسة مصحّحة مضبوطة محرّكة، من القرن الحادي عشر، كتبها بعض كاتبي العلامة المذكور، وعليها حواش وتصحيحات بخطه الشريف وعلى حواشها نُسخُ بدل تتطابق في أغلب مواردّها مع التوحيد المطبوع في البحار، وقد رمزنا لها بالحرف «ب».

٣ - نسخة مكتبة الفاضلي بخوانسار، المحفوظة برقم ٢١، وهي بخط النسخ الجلي، كتبها جعفر بن غازي الرازي، وفرغ من كتابتها في عصر يوم السبت ١٥ ربيع الأول سنة ١٠٩٢ هـ في بلدة رشت.

وكتب في هامش الصفحة الأخيرة منها: قوبل وصحّ بقدر الوسع والطاقة والشروع في مقابلته وإتمامه أيضاً في يوم الأحد الثاني يوم ختم كتابته والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

وهي مكوّنة من ١٢٠ ورقة، في كل صفحة ١٢ سطراً، وهي بحجم $١٣/٥ \times ١٩$. وتماز هذه النسخة مضافاً إلى شرح الكلمات الغامضة في الهامش بوفرة نسخ البدل

بشکل کبیر جدا بحیث تکاد تستوعب کلّ الوجوه. وقد رمزنا لها بالحرف «ج».

٤ - نسخة مكتبة جامعة الالهيّات في مشهد المقدّسة، المحفوظة ضمن مجموعة برقم ٩٣٧، وهي بخط النسخ، مجهولة الكاتب، والنسخة بحجم ١٦ × ٢٤/٥ سم، ونسخة التوحيد مؤلفة من ٤٧ ورقة، وأسطر صفحاتها ما بين ١٨ - ٢١.

وقد قابل نسخة التوحيد المحدث صالح بن عبد الكريم البحراني في ٩ محرم الحرام سنة ١٠٨٠ هـ. وهي نسخة سليمة المتن، نادرة الشروح ونسخ البدل في الهوامش. وقد رمزنا لها بالحرف «د».

٥- مطبوعة النجف الأشرف بتحقيق كاظم المظفر، وقد رمزنا لها بالحرف «ن» .
وأما المجلس الخامس، فقد اعتمدنا في تحقيقه على ما في كتاب تباشير
(أوطباشير) الحكمة، لأبي القاسم بن محمد الحسيني الشيرازي المعروف بـ
آقا ميرزا، والمتخلص بـ «راز شيرازي»، وقد اعتمدنا على طبعته الحجرية المطبوعة
بشيراز سنة ١٣١٩ هـ ق، وعلى الطبعة الحروفية المطبوعة بشيراز سنة ١٣٩٣ هـ،
انتشارات خانقاه أحمدى.

وقد اتبعنا في تحقيق الكتاب الأسلوب التلفيقي بين النسخ، وانتخاب المتن الأقرب للصواب، وذلك عبر المراحل التالية:

١- عيّنا النسخ التي يكون عليها مدار التحقيق و حصلنا على مصوّراتها.

٢- قابلنا النسخ الخطية و أثبتنا ما بينها من اختلافات.

٣- انتخبنا النصّ الأقرب للصواب وأثبتناه في المتن، وذكرنا ما يخالف النصّ المنتخب في الهامش.

٤- حصرنا الآيات القرآنية بين الأقواس المزهرة ﴿ ٥ ﴾ .

٥- كل ما حصرناه بين القوسين () أشرنا إلى النسخة أو النسخ الساقط منها ما

بينها، أو الاختلاف في النص المحصور بينها.

٦- كل ما حصرناه بين المعقوفين [] أشرنا إلى مأخذنا فيه، وإلا فهو من عندنا.

٧- هناك اختلافات في ضبط المتن بين النسخ، وكل ضبط له وجه وجيه، وبما أن المتن للمعصوم عليه السلام رأينا عدم ترجيح ضبط على آخر، واكتفينا بضبط الموارد التي يتوقف فهم النص عليها، وعلى ضبط المفردات الغامضة.

٨- وضعنا شروح العلامة المجلسي عليه السلام ملحقة بعد تمام متن كتاب فكر المعروف بتوحيد المفضل، وأشرنا إلى الصفحة أو الصفحات المذكور فيها الكلام المشروح، وتركنا ذكر ذلك في الهوامش تحجباً لتكثيرها، وحفاظاً على النص الخالص.

وقبل الختام نتقدم بفائق الشكر والامتنان إلى سماحة حجة الإسلام السيد حسن الموسوي البروجردى، لمساعدته الدؤوبة التي بذلها في سبيل إحياء هذا الكتاب، فله درّه وعليه أجره.

هذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

١ / محرم الحرام / ١٤٢٧ هـ . ق

قيس المطار

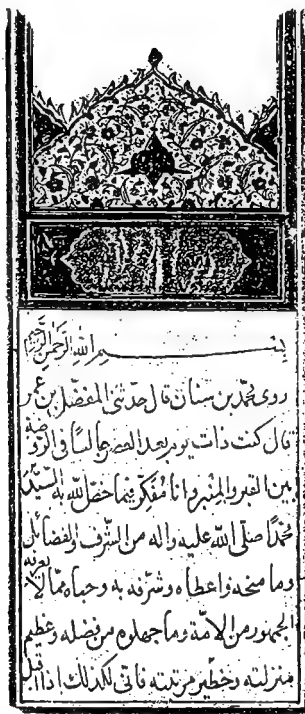
نماذج من صور النسخ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَفَضْلُ الْكُتُبِ وَالْجَنَّةِ الْمَوْفُورَةِ

وَالْيُسْرَى

تَرْضَاهَا نَسْتَدْعِيكَ عَلَى أَنْ تُقَرِّبَهُ قَبْرَهُ إِلَى الْبَاءِ الْكَافِي وَقَدْ سَلِمَ بِهَا
وَقَدْ مَلَأَ بِهَا تَارِكُ اللَّهِ أَمْرَهُ الْقَيْنَ يَسْتَفْهِمُ أَتَيْتُكَ وَأَعْنَدُ مَا مَوْكِدُ كُنْ
لِرَبِّكَ لِكْرِي وَكَأَنَّمَا لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ لَطِيفِينَ فَتَدْرِكُ لَكَ غَرَابُ
مَلِكِي وَالشُّعْرَاءُ عَلَى صَوْلَةِ الْعَدِيدِ يَلِدُ لَكُمْ وَجْهٌ لَكُمْ فَتَدْرِكُ وَذِكْرُ
يُنَادِي بِشَيْءٍ نَعَلْتُ بِمَوْتِكَ بِسَوَايَ لَقِيْتُ ذَلِكَ وَلَقَدْ أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَضَ
يَدِهِ عَلَى صَدْرِي فَتَدْرِكُ أَشْرَ اللَّهُ وَلَا تَسْأَلُ أَشْرَ اللَّهُ تَعَالَى فَتَدْرِكُ أَشْرَ اللَّهُ تَعَالَى
فَالْكَوْنُ تَرَى نَفْسَكَ بِأَنْفُسِ نَفْسِكَ تَدْرِكُ تَدْرِكُ تَدْرِكُ تَدْرِكُ تَدْرِكُ تَدْرِكُ
كَتَبْتُ وَصَادَكَ كَلْبُ بَرِيٍّ كَانَا أَقْرَبَ مِنْ كَلْبِي لِكَلْبِي وَكَانَ كَلْبِي لِكَلْبِي وَتَدْرِكُ
فَتَدْرِكُ تَدْرِكُ تَدْرِكُ تَدْرِكُ تَدْرِكُ تَدْرِكُ تَدْرِكُ تَدْرِكُ تَدْرِكُ تَدْرِكُ
مَلِكُ الْمَلِكِ وَالْأَرْضُ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِيهَا مِنْ حَيَاةٍ خَلَقَهُ وَأَصَابَ الْخَلْقَ وَصَوْنُ
وَمَلَأَهُمْ وَمَلَأَهُمْ الْمَسْدُ مَا خَلَقَ مِنْ لَحْنٍ وَالْأَرْضُ وَالْأَرْضُ وَالْأَرْضُ
وَأَقْرَبُ لَوْ كَانَ لَوْ كَانَ لَوْ كَانَ لَوْ كَانَ لَوْ كَانَ لَوْ كَانَ لَوْ كَانَ لَوْ كَانَ
بِالْكَانِ الرَّبِّعِ وَصَوْنُكَ عَلَى الْخَيْرِ مِنْ مَوْجِدِ الْمَأْنِ الصَّدَى وَلَا تَسْأَلُ بَعْدَ
فَتَدْرِكُ لَكَ تَدْرِكُ أَتَدْرِكُ تَدْرِكُ تَدْرِكُ تَدْرِكُ تَدْرِكُ تَدْرِكُ تَدْرِكُ
وَقَدْ نَزَلَ مِنْ سَحَابٍ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْبَاقِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ أَرْبَعِينَ
بَعْدَ الْكَلْبِ عَلَى الْبَعْدِ الْبَاقِي وَجَدَ مِنْ شَعْبَانَ الْبَعْدِ
الْأَصْلَ الْبَاقِي مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى حَلِيًّا
سَلَامًا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَفَضْلُ الْكُتُبِ وَالْجَنَّةِ الْمَوْفُورَةِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 روى محمد بن سنان قال حدثنا الفضل بن عمر قال كنت ذات يوم
 بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر وأنا متفكر في ما خلقه الله
 برسبدينا محمد صلى الله عليه وآله من الشرف والفضائل وما خلقه
 وأعطاه وشرفه وجناه مما لا يعرفه للبشر من الآله وما جعلوه
 من فضله وعظم منزلته وخطير مرتبته فأتني لكذا لئلا أفتل ابن
 أبي العوجا فجلس بحيث أسمع كلامه فلما استقر المجلس إذا رجل
 من أصحابي قد جاء فجلس إليه فتكلم ابن أبي العوجا فقال لقد بلغ
 صاحب هذا القبر العز كماله وحاز الشرف بجميع خصاله والخطوة
 في كل حاله فقال له صاحبه إنه كان فليست فإدعى المرتبة العظمى
 والمنزلة الكبرى وأنى علمك بمجرات بهرت العقول وضللت فيها
 الأعلام وغاصت الأبواب على طلب علمها في مجاز الفكر في حيث
 غائبات وهي حير فلما استجاب لدعوتها العلاء والفصحاء
 والخطباء دخل الناس في دينه أفواجا ففرق اسم به اسم ناس من أخصا
 بهتف بر على رؤس الصوامع في جميع البلدان والمراضع التي انتهت

أكثر
 من
 الخطوة
 والخطوة
 وهي

في
 من
 من
 من

و
 من
 من
 من

وصفهم بمقاماتهم وطريقهم إلى السعادة فلهذا وما إلى ذلك من الجليل
والأدنى السبعة السعديين ما في ذلك حتى يكون ما وصفتهم من أجله
إذا كانت حصة جملتها كانت ما بالمكان والرفع وصرفه عن غيره
الذين من موضع هذا السعد ولا بأس من عامه ذلك حتى أحسن ذلك ولا
قال للفضل فأنشئت من عند من لا يما إلى منصرف أحسنه والحمد لله

العالَمين

هذا هو الكتاب الذي
هو من كتب السيرة
التي هي من كتب
التي هي من كتب
التي هي من كتب
التي هي من كتب
التي هي من كتب
التي هي من كتب
التي هي من كتب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال صديق محزون سعيد الخدي بنديق فلاح حتى مجرب على سهر الله
عمره من جدته قال كتب الفضل بن عمر البغدادي إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد
بعلان أقول ما ظهر من أهل هذه الأمة كجرون الرمي من رجا دون خلق الله
وإسأل الله وطلبهم فلهم ويخرج على جراد عواجب ما أجب على غيرهم
فكتب أبو عبد الله عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم
أما بعد وقد علمت طاعت الطاعة والحب لئلا تلت رضى ابن رضى رضى كما به
تذكر في ما ظهر من خلق الله من قوم من أهل الحاد بالروية فذكر في هذا
واشتد خصوصتهم ونسل إلى عليهم وانتم لما في أيديهم بما روت على
فيهم من أهل البدع والاختلاف ونحن نحمد الله على النور الساطع والجليل العالمة
والديلة المحمديين العالمة فانهم العظام علينا والأكرام أينا بما انهم على
خلفه من معرفتنا وأمرهم كما يا خبر شفاه لما في الصدور من أمواتنا والأول
ومشغلات الأمور ولم يدع لهم ولا نبي من خلفه حامية إلى سواء قد جعل الله
نعظم شكرها واستعين بالله عليهم واستغنى عنهم والله غنى محمد وآله

تکاب فکر
المعروف بـ "توقيد الهمم" من

بسم الله الرحمن الرحيم

[كلام ابن أبي العوجاء مع صاحبه]

روى محمد بن سنان، قال: حدثني^(١) المفضل بن عمر، قال: كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر، وأنا مفكر فيما خصَّ الله تعالى به سيدنا^(٢) محمدًا ﷺ من الشرف والفضائل، وما منحه وأعطاه وشرفه به^(٣) وحباه، مما لا يعرفه الجمهور من الأمة وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته، وخطر^(٤) مرتبته، فإني لذلك إذ أقبل ابن أبي العوجاء فجلس بحيث أسمع كلامه، فلما استقرَّ به المجلس إذا^(٥) رجل من أصحابه قد جاء فجلس إليه، فتكلَّم ابن أبي العوجاء

(١) في «ب» «د»: حدثنا.

(٢) في «أ» «ج»: السيد. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٣) ليست في «ن» «د».

(٤) في «ب» «د» ونسخة بدل من «ج»: وخطر.

(٥) في «ن»: إذ.

فقال: لقد بلغ صاحب هذا القبر العزَّ بكماله، وحاز الشرف بجميع خصاله، ونال الحظوة في كلِّ أحواله.

فقال له صاحبه: إنَّه كان فيلسوفاً أدَّعى المرتبة العظمى، والمنزلة الكبرى، وأتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول، وضلَّت فيها الأحلام، وغاصت الأبواب على طلب علمها في بحار الفكر، فرجعت خاسئات وهي حُسْر^(١)، فلمَّا استجاب لدعوته العقلاء والفصحاء والخطباء، دخل الناس في دينه أفواجاً، فقرن اسمه باسم ناموسه، فصار يهتف به على رؤوس الصوامع، في جميع البلدان والمواضع، التي انتهت إليها دعوته، وعَلَّت بها^(٢) كلمته، وظهرت فيها حجَّته براءً وبحراً، و^(٣) سهلاً وجبلاً، في كلِّ يوم وليلة خمس مرَّات مُردِّداً في الأذان والإقامة^(٤)، ليتجدَّد في كلِّ ساعة ذكره، و^(٥) لئلاَّ يَحْمَلَ أمره.

فقال ابن أبي العوجاء: دع ذكر محمَّد فقد تحيَّر فيه عقلي، وضلَّ في أمره فكري، وحدَّثنا في ذكر الأصل الذي يُمَشَّى به^(٦).. ثمَّ ذكر ابتداء الأشياء، وزعم أنَّ ذلك بإهمال لا صنعة فيه ولا تقدير، ولا صانع له^(٧) ولا مدبِّر، بل الأشياء تتكوَّن من ذاتها بلا مدبِّر، وعلى هذا كانت الدنيا لم تزل ولا تزال!

(١) في «أ» «ب» «ج» «د»: حسير.

(٢) في «ن»: «وعلتها» بدل «وعلت بها».

(٣) الواو ليست في «ن».

(٤) في «ج»: «والإقامات».

(٥) الواو ليست في «ب» «د».

(٦) في «أ» «ن» ونسخة بدل من «ج»: نمشي له. وفي نسخة بدل من «ب»: يسمَّى به.

(٧) ليست في «ن».

[محاورة المفضل مع ابن أبي العوجاء]

قال المفضل: فلم أملك نفسي غضباً وغيظاً وحنقاً، فقلت: يا عدوّ الله، أحدث في دين الله، وأنكرت الباري جلّ قدسه الذي خلقك في أحسن تقويم، وصورك في أتم صورة، ونقلك في أحوالك حتّى بلغ بك^(١) إلى حيث انتهيت، فلو تفكّرت في نفسك وصدقك لطيف حسّك^(٢)، لوجدت دلائل الربوبية وآثار الصنعة فيك قائمة، وشواهد جليّة وتقدّس في خلقك واضحة، وبراهينه لك لا تحصى.

فقال: يا هذا، إن كنت من أهل الكلام كلّمنّاك، فإن ثبتت لك حجة تبعاك، وإن لم تكن منهم فلا كلام لك، وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا يُخاطبنا^(٣)، ولا بمثل دليلك يُجادلنا^(٤)، ولقد سمع من كلامنا أكثر ممّا سمعت، فما أفحش في خطابنا، ولا تعدّى في جوابنا وإنّه للحليم^(٥) الرزين، العاقل الرصين، لا يعتريه خُرق ولا طيش ولا نَزَق، يسمع^(٦) كلامنا ويصغي إلينا ويستعرف^(٧) حجّتنا، حتّى إذا استفرغنا ما عندنا، وظنّنا أنّا قد^(٨) قطعناه، دحض^(٩) حجّتنا

(١) ليست في «أ» «ج» «ن».

(٢) في «د»: جسمك.

(٣) في «ن»: تخاطبنا.

(٤) في «أ» «ج» «د» ونسخة بدل من «ب»: يجادل فينا. وفي «ن»: تجادلنا. والمثبت عن متن «ب».

(٥) في «ن»: الحليم.

(٦) في «ب»: ويسمع.

(٧) في «د»: ويستفرغ. وفي «ن»: ويتعرف.

(٨) ليست في «ن».

(٩) في «أ» «ب» «د» ونسخة بدل من «ج»: أدحض. وكلاهما لغة صحيحة.

بكلام يسير، وخطاب قصير، يُلْزِمنا به الحُجَّة، ويقطع العذر، ولا نستطيع لجوابه رداً، فإن كنت من أصحابه فخطابنا بمثل خطابه.

[سبب إملاء الكتاب على المفضل]

قال المفضل: فخرجت من المسجد محزوناً مفكراً^(١) فيما يلي به الإسلام وأهله من كفر هذه العصابة وتعطيلها، فدخلت على مولاي ﷺ فرآني منكسراً، فقال: ما لك يا مفضل^(٢)؟ فأخبرته بما سمعت من الدهريين وبما^(٣) رددت عليها، فقال: يا مفضل^(٤)، لألقين إليك^(٥) من حكمة الباري جلّ وعلا وتقدّس اسمه - في خلق العالم والسباع والبهائم والطيور والهوام وكلّ ذي روح من الأنعام والنبات والشجرة^(٦) المثمرة وغير ذات الثمر والمحبوب والبقول؛ المأكول من ذلك وغير المأكول - ما يعتبر به^(٧) المعتبرون، ويسكن إلى معرفته المؤمنون، ويتحيرّ فيه الملحدون، فبكرّ عليّ غداً.

(١) في «ج»: متفكراً.

(٢) قوله «يا مفضل» ليس في «ب» «ج» «د» «ن».

(٣) في «ج» «د»: وما. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٤) قوله «يا مفضل» ليس في «ب».

(٥) في «ن»: عليك.

(٦) في «ج» «د»: والشجر. وأدخلت التاء في متن «ب» عن نسخة.

(٧) ليست في «ج» «د».

المجلس الأوّل

قال المفضّل: فانصرفت من عنده فرحاً مسروراً، وطالت عليّ تلك الليلة انتظاراً لما وعدني به، فلما أصبحت غدوت^(١) فاستؤذن لي فدخلت، وقت بين يديه، فأمرني بالجلوس، فجلست، ثم نهض إلى حجرةٍ كان يخلو فيها، ونهضتُ بنهوضه، فقال: اتبعني، فتبعته، فدخل ودخلت خلفه، فجلس وجلست بين يديه، فقال: يا مفضّل كأنّي بك وقد طالت عليك هذه الليلة انتظاراً لما وعدتك.

فقلت: أجل يا مولاي.

فقال: يا مفضّل، إنّ الله تعالى كان ولا شيء قبله، وهو باقٍ ولا نهاية له، فله الحمد على ما ألهنا، وله^(٢) الشكر على ما منحنا، فقد^(٣) خصّنا من العلوم بأعلاها،

(١) في «أ»: وغدوت.

(٢) «له» ليست في «أ» «ج» «ن». وأدخلت في متن «ب» عن نسخة.

(٣) في «ب»: وقد.

ومن المعالي^(١) بأسناها، واصطفانا على جميع الخلق بعلمه، وجعلنا مهيمنين عليهم بحكمه^(٢).

فقلت: يا مولاي، أتأذن لي أن أكتب ما تشرحه - وكنت أعددت معي ما أكتب فيه -؟
فقال لي: افعل.

[جهل الشكّك بأسباب الخلقة ومعانيها]

يا مفضل، إنّ الشكّك جهلوا الأسباب والمعاني في الخلقة، وقصرت أفهامهم عن تأمل الصواب والحكمة فيما ذرأ الباري جلّ قدسه، ويرأ من صنوف خلقه^(٣) في البرّ والبحر، والسهل والوعر، فخرجوا بيقصّر علومهم إلى الجحود، وبضعف بصائرهم إلى التكذيب والعنود، حتّى أنكروا خلق الأشياء، وادّعوا أنّ تكوّنها^(٤) بالإهمال، لا صنعة فيها^(٥) ولا تقدير، ولا حكمة من مدبّر ولا صانع، تعالى الله عمّا يصفون، وقاتلهم الله أنّي يؤفكون، فهم في ضلالهم وعمههم^(٦) وتغيّرهم^(٧) بمنزلة عميان دخلوا داراً قد بُنيت اتّقن بناءً وأحسنه، وفُرشت بأحسن الفرش وأفخره، وأعدّ

(١) في «أ» «ج» «د»: المعاني. واستظهر ناسخ «أ» أنّها المعالي.

(٢) في «أ»: بحكمته.

(٣) في نسخة بدل من «ب»: الخلقة.

(٤) في «أ» «ب» «ج» «د»: كونها.

(٥) في «ج» فيه. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) في «ب» «د»: وعماهم. وفي «ن»: وغبيهم.

(٧) في «ن»: وتجيّرهم.

فيها ضروب الأطعمة والأشربة والملابس والمآرب التي يُحتاج إليها و^(١) لا يُستغنى عنها، ووُضِعَ كلُّ شيء من ذلك موضعه على صواب من التقدير، وحكمة من التدبير، فجعلوا يتردّدون فيها ميمناً وشمالاً، ويطوفون بيوتها^(٢) إدباراً وإقبالاً، محجوبة أبصارهم عنها، لا يبصرون بنية^(٣) الدار، وما أُعدَّ فيها، وربّما عثر بعضهم بالشيء الذي قد وضع موضعه، وأُعدَّ للحاجة إليه، وهو جاهل بالمعنى^(٤) فيه، ولما أُعدَّ، ولماذا جعل كذلك، فتدّمّر وتسخطّ وذمّ الدار وبانيها، فهذه حال هذا الصنف في إنكارهم ما أنكروا من أمر الحلقة وثبات^(٥) الصنعة، فإنّهم لما عزبت^(٦) أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء، صاروا يجولون في هذا العالم حيارى، لا^(٧) يفهمون ما هو عليه من إتقان خلّقه، وحسن صنّعه، وصواب تهيهته^(٨). وربّما وقف بعضهم على الشيء يجهل^(٩) سببه، والأرب فيه، فيسرع إلى ذمّه وعيبه^(١٠) ووصفه بالإحالة والخطأ، كالذي أقدمت عليه المتأنيّة^(١١) الكفرة، وجاهرت به

(١) الواو ليست في «أ» «ب».

(٢) في «ب» «ج» «د» «ن»: بيوتها.

(٣) في «ج» «د» «ن»: نسختي بدل من «أ» «ب»: هيئة.

(٤) في «ن»: للمعنى.

(٥) في «د»: وإثبات.

(٦) في «ج» «د» «ن»: ونسخة بدل من «ب»: غُيّبت. وفي نسخة بدل أخرى من «ب»: وعرت. وفي

نسخة بدل من «ج»: غريت.

(٧) في «أ» «ب» «ج» «د»: ولا. وفي «ن»: فلا. والمثبت من عندنا.

(٨) في «ن»: هيئته.

(٩) في «أ» «ب» «د»: لجهل.

(١٠) قوله «وعيبه» ليس في «ب» «ج» «د» «ن».

(١١) في «ب» «ن»: ونسخة بدل من «د»: المانويّة.

الملحدة^(١) المارقة الفجرة، وأشباههم من أهل الضلال المعلنين أنفسهم بالمحال، فيحق^(٢) على من أنعم الله عليه بمعرفته - وهدهد لدينه، ووقفه لتأمل التدبير في صنعة الخلائق، والوقوف^(٣) على ما خَلَقُوا له من لطيف التدبير وصواب التعبير^(٤)، بالدلالة القائمة الدالة على صانعها - أن يكثر حمد الله مولاه على ذلك، ويرغب إليه في الثبات^(٥) عليه والزيادة منه فإنه جلّ اسمه يقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٦).

[تهيئة العالم وتأليف أجزائه]

يا مفضل، أول العبر والأدلة^(٧) على الباري جلّ قدسه، تهيئة هذا العالم، وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه، فإنك إذا تأملت العالم بفكرك وخبرته^(٨) بعقلك، وجدته كالبيت المبنى المعدّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده، فالسمااء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالسباط، والنجوم منضودة^(٩) كالمصاييح، والجواهر مخزونة

(١) في نسخة بدل من «ج»: الملاحدة.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: فحق.

(٣) في نسخة بدل من «ج»: وللوقوف.

(٤) في «ن»: التقدير.

(٥) في «أ»: الثناء. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) إبراهيم: ٧.

(٧) في «أ» «ج» «ن»: والدلالة. والمثبت عن «ب» «د» ونسخة بدل من «ج».

(٨) في «ب» «د» ونسخة بدل من «ج»: وميزته. وفي متن «ج»: وميزته.

(٩) في «أ»: مُصَوَّاة. وفي «ن»: مضبوطة. والمثبت عن «ب» «ج» «د» ونسخة بدل من «أ».

كالذخائر، وكل شيء فيها لشأنه مُعَدّ، والإنسان كالمَلَكِ^(١) ذلك البيت، والمُحوّل^(٢) جميع ما فيه، وضروب النبات مهَيَّأة لِمَآرِبِهِ، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه، ففي هذا دلالة واضحة على أَنَّ العَالَمَ مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملائمة، وَأَنَّ الخالق له واحد، وهو الذي أَلَفَ ونظمه بعضاً إلى بعض، جَلَّ قدسه وتعالى جدّه وكرم وجهه ولا إله غيره تعالى عما يقول الجاحدون، وجلَّ وعظم عما يستحله الملحدون^(٣).

[خلق الإنسان وتدبير الجنين في الرحم]

نبتدئ^(٤) يا مفضل بذكر خلق الإنسان فاعبر به.. فأول ذلك ما يدبر به الجنين في الرحم، وهو محبوب في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء، ولا دفع أذى، ولا استجلاب منفعة، ولا دفع مضرة، فإنه يجري إليه من^(٥) دم الحيض ما يغذوه كما يغذو^(٦) الماء النبات، فلا يزال ذلك غذاءه.

(١) في «ن»: كالملك.

(٢) في «ج»: والمحوّل. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٣) في «ج»: زيادة: «وكذلك لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد».

(٤) في «ج»: نستبدئ. وفي «د»: سنبتدئ. وفي «ن»: نبداً. والمثبت عن «أ» «ب» ونسخة بدل من «ج».

(٥) أدخلت في متن «ج» عن نسخة.

(٦) قوله «كما يغذو» ساقط من «ن» والعبارة فيها: ما يغذوه الماء والنبات.

[كَيْفِيَّةُ وَلَادَةِ الْجَنِينِ وَغِذَائِهِ وَطُلُوعِ أَسْنَانِهِ وَبُلُوغِهِ]

حَتَّى إِذَا كَمَلَ خَلْقُهُ وَاسْتَحْكَمَ بَدَنُهُ وَقَوِيَ أَدِيمُهُ عَلَى مَبَاشَرَةِ الْهَوَاءِ، وَبَصَرُهُ عَلَى مَلَاقَةِ الضِّيَاءِ، هَاجَ الطَّلَقُ بِأُمِّهِ فَأَزْعَجَهُ أَشَدُّ إِزْعَاجٍ وَأَعْنَفَهُ حَتَّى يُولَدَ، فَإِذَا وَلَدَ صَرَفَ ذَلِكَ الدَّمُ الَّذِي كَانَ يَغْذُوهُ مِنْ دَمِ أُمِّهِ إِلَى ثَدْيِيهَا^(١) فَاَنْقَلَبَ^(٢) الطَّعْمُ وَاللَّوْنُ إِلَى ضَرْبٍ آخَرَ مِنَ الْغِذَاءِ وَهُوَ أَشَدُّ مُوَافَقَةً لِلْمَوْلُودِ مِنَ الدَّمِ فَيُؤَافِيهِ فِي وَقْتِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ، فَحِينَ يُولَدُ قَدْ تَلَمَّظَ وَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ طَلِباً لِلرُّضَاعِ، فَهُوَ يَجِدُ ثَدْيِي^(٣) أُمِّهِ كَالِإِدَاوَتَيْنِ الْمُعْلَقَتَيْنِ لِحَاجَتِهِ فَلَا يَزَالُ يَغْتَذِي^(٤) بِاللَّبَنِ، مَا دَامَ رَطْبُ الْبَدَنِ رَقِيقَ الْأَمْعَاءِ لِئِنَّ الْأَعْضَاءَ، حَتَّى إِذَا تَحَرَّكَ، وَاحْتِاجَ إِلَى غِذَاءٍ فِيهِ صَلَابَةٌ لِيَسْتَدَّ وَيَقْوَى بَدَنُهُ، طَلَعَتْ لَهُ الطَّوَاحِنُ^(٥) مِنَ الْأَسْنَانِ وَالْأَضْرَاسِ لِيَضْغَ بِهَا الطَّعَامَ، فَيَلِينُ عَلَيْهِ، وَيَسْهَلُ لَهُ إِسَاغَتُهُ^(٦)، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَدْرِكَ، فَإِذَا أَدْرَكَ وَكَانَ ذَكَراً طَلَعَ الشَّعْرُ فِي وَجْهِهِ، فَكَانَ^(٧) ذَلِكَ عَلَامَةً الذَّكَرِ، وَعِزَّ الرَّجُلِ الَّذِي يُخْرِجُ بِهِ مِنْ حَدِّ الصَّبَا وَشَبَّهَ النِّسَاءَ، وَإِنْ كَانَتْ أُنْثَى يَبْقَى وَجْهَهَا نَقِيّاً مِنَ الشَّعْرِ، لَتَبْقَى لَهَا الْبَهْجَةُ، وَالنِّصَارَةُ الَّتِي تَحَرَّكَ الرَّجَالُ^(٨) لَمَّا فِيهِ دَوَامُ النَّسْلِ وَبَقَاؤُهُ.

(١) فِي «أ» «ن»: ثَدْيِيهَا.

(٢) فِي «ن»: وَانْقَلَبَ.

(٣) فِي «أ» «ن»: ثَدْيِي.

(٤) فِي «ن»: يَتَغَذَّى.

(٥) فِي «ج» «د»: الطَّوَاحِينُ. وَفِي نَسْخَةِ بَدَلٍ مِنْ «ج» كَالْمُثَبَّتِ.

(٦) فِي «ج» زِيَادَةٌ: «فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ».

(٧) فِي «أ»: وَكَانَ.

(٨) فِي «أ» «ن» وَنَسْخَةِ بَدَلٍ مِنْ «ج»: الرَّجُلُ. وَالْمُثَبَّتُ عَنْ «ب» «ج» «د» وَنَسْخَةِ بَدَلٍ مِنْ «أ».

اعتبر يا مفضل فيما يُدبّر به الإنسان في هذه الأحوال المختلفة، هل ترى مثله^(١) يمكن أن يكون بالإهمال؟ أفرأيت لو لم يجر إليه ذلك الدم وهو في الرحم، ألم يكن سيّذوي ويحفّ كما يحفّ النبات إذا فقد الماء، ولو لم يزعجه المخاض عند استحكامه ألم يكن سيبقى في الرحم كالموؤد في الأرض؟ ولو لم يوافقه اللبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعاً أو يغتذي بغذاء لا يلائمه، ولا^(٢) يصلح عليه بدنه، ولو لم تطلع له^(٣) الأسنان في وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام وإساغته، أو يقيمه على الرضاع فلا يشتدّ بدنه ولا يصلح لعمل^(٤)؟ ثمّ كان يشغل أمّه^(٥) بنفسه عن تربية غيره من الأولاد.

[حال من لا ينبت في وجهه الشعر وعلة ذلك]

ولو لم يخرج الشعر في وجهه في وقته، ألم يكن سيبقى في هيئة الصبيان والنساء، فلا ترى له جلاله ولا وقاراً؟ قال^(٦) المفضل: فقلت له^(٧): يا مولاي، فقد رأيت من يبق على حالته ولا ينبت الشعر في^(٨) وجهه وإن بلغ حال^(٩) الكبر.

(١) ليست في «ب» «د»، وأدخلت في متن «ج» عن نسخة.

(٢) في «أ»: فلا. وفي «ج»: ولا، لكن أدخلت الواو في متنها عن نسخة.

(٣) في «ب» «ج» «د»: عليه. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٤) في «ج»: للعمل. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «د»: تشتغل أمّه.

(٦) في «ب» «ج» «د»: فقال.

(٧) «له» ليست في «ب» «ج». وقوله «فقلت له» ليس في «د».

(٨) في «ج»: على. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٩) ليست في «ن».

فقال ﷺ: ﴿ ذَلِك بِمَا قَدَمْتُ أُيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِّلْمُعِيدِ ﴾^(١)، فمن هذا الذي يرصده حتى يوافيه بكل شيء من هذه المآرب إلا الذي أنشأه خلقاً بعد أن لم يكن، ثم توكل له بمصلحته بعد أن كان، فإن كان الإهمال يأتي بمثل هذا التدبير، فقد يجب أن يكون العمد والتقدير يأتيان بالخطأ والمحال، لأنها ضد الإهمال، وهذا فظيع من القول وجهل من قائله، لأن الإهمال لا يأتي بالصواب، والتضاد لا يأتي بالنظام، تعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً.

[حال المولود لو ولد فهماً عاقلاً وتعليل ذلك]

ولو كان المولود يولد فهماً عاقلاً، لأنكر العالم عند ولادته ولبقي^(٢) حيران تائه العقل إذا رأى ما لم يعرف، وورد عليه ما لم ير مثله من اختلاف صور العالم (والطير والبهائم)^(٣)، إلى غير ذلك مما يشاهده ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم.

واعتبر ذلك بأن من سُبي من بلد إلى بلد^(٤) وهو عاقل، يكون كالواله الحيران فلا يسرع في^(٥) تعلّم الكلام وقبول الأدب، كما يسرع الذي يُسبي^(٦) صغيراً غير عاقل، ثم لو ولد عاقلاً كان يجد غضاضة إذا رأى نفسه محمولاً مُرضعاً مُعصباً بالخزق مسجى في المهدي لأنه لا يستغني عن هذا كله لرقّة بدنه ورطوبته حين يولد ثم

(١) آل عمران: ١٨٢.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: «والبقي».

(٣) في «ب» «د»: والطير من البهائم. وفي «ج» «ن»: من البهائم والطير.

(٤) قوله «إلى بلد» ليس في «ن».

(٥) في «أ» «ن»: «إلى» بدل «في».

(٦) في «ن»: «سبي».

كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع^(١) من القلوب ما يوجد للطفل فصار يخرج إلى الدنيا غيباً غافلاً عما فيه أهله، فيلقى الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة، ثم لا يزال يَتَزَيَّد^(٢) في المعرفة قليلاً قليلاً، وشيئاً بعد شيء، وحالاً بعد حال، حتى يألف الأشياء، ويتمرن ويستمر عليها، فيخرج من حد التأمل لها والحيرة فيها إلى التصرف، والاضطراب^(٣) إلى^(٤) المعاش بعقله وحيلته، وإلى الاعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية.

وفي هذا أيضاً وجوه أخرى، فإنه لو كان يولد تامّ العقل مستقلاً بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الأولاد، وما قُدِّر أن يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة وما يوجب التربية للآباء على الأبناء من المكافاة^(٥) بالبر، والعطف عليهم، عند حاجتهم إلى ذلك منهم، ثم كان الأولاد لا يألفون آباءهم ولا يألف الآباء أبنائهم، لأن الأولاد كانوا يستغنون عن تربية الآباء وحياتهم، فيتفرقون^(٦) عنهم حين يولدون، فلا يعرف الرجل أباه وأمه، ولا يمتنع من نكاح^(٧) أمه وأخته، وذوات المحارم منه، إذ^(٨) كان لا يعرفهن.

وأقل ما في ذلك من القباحة - بل هو أشنع وأعظم وأفظع وأقبح وأبشع - لو

(١) في «ج»: والموقع.

(٢) في «ن»: يتزايد.

(٣) في «ن»: والاضطرار.

(٤) في «ج»: «د»: «في» بدل «إلى». وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٥) في «ب»: المكلفات. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) في «د»: ويتفرقون.

(٧) في نسخة بدل من «ج»: بكاء.

(٨) في «أ» «د» «ن»: إذا.

خرج المولود من بطن أمه وهو يعقل أن يرى منها ما لا يحلّ له، ولا يحسن^(١) به أن يراه، أفلا ترى كيف أقيم كلّ شيء من الخلقة على غاية الصواب؟ وخلا من الخطأ دقيقه وجليله.

[منفعة الأطفال في البكاء]

اعرف يا مفضل ما للأطفال في^(٢) البكاء من المنفعة، واعلم أنّ في أدمغة الأطفال رطوبة، إن بقيت فيها أحدثت عليهم^(٣) أحداثاً جليلة وعللاً عظيمة، من ذهاب البصر وغيره، فالبكاء^(٤) يُسِيلُ تلك الرطوبة من رؤوسهم فيعقبهم ذلك الصحة في أبدانهم والسلامة في أبصارهم، أفليس قد جاز أن يكون الطفل يستنفع بالبكاء ووالداه لا يعرفان ذلك؟ فهما دائبان لئسكتاه، ويتوخيان في الأمور مرضاته لئلا يبيكي، وهما لا يعلمان أنّ البكاء أصلح له وأجمل عاقبة^(٥).

فهكذا يجوز أن يكون في كثير من الأشياء منافع لا يعرفها القائلون بالإهمال، ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء أنّه لا منفعة فيه؛ من أجل أنّهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه، فإنّ كلّ ما لا يعرفه المنكرون يعلمه^(٦) العارفون، وكثيراً ممّا^(٧)

(١) في «ج»: ولا حسن. وفي نسخة بدل منه كالمثبت.

(٢) في «ج»: من. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٣) ليست في «أ».

(٤) في «ن»: والبكاء.

(٥) في «أ»: عافية.

(٦) في نسخة بدل من «ب»: يعرفه.

(٧) في «أ» «ن»: ما. وفي «ج»: عمّا. والمثبت عن «ب» «د» ونسخة بدل من «ج».

يقصر عنه علم المخلوقين محيط به علم الخالق جلّ قدسه وعلت كلمته.

فأما ما يسيل من أفواه الأطفال من الريق، ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو بقيت في أبدانهم لأحدثت عليهم الأمور العظيمة، كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة فأخرجته إلى حدّ البَلَه والجنون والتخليط^(١)، إلى غير ذلك من الأمراض المتلفة كالفالج واللقوة وما أشبهها، فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم، لما لهم في ذلك من الصّحة في كبرهم، فتفضّل على خلقه بما جهلوه، ونظر لهم بما لم يعرفوه، ولو عرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك عن^(٢) التماذي في معصيته، فسبحانه ما أجلّ نعمته وأسبغها على المستحقّين وغيرهم من خلقه، و^(٣) تعالى عما يقول المبطلون علواً كبيراً.

[آلات الجماع وهيئتها]

انظر الآن يا مفضّل كيف جُعِلت آلات الجماع في الذكر والأنثى جميعاً على ما يشاكل ذلك^(٤)، فجُعِل للذكر آلة ناشرة^(٥) تمتدّ حتّى تصل النطفة إلى الرحم، إذ^(٦) كان محتاجاً إلى أن يقذف ماءه في غيره، وخلق للأنثى وعاء قعر^(٧) ليشتمل على

(١) في «أ» ونسخة بدل من «ج»: والتخليط.

(٢) في «أ» «ج» «ن»: من.

(٣) الواو ليست في «ن».

(٤) في «ن»: ذلك عليه فجعل.

(٥) في «ج»: ناشرة. ووضعت دائرة فوق نقطة الزاي.

(٦) في «د»: إذا.

(٧) في «أ»: وعاء قعيراً. وفي «ن»: وعاء قعراً.

الماء ين جميعاً، ويحتمل الولد ويتسع له ويصونه حتى يستحكم، أليس ذلك من تدبير حكيم لطيف سبحانه وتعالى عما يشركون؟!

[أعضاء البدن وفوائد كل منها]

فكر يا مفضل في أعضاء البدن أجمع، وتدبير كل عضو^(١) منها للأرب، فاليدان للعلاج، والرجلان للسعي، والعينان للاهتداء، والفم للاغتذاء، والمعدة للهضم، والكبد للتخليص، والمنافذ لتنفيذ الفضول، والأوعية لحملها، والفرج لإقامة النسل، وكذلك جميع الأعضاء؛ إذا تأملتها وأعملت فكرك فيها ونظرك، وجدت كل شيء منها قد قدر لشيء على صواب وحكمة.

[زعم الطبيعيين وجوابه]

قال المفضل: فقلت: يا مولاي، إن قوماً يزعمون أن هذا من فعل الطبيعة. فقال عليه السلام: سلهم عن هذه الطبيعة أهى شيء له علم وقدرة على مثل هذه الأفعال أم ليست كذلك؟ فإن أوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من إثبات الخالق فإن هذه صفته^(٢)!! وإن زعموا أنها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولا عمد، وكان في أفعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة، عُلِمَ أن هذا الفعل للخالق الحكيم، وأن^(٣) الذي سمّوه

(١) ليست في «أ» «ب» «د» «ن».

(٢) في «أ» «ب» «د» «ن»: صنعته.

(٣) في «ن»: فإن.

طبيعة هو سُنَّتُه ^(١) في خلقه ^(٢)، الجارية على ما أجزاها عليه.

[عملية الهضم وتكوّن الدم وجريانه في الشرايين والأوردة]

فكر يا مفضل في وصول الغذاء إلى البدن، وما فيه من التدبير، فإنّ الطعام يصير إلى المعدة فتطبخه، وتبعث بصفوه إلى الكبد، في عروق دقاق واشجة ^(٣) بينها، قد جعلت كالمِصفأة ^(٤) للغذاء، لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء فينكأها، وذلك أنّ الكبد رقيقة لا تحمل العنف، ثمّ إنّ الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دمًا، وينفذ ^(٥) إلى البدن كلّهُ في مجاري مُهيّأةٍ لذلك - بمنزلة المجاري التي تُهيّأُ للبهاء حتّى يطرد ^(٦) في الأرض كلّها - وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول إلى مفائض ^(٧) قد أُعدّت لذلك، فما كان منه من جنس المِرّة الصفراء جرى إلى المرارة، وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال، وما كان من البِلّة والرطوبة جرى إلى المثانة.

فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن، ووضع هذه الأعضاء منه مواضعها، وإعداد هذه الأوعية فيه، لتحمل تلك الفضول، لئلاّ تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه، فتبارك ^(٨) من أحسن التقدير، وأحكم التدبير، وله الحمد كما هو أهله ومستحقّه.

(١) في «ب»: سُنَّة.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: هو عادة الله من خلقه.

(٣) في نسخة بدل من «د»: راسخة.

(٤) في «ب» «د» «ن»: كالمِصفِي.

(٥) في «أ» «ج» «د» «ن»: وينفذه.

(٦) في «ن»: «ليطرد» بدل «حتّى يطرد».

(٧) في «ج» ونسخة بدل من «ب»: مفائض. وفي «د»: مفائض.

(٨) في «أ»: فتبارك الله من أحسن.

[أول نشوء الأبدان: تصوير الجنين في الرحم]

قال المفضل: فقلت^(١): صف نشوء الأبدان ونموها حالاً بعد حال حتى تبلغ التمام والكمال.

فقال^(٢) ﷺ: أول ذلك تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه عين ولا تناله يد، ويدبره حتى يخرج سوياً مستوفياً جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الأحشاء والجوارح والعوامل، إلى ما في تركيب أعضائه من العظام، واللحم، والشحم، والعصب، والمخ، والعروق، والغضاريف، فإذا خرج إلى العالم تراه كيف ينمو^(٣) بجميع أعضائه وهو ثابت على شكله وهيئته^(٤) لا يتزايد ولا ينقص^(٥) إلى أن يبلغ أشده إن مُدَّ في عمره أو يستوفي مدته قبل ذلك، هل هذا إلا من لطيف التدبير والحكمة.

[اختصاص الإنسان بالانتصاب والجلوس دون البهائم]

أنظر يا مفضل^(٦) ما خصَّ به الإنسان في خلقه تشريفاً وتفضيلاً^(٧) على البهائم،

(١) ليست في «ج»، وأدخلت في متن «ب» عن نسخة.

(٢) في «ن»: قال.

(٣) في «أ» «ب» «ج» «د»: ينمي. وهما لغتان.

(٤) في «ب» «ن»: شكل وهيئة.

(٥) في «أ» ونسخة بدل من «د»: لا يتزايد ولا ينتقص. وفي «ج» «د»: لا يتزايد ولا يتبعض.

وفي «ب» «ن»: لا تتزايد ولا تنقص. والمثبت عن نسخة بدل من «ج».

(٦) في «أ» «ج»: يا مفضل انظر. وفي «ب» «د»: يا مفضل انظر إلى ما خص.

(٧) في «ن»: تشرفاً وتفضلاً.

فإنه خُلِقَ ينتصب قائماً، ويستوي جالساً، ليستقبل الأشياء بيديه^(١) وجوارحه، ويمكنه العلاج والعمل بها^(٢)، فلو كان مكبواً على وجهه كذات^(٣) الأربع، لما استطاع أن يعمل شيئاً من الأعمال.

[تخصيص الإنسان بالحواس وتشريفه بها دون غيره]

أنظر الآن يا مفضّل إلى هذه الحواس التي خُصَّ بها الإنسان في خلقه، وشُرفَ بها على غيره، كيف جُعِلَت العينان في الرأس كالمصاييح فوق المنارة لِيَتِمَّكَنَّ من مطالعة الأشياء، ولم تجعل في الأعضاء التي تحتهنّ كاليدَيْن والرجلين فتعرضها^(٤) الآفات ويصيبها من مباشرة العمل والحركة ما يعلّلها و^(٥) يؤثّر فيها وينقص^(٦) منها، ولا في الأعضاء التي وسط البدن كال البطن والظهر فيعسر تقلّبها، واطّلاعها نحو الأشياء.

[الحواس الخمس وأعمالها وما في ذلك من الأسرار]

فلما لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع، كان الرأس أسنى المواضع للحواس، وهو بمنزلة الصومعة لها، فجُعِلَت^(٧) الحواس خمساً تلقى خمساً لكي لا

(١) في «د»: بيدنه.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: بها.

(٣) في «ن»: كذوات.

(٤) في «ن»: فتعرضها.

(٥) في «د»: أو يؤثّر.

(٦) في «د»: وينقص.

(٧) في جميع النسخ: فجعل. والمثبت من عندنا.

يفوتها شيء من المحسوسات ..

فخلق البصر ليدرك الألوان، فلو كانت الألوان ولم يكن بصرٌ يدركها لم تكن فيها منفعة .

وخلق السمع ليدرك الأصوات، فلو^(١) كانت الأصوات ولم يكن سمعٌ يدركها لم يكن فيها أَرَبٌ، وكذلك سائر الحواس^(٢).

ثمّ هذا يرجع متكافئاً، فلو^(٣) كان بصر ولم تكن ألوان^(٤)، لما كان للبصر معنى، ولو كان سمعٌ ولم تكن أصواتٌ لم يكن للسمع موضع .

[تقدير الحواس بعضها يلقي بعضاً]

فانظر كيف قُدِّر بعضها يلقي بعضاً، فجعل لكلّ حاسة^(٥) محسوساً تعمل^(٦) فيه، ولكلّ محسوس حاسة تدركه، ومع هذا فقد جعلت أشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات، لا تتمّ الحواس إلّا بها، كمثّل الضياء والهواء، فإنّه لو لم يكن ضياء يُظهر اللون للبصر، لم يكن البصر يدرك اللون، ولو لم يكن هواء يؤدّي الصوت إلى السمع، لم يكن السمع يدرك الصوت، (فتبارك الله؛ من جعل للأشياء وسائط، وقدر لاتنظام العالم ضوابط)^(٧)، فهل يخفى على من صحّ نظره، وأعمل

(١) في «أ»: ولو .

(٢) في «ج»: سائر الحواس يا مفضل . وكتب تحت الزيادة: ليس في كثير من النسخ .

(٣) في «أ» «د»: ولو .

(٤) في «ن»: الألوان .

(٥) في «ج» «د»: جارحة . وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت .

(٦) في «ب» «ن»: يعمل .

(٧) ليست في «أ» «ب» «د» «ن» .

فكره^(١)، أن مثل هذا الذي وصفت - من تهينة الحواس والمحسوسات بعضها يلقي بعضاً، وتهينة أشياء أخر بها تتم الحواس - لا يكون إلا بعمد^(٢) وتقدير من لطيف خبير.

[فيمن عدم البصر والسمع والعقل وما في ذلك من الموعظة]

فكّر يا مفضل فيمن عَدِمَ البصرَ من الناس، وما يناله من الخلل في أموره، فإنه لا يعرف موضع قدميه^(٣)، ولا يبصر ما بين يديه، فلا يفرّق بين الألوان، وبين المنظر الحسن والقيبح، ولا يرى حفرة إن هجم عليها، ولا عدواً إن أهوى إليه بسيف، ولا يكون له سبيل إلى أن يعمل شيئاً من هذه الصناعات مثل الكتابة والتجارة^(٤) والصياغة، حتّى أنّه لو لا نفاذ ذهنه لكان بمنزلة الحجر الملقى.

وكذلك من^(٥) عَدِمَ السمع، يختل^(٦) في أمور كثيرة فإنه يفقد روح المخاطبة والمحاورة، ويعدم لذّة الأصوات واللحون الشجيّة^(٧) و^(٨) المطربة، وتعظم المؤنة على الناس في محاورته، حتّى يتبرّموا به، ولا يسمع شيئاً من أخبار الناس وأحاديثهم،

(١) في «ج»: تفكّره. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «ن»: بعمل.

(٣) في «أ» «ب» «ج»: قدمه.

(٤) في «أ» «ب» «ن»: والتجارة.

(٥) في نسخة بدل من «د»: في عَدَمِ السمع.

(٦) في «ج»: مختل.

(٧) في «ن»: المشجية.

(٨) الواو ليست في «أ» «ب» «ج» «د».

حتى يكون كالفائب وهو شاهد، أو^(١) كالميت وهو حيّ..

فأما من عَدِمَ العقل فإنه يلحق بمنزلة البهائم، بل يجهل كثيراً مما تهتدي إليه البهائم، أفلا ترى كيف صارت الجوارح والعقل، وسائر الخلال - التي بها صلاح الإنسان، والتي لو فقد منها شيئاً لعظم ما يناله في ذلك من الخلل - تُوافي خلقه على التمام حتى لا يفقد شيئاً منها، فلم كان كذلك؟ إلا لأنه^(٢) خلق بعلم وعَمْدٍ^(٣) وتقدير.

قال المفضل: فقلت: فلم صار بعض الناس يفقد شيئاً من هذه الجوارح فيناله من^(٤) ذلك مثل ما وصفته يا مولاي؟

فقال^(٥) ﷺ: ذلك للتأديب والموعظة لمن يحلّ ذلك به ولغيره بسببه؛ كما قد يؤدّب الملوك الناس^(٦) للتنكيل والموعظة، فلا يُنكر ذلك عليهم، بل يُحمد من رأيهم، ويُستصوب^(٧) من تدبيرهم، ثم إنَّ للذين تنزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت - إن شكروا وأتابوا - ما يستصغرون معه ما ينالهم منها، حتى أنهم لو خيروا بعد الموت لاختاروا أن يُردُّوا إلى البلايا، ليزدادوا من الثواب.

(١) غي «أ» «ج»: وكالميت.

(٢) في «أ» «ن»: أنه.

(٣) قوله «وعمد» ليس في «أ» «ب» «د» «ن». وفي نسخة بدل من «ب»: إلا لأنه خُلِقَ بعلم وبقدر.

(٤) في «ب» «ج» «د»: في.

(٥) في «أ» «ب» «د» «ن»: قال.

(٦) في «ج»: ناساً.

(٧) في «ب»: ويُصَوَّب. وفي «ن» ونسخة بدل من «ج»: ويتصوَّب.

[الأعضاء المخلوقة أفراداً وأزواجاً وكيفية ذلك]

فَكَرَّ (١) يا مفضل في الأعضاء التي خلقت أفراداً وأزواجاً، وما في ذلك من الحكمة والتقدير، والصواب في التدبير.

فالرأس مما خلق فرداً، ولم يكن للإنسان صلاح في أن يكون له (٢) أكثر من واحد، ألا ترى أنه لو أضيف إلى رأس الإنسان رأس آخر لكان ثَقَلًا (٣) عليه، من غير حاجة إليه، لأنّ الحواسّ التي يحتاج إليها مجتمعة في رأس واحد، ثمّ كان الإنسان ينقسم قسمين لو كان له رأسان، فإن تكلم من أحدهما كان الآخر معطلاً لا أَرَبَ فيه ولا حاجة إليه، وإن تكلم منها جميعاً بكلام واحد كان أحدهما فضلاً لا يحتاج إليه، وإن تكلم من أحدهما (٤) بغير الذي تكلم به من الآخر، لم يدر السامع بأيّ ذلك يأخذ، وأشباه هذا من الاختلاط (٥).

واليدان ممّا خُلِقَ أزواجاً، ولم يكن للإنسان خير في أن يكون له يد واحدة؛ لأنّ ذلك كان يُخِلُّ به (٦) فيما يحتاج إلى معالجته من الأشياء. ألا ترى أنّ النجار والبناء لو شلّت (٧) إحدى يديه لا يستطيع (٨) أن يعالج صناعته (٩)، وإن تكلف ذلك لم يُحْكَمْه،

(١) في «د»: تفكّر. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) ليست في «ب» «ج» «د».

(٣) في «أ»: ثَقِيلاً. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) في «ب» «د» «ن»: «بأحدهما» بدل «من أحدهما».

(٥) في «أ» «ج» «د» «ن»: الاختلاط. والمثبت عن «ب» ونسخة بدل من «د».

(٦) في «ج»: بها. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٧) في نسخة بدل من «ج»: شلّت.

(٨) في «ج»: لم يستطع. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٩) في نسخة بدل من «أ»: صنعته.

ولم يبلغ منه ما يبلغه إذا كانت له يدان^(١) تتعاونان على العمل.

[الصوت والكلام وتهية آلاته في الإنسان وعمل كل منها]

أطل الفكر يا مفضل في الصوت والكلام وتهية آلاته في الإنسان؛ فالحنجرة كالأنبوبة^(٢) لخروج الصوت، واللسان والشفطان والأسنان لصياغة الحروف والنغم. ألا ترى أن من سقطت أسنانه لم يقيم السين، ومن سقطت شفته لم يصحح^(٣) الفاء، ومن ثقل لسانه لم يفصح الراء، وأشبه شيء بذلك المزمار الأعظم، فالحنجرة تشبه قسبة المزمار، والرئة تشبه الزق الذي ينفخ فيه لتدخله^(٤) الريح، والعضلات التي تقبض على الرئة - لتخرج^(٥) الصوت - كالأصابع التي تقبض على الزق حتى تجري^(٦) الريح في المزمار^(٧)، والشفطان والأسنان التي تصوغ الصوت حروفاً ونغماً كالأصابع التي تختلف في فم المزمار فتصوغ صفيره ألحاناً، غير أنه وإن كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالدلالة^(٨) والتعريف فإن المزمار - بالحقيقة^(٩) - هو المشبه بمخرج الصوت.

(١) في «ن»: «يداه» بدل «له يدان».

(٢) في «ج»: كالأنبوب. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٣) في «أ» «د» ونسخة بدل من «ج»: يفصح.

(٤) في «أ» «ب» «ن»: لتدخل.

(٥) في جميع النسخ: «ليخرج»، والمثبت عن نسخة بدل من «ب».

(٦) في «د»: يخرج. وفي نسخة بدل من «ج»: تخرج.

(٧) في «ن»: المزامير.

(٨) في «ن»: بالآلة.

(٩) في «ن»: في الحقيقة.

[ما في الأعضاء من المآرب الأخرى]

قد أنبأتك بما^(١) في الأعضاء من الغناء في صنعة^(٢) الكلام وإقامة الحروف، وفيها مع الذي ذكرت لك مآرب أخرى:

فالحنجرة ليسلك فيها هذا النسيم إلى الرئة، فتروّح^(٣) عن^(٤) الفؤاد بالنّفس الدائم المتتابع الذي لو احتبس^(٥) شيئاً يسيراً لهلك الإنسان.

وباللسان تذاق الطعوم^(٦) فيميّز بينها ويعرف كلّ واحد منها؛ حلوها من مَرّها، وحامضها من مَرّها^(٧)، ومالحها من عذبتها، وطيبها من خبيثها، وفيه مع ذلك معونة على إساعة الطعام والشراب.

والأسنان لمضغ الطعام حتّى يلين وتسهل إساغته، وهي مع ذلك كالسند للشفيتين تمسكهما وتدعمهما من داخل الفم، واعتبر ذلك^(٨) بأنك^(٩) ترى أن^(١٠) من سقطت أسنانه مسترخي الشفة ومضطربا.

وبالشفيتين يترشّف الشراب، حتّى يكون الذي يصل إلى الجوف منه بقصدٍ

(١) في «ج» «د»: عمّا. وفي نسخة بدل من «د» كالمثبت.

(٢) في «ج»: صيغة. وفي نسخة بدل منها: صفة.

(٣) في «د»: وتروّح.

(٤) في «ن»: على.

(٥) في «ب» «ن»: حبس. وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت.

(٦) في «أ»: يذاق الطعام.

(٧) في «أ» «ن»: مَرّها.

(٨) في «د»: بذلك.

(٩) في «أ» «ن»: فإنّك.

(١٠) ليست في «ب» «ج» «ن».

وقَدَر، لا يثجّ ثجّاً فيغصّ به الشارب، أو ينكأ في الجوف، ثمّ هما بعد ذلك كالباب المطبق على الفم يفتحها^(١) الإنسان إذا شاء ويطبّقها^(٢) إذا شاء.

وفيا^(٣) وصفنا من هذا بيان أن كلّ واحدٍ من هذه الأعضاء يتصرّف وينقسم إلى وجوه من المنافع كما تتصرّف الأداة الواحدة في أعمال شتى، وذلك كالفأس تستعمل في النجارة والحفر وغيرهما من الأعمال.

[الدماغ وأغشيته والجمجمة وفائدتها]

لو^(٤) رأيت الدماغ إذا كُشِفَ^(٥) عنه لرأيتَه قد لُفَّ بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض، وتمسكه فلا يضطرب، ولرأيت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة، كما تقيه حدًّا^(٦) الصدمة والصكّة التي ربّما وقعت في الرأس، ثمّ قد جُلِّلَت الجمجمة^(٧) بالشعر، حتّى صار^(٨) بمنزلة الفرو للرأس يستره^(٩) من شدة الحرّ والبرد، فن حصّن

(١) في «أ» «ن»: يفتحها.

(٢) في «أ» «ن»: ويطبّقها.

(٣) في «ب» «ج» «د»: فقيما.

(٤) في «ن»: ولو.

(٥) في «د»: كشفت.

(٦) في «أ» «ج»: كيما يُفْتَه حدّ الصدمة. وفي «ب»: كيما يفته هذ الصدمة، وفي نسخة بدل منها: كيما يفته حدّ الصدمة. وفي «د»: كيما تقيه هذ الصدمة. وفي «ن»: كيما تقيه هذ الصدمة. والمثبت ملفق من بينها.

(٧) ليست في «د».

(٨) في «ن»: صارت.

(٩) في «أ» «د»: ليستره.

الدماغ هذا التحصين، إلا الذي خلقه وجعله ينبوع الحسّ، والمستحقّ للحياة^(١) والصيانة، بعلوّ منزلته من البدن، وارتفاع درجته، وخطر^(٢) مرتبته.

[الجفن وأشفاره]

تأمل يا مفضل: الجفن على العين كيف جعل كالغشاء، والأشفار كالأشراج^(٣)، وأولجها في هذا الغار، وأظّلها بالحجاب، وما عليه من الشعر.

[الفؤاد ومدرعته]

يا مفضل من غيب^(٤) الفؤاد في جوف الصدر، وكساه المدرعة التي هي^(٥) غشاؤه، وحصّنه بالجوانح وما عليها من اللحم والعصب، لئلا يصل إليه ما ينكأه؟

[الخلق والمريء]

من جعل في الخلق منفذين: أحدهما لمخرج الصوت وهو الحلقوم المتصل بالرئة، والآخر منفذاً للغذاء، وهو المريء المتصل بالمعدة الموصل للغذاء إليها، وجعل على الحلقوم طبقة يمنع الطعام أن يصل إلى الرئة فيقتل؟

(١) في «ب» «ج» «ن»: للحيفة. والمثبت عن «أ» «د» ونسخة بدل من «ج».

(٢) في «ن»: وخطير.

(٣) في «أ» «ن»: كالأشراج.

(٤) في «ج»: عيّب.

(٥) ليست في «ن».

[الرئة وعملها... أشراج منافذ البول والغائط]

من جعل الرئة مِرْوَحَةً الفؤاد لا تفتّر ولا تختل^(١) لكيلا تَتَحَيَّرَ^(٢) الحرارةُ في الفؤاد فتؤدِّي إلى التلف؟ من جعل لنافذ البول والغائط أشراجاً^(٣) تضبطهما لئلاَّ يجرياً جرياناً^(٤) دائماً فيفسد على الإنسان عيشه؟ فكم عسى أن يحصي المحصي من هذا؟ بل الذي لا يحصى منه ولا يعلمه الناس أكثر.

[المعدة عصبانيّة والكبد]

من جعل المعدة عصبانيّة شديدة وقدَّرها لهضم الطعام الغليظ؟ ومن جعل الكبد رقيقة ناعمة - لقبول الصفو اللطيف من الغذاء، ولتهضم^(٥) وتعمل ما هو ألطف من عمل المعدة - إلاَّ الله القادر؟ أترى^(٦) الإهمال يأتي بشيء من ذلك؟ كلا بل هو تدبير من^(٧) مدبّر حكيم قادر، عليم بالأشياء قبل خلقه إياها، لا يعجزه شيء وهو اللطيف الخبير.

[المنخ والدم والأظفار والأذن ولحم الإليتين والفخذين]

فكّر يا مفضل لم صار المنخ الرقيق محصناً في أنابيب العظام؟ هل ذلك إلاَّ ليحفظه ويصونه؟

(١) في «ب» «د»: «ولا تختل».

(٢) في «د» «ن»: «تتحير».

(٣) في «د»: «أشراجاً».

(٤) في «أ»: «جرياناً».

(٥) في «د»: «والهضم» بدل «ولتهضم».

(٦) في «ب»: «أترى من الإهمال» وأدخلت «من» في متنها عن نسخة.

(٧) ليست في «د» «ن».

لم صار الدم السائل^(١) محصوراً في العروق بمنزلة الماء في الظروف إلا لتضبطه فلا يفيض؟

لم صارت الأظفار على أطراف الأصابع إلا وقاية لها ومعونة على العمل؟
 لم صار داخل الأذن ملتوياً كهيئة اللولب^(٢) إلا ليطرد فيه الصوت حتى ينتهي إلى السمع، وليكسر حُمة^(٣) الريح، فلا ينكأ في السمع؟
 لم^(٤) حُمِّل الإنسان على فخذه وأليته^(٥) هذا اللحم، إلا ليقيه من الأرض، فلا يتألم من الجلوس عليها^(٦)، كما يألم من نخل جسمه^(٧) وقلّ لحمه، إذا لم يكن بينه وبين الأرض حائل يقيه^(٨) صلابتها.

[الإنسان ذكر وأنثى وتناسله وآلات العمل وحاجته وحيلته وإلزامه بالحجة]
 من جعل الإنسان ذكراً وأنثى إلا من خلقه متناسلاً؟ ومن خلقه متناسلاً إلا من خلقه مؤملاً؟ ومن أعطاه آلات العمل إلا من خلقه عاملاً؟ ومن خلقه عاملاً إلا من جعله محتاجاً؟ ومن جعله محتاجاً إلا من ضربه بالحاجة؟ ومن ضربه بالحاجة إلا من توكل بتقويته؟

(١) ليست في «د».

(٢) في «أ» «ب» «ج» «د»: الكوكب.

(٣) في «أ» «ج» «د»: جمية. واستظهر في «ج»: حميت.

(٤) في «أ»: ولم.

(٥) في «أ» «د»: وأليته. وهما لفتان.

(٦) في «ج» «ن»: عليها.

(٧) في نسخة بدل من «ج»: جسده.

(٨) في «ب» «ج»: يوقيه. وفي هامش «ب»: يقيه صح ل. وفي نسخة بدل من «ج»: كالمثبت.

من ^(١) خَصَّهُ بالفهم إلا من أوجب له ^(٢) الجزاء؟ و ^(٣) من وهب له الحيلة إلا من ملَّكه الحول؟ و ^(٤) من ملَّكه الحول إلا من ألزمه الحجَّة؟ و ^(٥) من يكفيه ما لا تبلغه حيلته إلا من لا ^(٦) يُبلِّغ مدى شكره؟

فكَّر وتدبَّر ما وصفته، هل تجد الإهمال يأتي ^(٧) على مثل ^(٨) هذا النظام والترتيب، تبارك الله و ^(٩) تعالى عما يصفون.

[الفؤاد وثقبه المتصلة بالرئة]

أُصف لك الآن يا مفضل الفؤاد.. اعلم أن فيه ثُقْباً موجهة نحو الثُقْب التي في الرئة تروِّح عن الفؤاد، حتَّى لو اختلفت تلك الثُقْب ^(١٠) وتزايل بعضها عن بعض، لما وصل الرُّوح إلى الفؤاد، وهلك ^(١١) الإنسان.

فكَّر ^(١٢) أفيستجيز ذو (فكرة و) ^(١٣) روية أن يزعم أن مثل هذا يكون

(١) في «ن»: ومن.

(٢) ليست في «ن».

(٣) الواو ليست في «ب» «ج».

(٤) الواو ليست في «د».

(٥) الواو ليست في «ب» «د» «ن».

(٦) في «ب» «ن»: من لم يبلغ. والمثبت عن «أ» «ج» «د» ونسخة بدل من «ب».

(٧) ليست في «ب».

(٨) ليست في «ب». وأدخلت في متن «ج» عن نسخة.

(٩) الواو ليست في «ن». وقوله «وتعالى» ليس في «ب».

(١٠) في «ب»: الثقب. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(١١) في «ج»: ويهلك. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(١٢) ليست في «ب» «د» «ن».

(١٣) ليست في «أ». وفي «ب» «د»: فكر وروية.

بالإهمال، ولا يجد شاهداً من نفسه يزعه^(١) عن هذا القول؟

لو رأيت فرداً من مصراعين^(٢) فيه كَلُوب^(٣)، أكنت تتوهم أنه جُعِلَ كذلك بلا معنى؟ بل كنت ستعلم^(٤) ضرورةً أنه مصنوع يلقي فرداً آخر، فيبرزه^(٥) ليكون في اجتماعها ضرب من المصلحة، وهكذا تجد الذكر من الحيوان، كأنه فرد من زوج مهياً^(٦) من فرد أنثى، فيلتقيان لما فيه من دوام النسل وبقائه، فتباً وخيبة وتعساً لمتحلي الفلسفة كيف عميت قلوبهم عن هذه الحلقة العجيبة حتى أنكروا التدبير والعمد فيها؟

[فرج الرجل والحكمة فيه]

لو كان فرج الرجل مسترخياً كيف كان يصل إلى قعر الرحم حتى يفرغ النطفة فيه؟ ولو كان منعضاً أبداً كيف كان الرجل يتقلب في الفراش، أو يمشي بين الناس وشيء شاخص أمامه، ثم يكون في ذلك مع قبح المنظر، تحريك الشهوة في كل وقت من الرجال والنساء جميعاً، فقدّر الله جلّ اسمه أن يكون أكثر ذلك لا يبدو للبصر في كل وقت، ولا يكون على الرجال منه مؤنة، بل جعل فيه القوة على^(٧) الانتصاب

(١) في «ج»: نزعه. وفي نسخة بدل منها ومن «ب»: ينزعه.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: «ومصراعين» بدل «من مصراعين».

(٣) في «ج»: كلون. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) في «أ» «ب» «ن»: ونسخة بدل من «ج»: تعلم.

(٥) في «أ» ونسخة بدل من «ج»: فيقرّره.

(٦) رسمت في «ب»: مهياً. ثم وضعت دائرة حول النقطتين التحتائيتين. وفي نسختي بدل من «ج» «د»: مهياً.

(٧) في «ن»: «قوة الانتصاب» بدل «القوة على الانتصاب».

وقت الحاجة إلى ذلك، لما قدّر أن يكون فيه من دوام النسل وبقائه.

[منفذ الغائط ووصفه]

اعتبر الآن يا مفضل بعظم النعمة على الإنسان في مطعمه ومشربه وتسهيل خروج الأذى، أليس ^(١) من حسن ^(٢) التقدير في بناء الدار أن يكون الخلاء في أستر موضع منها ^(٣)، فهكذا ^(٤) جعل الله سبحانه المنفذ المهيأ للخلاء من الإنسان في أستر موضع منه، فلم يجعله بارزاً من خلفه، ولا ناشراً من بين يديه، بل هو مغيب في موضع غامض من البدن، مستور محجوب، يلتقي عليه الفخذان - وتحجبه الأليتان بما عليهما من اللحم - فيواريانه ^(٥)، فإذا احتاج الإنسان إلى الخلاء وجلس تلك الجلسة ألقى ^(٦) ذلك المنفذ منه منصّباً، مهياً لانحدار الثقل، فتبارك ^(٧) من تظاهرت آلاؤه ولا تحصى نعمائه.

[الطواحن من أستان الإنسان]

فكر يا مفضل في هذه الطواحن التي جعلت للإنسان، فبعضها حِداد لقطع الطعام وقرضه، وبعضها عراض لمضغه ورضّه، فلم ينقص واحد من الصفتين ^(٨)، إذ كان

(١) في «د»: أليس هذا من.

(٢) في «أ»: «د»: أحسن.

(٣) في «ب»: فيها. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) في «ن»: فكذا.

(٥) في «ن»: فتواريانه.

(٦) في «ب» «ج» «د»: ألقى. وفي نسخة من «ب» كالمثبت، وكتب بعدها صح ل.

(٧) في «ب»: فتبارك الله من تظاهرت. وأدخل لفظ الجلالة فيها عن نسخة.

(٨) في نسخة بدل من «ب»: الصنعين. وفي «ج»: الصنعتين، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

محتاجاً^(١) إليهما جميعاً.

[الشعر والأظفار وفائدة قصصهما]

تأمل واعتبر بحسن التدبير في خلق^(٢) الشعر والأظفار، فإنَّهما لما كانا مما يطول ويكثر، حتَّى يحتاج إلى تخفيفه أولاً فأولاً، جعلنا عديمي الحسّ، لئلاَّ يؤلم الإنسان الأخذ منها، ولو كان قصّ الشعر وتقليم الأظفار ممّا يوجد^(٣) له (مسّ ذلك، لكان الإنسان)^(٤) من ذلك بين مكروهين، إمّا أن يدع كلّ واحد منهما حتّى يطول فيثقل عليه، وإمّا أن يخفّفه بوجع وألم يتألّم منه.

قال المفصّل: فقلت: فلمَ لم يجعل ذلك خلقة لا تزيد فيحتاج الإنسان إلى النقصان منه؟

فقال عليه السلام^(٥): إنّ الله تبارك اسمه في ذلك على العبد نعمة لا يعرفها فيحمده عليها.. اعلم أنّ آلام البدن وأدواءه تخرج بخروج الشعر في مسامته وبخروج الأظفار من أناملها، ولذلك أمر الإنسان بالنورة، وحلق الرأس، وقصّ الأظفار في كلّ أسبوع ليسرع الشعر والأظفار في النبات، فتخرج الآلام والأدواء بخروجها.. وإذا طالا تحيّزاً^(٦)، وقلّ خروجهما، فاحتبست الآلام والأدواء في البدن فأحدثت^(٧) عللاً

(١) في «ج»: يحتاج.

(٢) في «أ» و«د» و«ن»: خلق.

(٣) في نسخة بدل من «ج»: يوجب.

(٤) في «ن»: ألّم وقّع.

(٥) في «ج»: قال.

(٦) في «أ» و«ب» و«د» و«ن»: تحيّر. والمثبت عن «ج». وشرحت في هامشها: تحوّر تلوى كتحيز.

(٧) في «د»: وأحدثت.

وأوجاعاً، ومنع - مع ذلك - الشعر من المواضع التي تضرّ بالإنسان، وتحدث عليه الفساد والضرر^(١).

لو^(٢) نبت الشعر في العين، ألم يكن سيعمى البصر؟ ولو نبت في الفم، ألم يكن سينغصص^(٣) على الإنسان طعامه وشرابه؟ ولو نبت في باطن الكفّ ألم يكن سيعوقه عن صحّة لمس وبعض الأعمال؟ ولو نبت في فرج المرأة أو^(٤) على ذكر الرجل، ألم يكن سيفسد عليها لذّة الجماع؟

فانظر كيف تتكّب الشعر^(٥) عن^(٦) هذه المواضع، لما في ذلك من المصلحة، ثمّ ليس هذا في الإنسان فقط، بل تجده في البهائم والسباع وسائر المتناسلات، فإنّك ترى أجسامها^(٧) مجلّلة بالشعر، وترى هذه المواضع خالية منه لهذا السبب بعينه.. فتأمل الخلقة كيف تتحرّز وجوه الخطأ والمضرة، وتأتي بوجوه الصواب^(٨) والمنفعة.

[شعر الركب والإبطين]

إنّ المنايئة^(٩) وأشباههم، حين اجتهدوا^(١٠) في عيب الخلقة والعمد عابوا الشعر

(١) في «ن»: والضرر.

(٢) في «ج»: ولو. وكذلك في «ب» ثم شطب على الواو.

(٣) في «أ» «ب» ونسخة بدل من «ج»: سيفصص. وفي نسخة بدل من «أ» كالمثبت.

(٤) في «أ» «ن»: «وعلى» بدل «أو على».

(٥) في «ج»: بالشعر. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) «عن» ليست في «أ» «ب» «ج» «د».

(٧) في «ب» ونسخة بدل من «د»: أجسامهن.

(٨) في «أ»: بوجوب الصواب. وفي «ب» «ن»: وتأتي بالصواب.

(٩) في «ب»: المانوية. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(١٠) في «ن»: أجهدوا.

النابت على الرِّكَبِ والإِطِين، ولم يعلموا أَنَّ ذلك من رطوبة تَنْصَبُ إلى هذه المواضع، فینبت فيها الشعر كما ینبت العشب في مستنقع المياه، أفلا ترى أَنَّ^(١) هذه المواضع أستر وأهياً لقبول تلك الفضلة من غيرها؟ ثمَّ إِنَّ هذه تعدّ^(٢) ممّا يحمل الإنسان من مؤنة هذا البدن وتكاليفه لما له في ذلك من المصلحة، فإنَّ اهتمامه بتنظيف بدنه وأخذ ما يعلوه من الشعر، ممّا يكسر به شِرَّتَه^(٣) ويكفّ عاديته ويشغله عن بعض ما يخرجُه^(٤) إليه الفراغ من الأَثَرِ والبطالة.

[الريق وما فيه من المنفعة]

تأمل الريق وما فيه من المنفعة، فإنَّه جعل يجري جرياناً دائماً إلى الفم، لیبلّ الحلق واللَّهَوَات فلا^(٥) يجفّ، فإنَّ هذه المواضع لو جعلت كذلك كان فيه هلاك الإنسان^(٦)، ثمَّ كان لا يستطيع أن یسبغ^(٧) طعاماً إذا لم يكن في الفم بلّة تنفذه؛ تشهد بذلك المشاهدة.

واعلم أَنَّ الرطوبة مطیبة الغذاء، وقد تجري من هذه البلّة إلى موضع آخر^(٨) - من

(١) في «ب» «ج» «ن»: «إلى» بدل «أَنَّ».

(٢) في «أ» ونسخة من «ب»: «تعدّ». وفي نسخة بدل من «أ» كالمثبت.

(٣) في «ج»: «شرهه».

(٤) في «أ» ونسخة بدل من «ج»: «يخرج».

(٥) في «ج»: «ولا يجف».

(٦) في «ن»: «الأسنان».

(٧) في «ج»: «یشبع».

(٨) في «أ» «ن»: «مواضع أخر».

المِرَّة - فيكون في ذلك صلاح تامّ للإنسان^(١)، ولو يبست المِرَّة لهلك الإنسان.

[معاذير كون بطن الإنسان كهيئة القباء]

ولقد قال قوم من جهلة المتكلمين وضعفة المتفلسفين - لقلة^(٢) التمييز وقصور العلم - : لو كان بطن الإنسان كهيئة القباء يفتحه الطبيب إذا شاء فيعاین ما فيه، ويدخل يده فيعالج ما أراد علاجه منه^(٣)، ألم يكن أصح من أن يكون مُصمتاً محجوباً عن البصر واليد، لا يعرف ما فيه إلا بدلالات غامضة، كمثل النظر إلى البول، وجسّ^(٤) العِرْق، وما أشبه ذلك ممّا يكثر فيه الغلط والشبهة، حتّى ربّما كان ذلك سبباً للموت.

فلو علم هؤلاء الجهلة أنّ هذا لو كان هكذا، كان أوّل ما فيه أنّه^(٥) كان يسقط عن الإنسان الوجل من الأمراض والموت، وكان يستشعر البقاء ويغترّ بالسلامة فيخرجه ذلك إلى العتوّ والأشر.

ثمّ كانت الرطوبات^(٦) التي في البطن تترشّح وتتحلّب فتُفسد^(٧) على الإنسان مقعده ومرقده وثياب بذلّته^(٨) وزينته، بل كان يفسد عليه عيشه.

(١) في «أ»: للأُنسان.

(٢) في «أ» «ب» «ج» «ن»: بقلة. والمثبت عن «د» ونسخة بدل من «ج».

(٣) ليست في «أ» «ب» «ج» «د».

(٤) في «ب» «د»: وجسّ.

(٥) في «ن»: أن.

(٦) في «ج»: الرطوبة. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٧) في «أ» «ب» «ن»: فيفسد.

(٨) في «ن»: بذلّته.

ثمَّ إِنَّ المَعْدَةَ والكَبِدَ والفَوَادِ إِنَّمَا تَفْعَلُ أفعالها بالحرارة الغريزية التي جعلها الله محتبسة في الجوف، فلو كان في البطن فرج يفتح^(١) حتَّى يصل البصر إلى رؤيته، واليد إلى علاجه، لوصل برد الهواء إلى الجوف، فزاج الحرارة الغريزية، وبطل عمل^(٢) الأحشاء، فكان في ذلك هلاك الإنسان، أفلا ترى أَنَّ كُلَّ ما تذهب إليه^(٣) الأوهام - سوى ما جاءت^(٤) به الخلقة - خطأ وخطل.

[أفعال الإنسان في الطعم والنوم والجماع وشرح ذلك]

فكَّرَ يا مفضَّل في الأفعال التي جعلت في الإنسان من الطعم والنوم والجماع وما دَبَّرَ فيها.. فَإِنَّهُ جُعِلَ لكلِّ واحد منها في الطباع نفسه مُحَرِّكٌ يقتضيه ويستحثُّ به، فالجوع يقتضي الطَّعْمَ الذي به^(٥) حياة^(٦) البدن وقوامه، والكرى يقتضي النوم الذي فيه راحة البدن وإجمام قواه، والشبق يقتضي الجماع الذي فيه دوام النسل وبقاؤه.

ولو كان الإنسان إِنَّمَا يصير إلى أكل الطعام لمعرفته بحاجة بدنه إليه، ولم يجد من طباعه شيئاً يضطرُّه إلى ذلك، كان خليفاً أَن يتوانى عنه أحياناً بالتثقل^(٧) والكسل،

(١) في «أ» «ج» «د»: فُرِّجَ تَنْفَتَحَ.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: حمل.

(٣) في نسخة بدل من «د»: عليه.

(٤) في نسخة بدل من «ج»: ما جرت.

(٥) في «ن»: فيه.

(٦) في «ن»: راحة.

(٧) في «ج» «ن»: بالتثقل.

حتى ينحلّ بدنه فيهلك، كما يحتاج الواحد إلى الدواء لشيء مما يصلح به بدنه فيدافع به حتى يؤدّيه ذلك إلى المرض والموت، وكذلك لو كان إنمّا يصير إلى النوم بالتفكير^(١) في حاجته إلى راحة البدن وإجماع قواه كان عسى أن يتشاغل عن ذلك فيدفعه حتى ينهك بدنه، ولو كان إنمّا يتحرّك للجوع بالرغبة في الولد كان غير بعيد أن يفتر عنه، حتى يقلّ^(٢) النسل أو ينقطع فإنّ من الناس من لا يرغب في الولد، ولا يحفل به^(٤).

فانظر كيف جعل لكل واحد من هذه الأفعال - التي بها قوام الإنسان وصلاحه - محرّك من نفس الطبع يحركه لذلك، ويحدوه عليه.

واعلم أنّ في الإنسان قوى أربعاً:

قوة جاذبة تقبل الغذاء وتورده على المعدة.

وقوة ماسكة^(٥) تحبس الطعام حتى تفعل فيه الطبيعة فعلها.

وقوة هاضمة وهي التي تطبخه^(٦) وتستخرج صفوه وتبثّه^(٧) في البدن.

وقوة دافعة تدفعه وتحذر النفل الفاضل بعد أخذ الهاضمة حاجتها.

ففكر في تقدير هذه القوى الأربع التي في البدن وأفعالها وتقديرها للحاجة إليها

(١) في «ن»: بالفكر.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: يفتك.

(٣) في «أ»: وينقطع.

(٤) في «د»: فيه. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «د»: ممسكة.

(٦) في نسختي بدل من «ب» «ج»: تطحنه.

(٧) في «د»: وتبثّه.

والأَرْبَ فيها، وما في ذلك من التدبير والحكمة، فلولا^(١) المجاذبة كيف كان^(٢) يتحرك الإنسان لطلب الغذاء الذي به قوام البدن؟ ولولا الماسكة^(٣) كيف كان يلبث الطعام في الجوف حتى تهضمه المعدة؟ ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ حتى يخلص منه الصفو الذي يغذو البدن ويسدّ خلله؟ ولولا الدافعة كيف^(٤) كان الشغل الذي تخلفه الهاضمة يندفع ويخرج^(٥) أولاً فأولاً؟

أفلا ترى كيف وكلّ الله سبحانه - بلطف^(٦) صنعه وحسن تقديره - هذه القوى بالبدن، والقيام بما فيه صلاحه.. وسأمتل لك^(٧) في ذلك مثلاً: إنّ البدن بمنزلة دار المليك، و^(٨) له فيها حشم وضيئة^(٩) وقوام موكلون بالدار، فواحد لقضاء^(١٠) حوائج الحشم وإيرادها عليهم، وآخر لقبض ما يرد وخزنه إلى أن يعالج ويهيأ، وآخر لعلاج ذلك وتهيته وتفرقة^(١١)، وآخر لتنظيف ما في الدار من الأتذار وإخراجه منها؛ فالمليك في هذا هو الخلاق^(١٢) الحكيم ملك^(١٣) العالمين، والدار هي البدن،

(١) في «ب»: ولولا.

(٢) ليست في «أ» «ب» «ج».

(٣) في «ج»: الممسكة. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) في «ج»: يَم. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «أ»: فيخرج.

(٦) في «أ» «د»: بلطيف. وفي «ب»: سبحانه لك بلطيف منه صنعه.

(٧) ليست في «ب».

(٨) الواو ليست في «د» «ن».

(٩) في «ب» «ج» «د» «ن»: وصيبة. والمثبت عن «أ» ونسخة بدل من «ج».

(١٠) في «أ» «د»: لإفضاء. وفي «ب» «ج»: لإقضاء.

(١١) في «ب» «ن»: وتفريقه.

(١٢) في نسختي بدل من «أ» «ج»: الخالق.

(١٣) في «أ» «د»: مالك.

والحشم هم^(١) الأعضاء، والقوام هم هذه القوى الأربع .
ولعلك ترى ذكرنا هذه القوى الأربع وأفعالها - بعد الذي وصفت - فضلاً
وترداداً^(٢) . وليس^(٣) ما ذكرته من هذه القوى على الجهة التي ذكرت في كتب
الأطباء ولا قولنا فيه كقولهم، لأنهم ذكروها على ما يحتاج إليه في صناعة الطب
وتصحيح الأبدان، وذكرناها على ما يحتاج إليه^(٤) في صلاح الدين وشفاء النفوس
من الغي^(٥) كالذي أوضحته بالوصف الشافي والمثل المضروب من التدبير والحكمة
فيها .

[قوى النفس وموقعها من الإنسان]

تأمل يا مفضل هذه القوى التي في النفس^(٦)، وموقعها من الإنسان، أعني الفكر
والوهم والعقل والحفظ وغير ذلك، أفرأيت لو نُقِصَ الإنسان من هذه الخلال الحفظ
وحده^(٧)، كيف كانت تكون حاله، وكم من خلل كان يدخل عليه في أموره ومعاشه
وتجارته^(٨)، إذا لم يحفظ ماله وما^(٩) عليه، وما أخذه وما أعطى، وما رأى وما سمع،

(١) في «أ» «ب» «ج» «د» : هي . وكذا في المورد الآتي .

(٢) في «ب» «ج» «د» «ن» : وتردادا . والمثبت عن «أ» ونسخة بدل من «ج» .

(٣) في «أ» «د» ونسخة بدل من «ج» : «إذ ليس» بدل «وليس» .

(٤) ليست في «ب» «د» «ن» .

(٥) في «أ» : الغي .

(٦) في «ج» «د» : النفوس . وفي نسخة بدل من «د» كالمثبت .

(٧) في نسخة من «ب» : والحفظ واحدة .

(٨) في «ب» «ن» : وتجاربه . والمثبت عن «أ» «ج» «د» ونسخة بدل من «ب» .

(٩) «ما» ليست في «ب» «ج» «د» .

وما قال وما قيل له، ولم يذكر من أحسن إليه ممن أساء به، وما نفعه مما ضره، ثم كان لا يهتدي لطريق لو سلكه ما لا يحصى، ولا يحفظ علماً ولو درسه عمره، ولا يعتقد ديناً، ولا ينتفع بتجربة، ولا يستطيع أن يعتبر شيئاً على ما مضى، بل كان حقيقاً^(١) أن ينسلخ من الإنسانيّة أصلاً^(٢).

[النعمة على الإنسان في الحفظ والنسيان]

فانظر إلى النعمة على الإنسان في هذه الخلال، وكيف موقع الواحدة منها دون الجميع، وأعظم من النعمة على الإنسان في الحفظ النعمة في النسيان، فإنه لولا النسيان لما سلا أحد عن مصيبة، ولا انقضت^(٣) له حسرة، ولا مات له حقد، ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات، ولا رجا غفلة من سلطان، ولا فترة من حاسد.

أفلا ترى كيف جعل في الإنسان الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادان، وجُعِلَ له في كلّ واحد^(٤) منها ضربٌ من المصلحة، وما عسى أن يقول الذين قسموا الأشياء بين خالقيين متضادّين في هذه الأشياء المتضادّة المتباينة، وقد تراها تجتمع على ما فيه الصلاح والمنفعة.

[اختصاص الإنسان بالحياة دون بقية الحيوانات]

انظر يا مفضّل إلى ما حُصّ به الإنسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق، الجليل

(١) في «أ»: حقيقاً خليفاً. وفي «ج»: خليفاً، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) ليست في «ن».

(٣) في نسخة بدل من «ج»: ولا نقضت.

(٤) ليست في «ب» «ج» «ن».

قدره، العظيم غناؤه، أعني الحياء، فلولا له لم يُفَرَّ ضيفٌ، ولم يُوفَ بالعِدات، ولم تُفَضَّ الحوائج، ولم يُتَحَرَّ الجميل، ولم يُتَنَكَّب القبيح في شيء من الأشياء، حتَّى أن كثيراً من الأمور المفترضة أيضاً إنما تُفعل للحياء؛ فإنَّ من الناس مَنْ لولا الحياء لم يَزِرْ حقَّ والديه، ولم يصل ذا رحم، ولم يؤدِّ أمانة، ولم يعفَّ عن فاحشة.. أفلا ترى كيف وُفِّي الإنسان جميع الخلال التي فيها صلاحه وتماز أمره.

[اختصاص الإنسان بالمنطق والكتابة]

تأمل يا مفضل ما أنعم الله - تقدَّست أسماؤه - به على الإنسان من هذا النطق^(١) الذي يعبر به عما في ضميره، وما يخطر بقلبه، وينتجه فكره، وبه^(٢) يفهم عن غيره ما في نفسه، ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة، التي لا تخبر عن نفسها بشيء، ولا تفهم عن مخبر شيئاً.

وكذلك الكتابة التي بها تقيّد أخبار الماضين للباقيين، وأخبار الباقيين للآتين، وبها تخلّد^(٣) الكتب في العلوم والآداب وغيرها، وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب، ولولاها^(٤) لانقطع أخبار بعض^(٥) الأزمنة عن بعض، وأخبار الغائبين عن أوطانهم، ودرست العلوم، وضاعت^(٦) الآداب،

(١) في «ج» «ن»: المنطق. والمثبت عن «أ» «ب» «د» ونسخة بدل من «ج».

(٢) «به» أدخلت في متن «ب» عن نسخة.

(٣) في «أ» تُجلّد. والظاهر أنها مصحفة عن «تخلّد».

(٤) في «أ» «ب» «ج» «ن»: ولولا.

(٥) في «ج»: لانقطع بعض أخبار.

(٦) في «ج»: وصناعة. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

وعظم ما يدخل على الناس من الخلل^(١) في أمورهم ومعاملاتهم، وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم، وما روي لهم ممّا لا يسعهم جهله.

ولعلّك تظنّ أنّها ممّا يخلص^(٢) إليه بالحيلة والفتنة، وليست ممّا أعطيه الإنسان من خلقه وطباعه.

وكذلك الكلام، إنّما هو شيء يصطّلع عليه الناس فيجري بينهم، ولهذا صار يختلف في الأمم المختلفة باللسنِ مختلفة^(٣)، وكذلك الكتابة^(٤) ككتابة^(٥) العربي والسيّاني والعبراني والرومي، وغيرها من سائر الكتابة، التي هي متفرّقة في الأمم إنّما اصطَلَحُوا عليها، كما اصطَلَحُوا على الكلام.

فيقال لمن ادّعى ذلك: إنّ الإنسان وإن كان له في الأمرين جميعاً فعل أو حيلة، فإنّ الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة، عطية وهبة من الله عزّ وجلّ له في خلقه^(٦)، فإنّه لو لم يكن له لسان مهيباً للكلام، وذهن يهتدي به للأمر، لم يكن ليتكلّم أبداً، ولو لم تكن له كفّ مُهيّأة وأصابع للكتابة، لم يكن ليكتب أبداً.

واعتبر ذلك من البهائم التي لا كلام لها ولا كتابة، فأصل ذلك فطرة الباري جلّ وعزّ، وما تفضّل به على خلقه، فمن شكر أُصيب، ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٧).

(١) في نسخة بدل من «ج»: خلل.

(٢) في «ج»: يتخلّص.

(٣) قوله «بالسن مختلفة» ليس في «ن».

(٤) ليست في «ن».

(٥) في «ن»: لكتابة.

(٦) في «ج» «د» ونسخة بدل من «ب»: خلقته. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٧) آل عمران: ٩٧.

[إعطاء الإنسان ما يصلح دينه ودنياه ومنعه مما سوى ذلك]

فَكَرَّ يا مَفْضَّلُ فيما أُعْطِيَ الإنسان علمه وما مُنِعَ، فَإِنَّهُ أُعْطِيَ علم جميع^(١) ما فيه صلاح دينه ودنياه؛ فَمَا فِيهِ صلاح دينه معرفة الخالق تبارك وتعالى بالدلائل والشواهد القائمة في الخلق، ومعرفة الواجب عليه من العدل على الناس كافة، وبرّ الوالدين، وأداء الأمانة، ومواساة أهل الخلّة، وأشباه ذلك، ممّا قد توجد معرفته، والإقرار والاعتراف به في الطبع والفطرة، من كلّ أُمَّة موافقة أو مخالفة.

وكذلك أُعْطِيَ علم ما فيه صلاح دنياه كالزراعة والغراس، واستخراج الأرضين، واقتناء الأغنام والأنعام، واستنباط المياه، ومعرفة العقاقير التي يُسْتَشْفَى بها من ضروب الأسقام، والمعادن التي تُسْتَخْرَج منها أنواع الجواهر، وركوب السفن، والغوص في البحر، وضروب الحيل في صيد الوحش والطيور والحيتان، والتصرّف في الصناعات ووجوه المتاجر والمكاسب، وغير ذلك ممّا يطول شرحه ويكثر تعداده، ممّا فيه صلاح أمره في هذه الدار.

فَأُعْطِيَ علم ما يصلح به دينه ودنياه، ومُنِعَ ما سوى ذلك ممّا ليس في شأنه ولا طاقته أن يعلمه^(٢)؛ كعلم الغيب وما هو كائن، وبعض ما قد كان أيضاً؛ كعلم^(٣) ما فوق السماء وما تحت الأرض، وما في لجج البحار^(٤) وأقطار العالم، وما في قلوب الناس وما في الأرحام، وأشباه هذا ممّا حجب عن^(٥) الناس علمه.

(١) في «ن»: جميع علم.

(٢) في «أ»: «ب» «د» «ن» ونسخة بدل من «ج»: يعلم. والمثبت عن «ج» ونسخة بدل من «ب».

(٣) في «ج» ونسخة بدل من «ب»: كعلمه. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٤) في «د»: البحر. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «أ»: «ب» «ج» «د»: على.

وقد ادّعت طائفة من الناس هذه الأمور، فأبطل دعواهم ما تبيّن^(١) من خطئهم فيما يقضون عليه ويحكمون به فيما ادّعوا علمه^(٢).
فانظر كيف أعطي الإنسان علم^(٣) جميع ما يحتاج إليه لدينه ودنياه، وحُجِبَ عنه ما سوى ذلك، ليعرف قدره ونقصه، وكلا الأمرين فيهما صلاحه^(٤).

[ما ستر عن الإنسان علمه من مدّة حياته]

تأمل^(٥) الآن يا مفضّل ما ستر عن^(٦) الإنسان علمه من مدّة حياته، فإنّه لو عرف مقدار عمره - وكان قصير العمر - لم يتهنّأ بالعيش، مع ترقّب الموت وتوقّعه، لوقتٍ قد عرفه، بل كان يكون بمنزلة من قد فني ماله، أو قارب الفناء، فقد استشعر الفقر، والوجل من فناء ماله وخوف الفقر، على أنّ الذي يدخل على الإنسان من فناء العمر أعظم ممّا يدخل عليه^(٧) من فناء المال؛ لأنّ من يقلّ ماله يأمل أن يستخلف منه، فيسكن إلى ذلك، ومن أيقن بفناء العمر استحکم عليه اليأس.
وإن كان طويل العمر، ثمّ عرف ذلك وثق بالبقاء، وانهمك في اللذات والمعاصي، وعمل على أنّه يبلغ من ذلك شهوته، ثمّ يتوب في آخر عمره، وهذا مذهب لا

(١) في «أ» «ب» «ن»: يبين.

(٢) في «ن»: عليه.

(٣) في «ج»: «على» بدل «علم». وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) في «ج»: صلاح. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «ج»: وتأمل. وأدخلت الواو في متنها عن نسخة.

(٦) في «د»: على. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٧) في نسخة بدل من «د»: «على الإنسان» بدل «عليه».

يرضاه الله من عباده ولا يقبله.

ألا ترى لو أنّ عبداً لك عمل على أن^(١) يسخطك سنةً ويرضيك يوماً أو شهراً، لم تقبل ذلك منه، ولم يحلّ عندك محلّ العبد الصالح دون أن يضر طاعتك ونصحك في كلّ الأمور و^(٢) في كلّ الأوقات على تصرّف الحالات^(٣)؟

فإن قلت: أوليس قد يقيم الإنسان على المعصية حيناً ثمّ يتوب فتقبل توبته؟ قلنا: إنّ ذلك شيء يكون من الإنسان - (من غير أن يقدره له)^(٤) - لغلبة الشهوات له وتركه مخالفتها، [و]^(٥) من غير أن يقدره^(٦) في نفسه، ويبني عليه أمره، فيصفح الله عنه، ويتفضل عليه بالمغفرة. فأما من قدر أمره على أن يعصي^(٧) ما بدا له، ثمّ يتوب آخر ذلك، فأما يحاول خديعة من لا يُخادعُ، بأن يتسلّف^(٨) التلذّذ^(٩) في العاجل، ويعد ويميّ نفسه التوبة في الآجل، ولعلّه^(١٠) لا يفي بما يعد ويتمنّى^(١١) من ذلك، فإنّ الزرع من الترقّهِ والتلذّذ ومعاينة التوبة - ولا سيما عند الكبر وضعف البدن - أمرٌ صعب، ولا يؤمنُ على الإنسان مع مدافعته بالتوبة أن

(١) في جميع النسخ: أنّه. والمثبت عن نسخة بدل من «ج».

(٢) الواو ليست في «ب» «ج» «د».

(٣) في نسخة بدل من «ب»: الآلات.

(٤) ليست في «ب» «ج» «د» «ن». والضمير في «يقدره» يعود للباري سبحانه.

(٥) من عندنا.

(٦) في «ب» «ن»: يقدرها. والضمير في «يقدره» يعود للإنسان.

(٧) في «ج»: يقضي.

(٨) في نسختي بدل من «ب» «ج»: يستلّف.

(٩) في «أ»: المتلذّذ.

(١٠) في جميع النسخ: ولأنّه بدل ولعلّه. والمثبت عن نسخة بدل من «د».

(١١) قوله «وَيَتَمَنَّى» ليس في «أ» «ب» «ج» «ن».

يرهبه الموت، فيخرج من الدنيا غير تائب، كما قد يكون على الواحد دين إلى أجل وهو^(١) يقدر على قضائه، فلا يزال يدافع بذلك حتى يحل الأجل، وقد نفذ المال، فيبقى الدين قائماً عليه.

فكان خير الأشياء للإنسان أن يُسْتَرَ عنه مبلغُ عمره، فيكون طولَ عمره يترقب الموت، فيترك المعاصي، ويؤثر العمل الصالح.

فإن قلت: وها هو الآن قد سَتَرَ عنه مقدار حياته، وصار يترقب الموت في كلِّ ساعة، [وهو]^(٢) يقارف الفواحش وينتهك المحارم.

قلنا: إنَّ وجه التدبير في هذا الباب هو الذي جرى عليه الأمر فيه، فإن كان الإنسان مع ذلك لا يرعوي ولا ينصرف عن المساوي، فإنَّما ذلك من مرجه ومن قساوة قلبه، لا من خطأ في التدبير، كما أنَّ الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به، فإن كان المريض مغالاً لقول الطبيب - لا يعمل بما يأمره ولا ينتهي عما ينهاه عنه - لم ينتفع بصفته، ولم تكن الإساءة في ذلك للطبيب بل للمريض، حيث لم يقبل منه، ولئن كان الإنسان مع ترقبه للموت كلِّ ساعة لا^(٣) يمتنع عن المعاصي، فإنَّه لو وثق بطول البقاء كان أحرى بأن^(٤) يخرج إلى الكبائر الفظيعة.

فترقبُ الموتِ على كلِّ حال خيرٌ له من الثقة بالبقاء، ثمَّ إنَّ ترقبَ الموت وإن كان صنفٌ من الناس يلهون عنه ولا يتعظون به، فقد يتعظ به صنف آخر منهم، وينزعون عن المعاصي، ويؤثرون العمل الصالح، ويجودون بالأموال والعقائل

(١) في جميع النسخ: «وقد» بدل «وهو». والمثبت عن نسخة بدل من «د».

(٢) من عندنا.

(٣) في نسخة بدل من «أ»: «لم» بدل «لا».

(٤) في «أ» «ج» «د»: «أن».

النفيسة في الصدقة على الفقراء والمساكين، فلم يكن من العدل أن يُحرّم هؤلاء الانتفاع بهذه الخصلة لتضييع^(١) أولئك حظّهم منها.

[الأحلام وامتزاج صادقها بكاذبها وسرّ ذلك]

فكّر يا مفضل في الأحلام كيف دُبّر الأمر فيها فزج صادقها بكاذبها، فإنّها لو كانت كلّها تصدق لكان الناس كلّهم أنبياء، ولو كانت كلّها تكذب، لم تكن فيها منفعة، بل كانت فضلاً لا معنى له، فصارت تصدق أحياناً فينتفع بها الناس في مصلحة يُهتدى لها^(٢)، أو مضرة يُتحرّزُ^(٣) منها، وتكذب كثيراً لئلا يُعتمدَ عليها كلّ الاعتماد.

[الأشياء المخلوقة لمآرب الإنسان وإيضاح ذلك]

فكّر يا مفضل^(٤) في هذه الأشياء التي تراها موجودة مُعدّة في العالم من مآربهم؛ فالتراب للبناء، والحديد للصناعات، والخشب للسفن وغيرها، والحجارة للأرحاء وغيرها، والنحاس للأواني، والذهب والفضّة للمعاملة، والجواهر^(٥) للذخيرة، والحبوب للغذاء، والثمار للتفكّه، واللحم للمأكّل، والطيب للتلذّذ، والأدوية

(١) في «ج»: ليضيّع. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «أ» «د» ونسخة بدل من «ج»: بها.

(٣) في «ب» «ن»: يُتحرّز منها. وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت. وفي نسخة بدل من «ج»: يحذر عنها.

(٤) قوله «يا مفضل» ليس في «أ» «ب» «ج» «د».

(٥) في «ب»: والجوهر. وأدخلت كلمة «الجواهر» في «ج» عن نسخة. وفي «ن»: «والذخيرة» بدل «والجواهر للذخيرة».

للتصحيح^(١)، والدوابّ للحمولة، والخطب للتوقّد، والرماد للكِلْس، والرمل^(٢) للأرض، وكم عسى أن يحصي المحصي من هذا وشبهه.

أرأيت لو أنّ داخلاً دخل داراً فنظر إلى خزائن مملوءة من كلّ ما^(٣) يحتاج إليه الناس، ورأى كلّ ما^(٤) فيها مجموعاً مُعدّاً لأسباب معروفة أكان^(٥) يتوهم أنّ مثل هذا يكون بالإهمال، ومن غير عَمْد؟ فكيف يستجيز قائلٌ أن يقول هذا في^(٦) العالم، وما أعدّ فيه من هذه الأشياء؟

اعتبر يا مفضّل بأشياء خلقت لما ربّ الإنسان وما فيها من التدبير، فإنّه خلق له الحبّ لطعامه وكلفّ طحنه وعجنه وخبزه، وخلق له الوبر لكسوته فكلفّ ندفه وغزله ونسجه، وخلق له الشجر فكلفّ غرسها وسقيها والقيام عليها، وخلقت له العقاقير لأدويته فكلفّ لقطها وخلطها وصنعها^(٧)، وكذلك تجد سائر الأشياء على هذا المثال.

فانظر كيف كُفّي الخلقة التي لم يكن عنده فيها حيلة، وتُركَ عليه في كلّ شيء من الأشياء موضع عمل وحركة، لما له في ذلك من الصلاح، لأنّه لو كُفّي هذا كلّّه - حتّى لا يكون له في الأشياء موضع شغل وعمل - لما حملته الأرض أثراً وبطراً، وبلغ به

(١) في «ن»: للتصحح.

(٢) في نسخة من «ج»: والزَّيْل.

(٣) في نسخة بدل من «د»: «مما» بدل «من كلّ ما».

(٤) في «أ»: «كلّها» بدل «كل ما».

(٥) في «ب»: «لكان» بدل «أكان».

(٦) في «ن»: هذا من صنع الطبيعة في العالم.

(٧) في «أ» «د»: وصنعتها.

ذلك^(١) إلى أن يتعاطى أموراً فيها تلف نفسه، ولو كُفي الناس كل ما يحتاجون إليه لما تهنأوا بالعيش ولا وجدوا له لذة.

ألا ترى لو أن امرأة نزل بقوم، فأقام حيناً بلغ [فيه]^(٢) جميع ما يحتاج إليه من مطعم ومشرب وخدمة^(٣)، لتبرّم بالفراغ ونازعته نفسه إلى التشاغل بشيء، فكيف لو كان طول عمره مكفياً لا يحتاج إلى شيء؟ فكان من صواب التدبير في هذه الأشياء التي خلقت للإنسان أن يجعل له فيها موضع شغل، لكيلا تُبرمه^(٤) البطالة، وليكفّه الشغل^(٥) عن تعاطي ما لا يناله، ولا خير فيه إن ناله.

[الخبز والماء رأس معاش الإنسان وحياته]

واعلم يا مفضل أن رأس معاش الإنسان وحياته: الخبز والماء.. فانظر كيف دبر الأمر فيها، فإن حاجة الإنسان إلى الماء أشد من حاجته إلى الخبز، وذلك أن صبره على الجوع أكثر من صبره على العطش، والذي يحتاج إليه من الماء أكثر مما يحتاج إليه من الخبز، لأنه يحتاج^(٦) إليه لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه وسقي أنعامه وزرعه، فجعل الماء مبدولاً لا يشتري لتسقط عن الإنسان المؤنة في طلبه وتكلفه، وجعل الخبز متعذراً لا يُنال إلا بالحييلة والحركة، ليكون للإنسان في ذلك شغل يكفّه

(١) في «ج» ونسخة بدل من «ب»: «بذلك» بدل «به ذلك».

(٢) من عندنا.

(٣) في نسخة بدل من «ج»: «وخدم».

(٤) في «أ» «ج» «د»: «تبرمه».

(٥) ليست في «ب» «ج» «ن». وفيها: «ولتكفّه».

(٦) في «د»: «محتاج».

عما يخرج به إليه الفراغ من الأثر والعبث.

ألا ترى أن الصبي يدفع إلى المؤدّب، وهو طفل لم يكمل ذهنه^(١) للتعليم، كل ذلك ليشغل عن اللعب والعبث اللذين ربّما جنيا عليه وعلى أهله المكروه العظيم، وهكذا الإنسان لو خلا من الشغل، لخرج من الأثر والعبث والبطر، إلى ما يعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه، واعتبر ذلك بمن نشأ في الجِدّة ورفاهيّة العيش والترّف والكفاية، وما يخرج به ذلك إليه.

[اختلاف صور الناس وتشابه الوحوش والطيور وغيرها والحكمة في ذلك]

اعتبر^(٢) لم لا^(٣) يتشابه الناس واحد بالآخر، كما تتشابه الوحوش والطيور^(٤) وغير ذلك، فإنك ترى السرب من الطباء والقطا تتشابه حتى لا يفرق^(٥) بين واحد منها وبين الآخر^(٦)، وترى الناس مختلفة صورهم وخلقهم، حتى لا يكاد اثنان منهم يجتمعان في صفة واحدة، والعلة في ذلك أن الناس محتاجون^(٧) إلى أن يتعارفوا بأعيانهم وحلاهم، لما يجري بينهم من المعاملات، وليس يجري بين البهائم مثل ذلك، فيحتاج إلى معرفة كل واحد منها بعينه وحليته.

ألا ترى أن التشابه في الطيور والوحش لا يضرّها شيئا، وليس كذلك الإنسان،

(١) في «ب» «ن» ونسخة بدل من «ج»: تكمل ذاته.

(٢) في «ج»: واعتبر.

(٣) في «ج»: لم لم. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) في نسخة بدل من «ج»: والطبي.

(٥) في «أ» «ج»: تفرّق.

(٦) في «ب» «د» «ن»: الأخرى. وفي «ج»: بين واحدة منها وبين الأخرى.

(٧) في «أ»: يحتاجون.

فإنّه ربّما تشابه التوأم^(١) تشابهاً شديداً فتعظم المؤنة على الناس في معاملتها، حتّى يعطى^(٢) أحدهما بالآخر، ويؤخذ أحدهما بذنب الآخر، وقد يحدث مثل هذا في تشابه الأسماء^(٣)، فضلاً عن تشابه الصور^(٤)، فمن لطّف بعباده^(٥) بهذه الدقائق - التي لا تكاد تخطر بالبال - حتّى وقف بها على الصواب، إلّا من وسعت رحمته كلّ شيء.

لو رأيت تمثال الإنسان مصوراً على^(٦) حائط، فقال^(٧) لك قائل: إنّ هذا ظهر هاهنا^(٨) من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع! أكنت تقبل ذلك؟ بل كنت تستهزئ^(٩) به، فكيف تنكر^(١٠) هذا في تمثال مصوّر جماد، ولا تنكر في الإنسان الحيّ الناطق؟!

[نمّو أبدان الحيوان وتوقّفها وسبب ذلك]

لم صارت أبدان الحيوان - وهي تغتذي أبداً - لا تنمي، بل تنتهي إلى غاية من النمو، ثمّ تقف ولا تتجاوزها، لولا التدبير في ذلك، فإنّ من^(١١) تدبير الحكيم فيها أن

(١) في «أ» «ب» «ج»: التوأمان. وفي «د»: توأمان.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: حتّى لا يعرف.

(٣) في جميع النسخ: الأشياء. والمثبت عن نسخة بدل من «ج».

(٤) في «ب»: الصورة.

(٥) في «أ» «ب»: لعباده.

(٦) في «أ» «ج»: في.

(٧) في «أ» «ن»: ونسخة بدل من «ج»: وقال.

(٨) في «د» «ن»: «هنا» بدل «هاهنا».

(٩) في نسخة بدل من «ج»: ستهزأ.

(١٠) في «ب»: يُنكر. وكذا المورد الذي بعده.

(١١) ليست في «ن».

تكون أبدان كلِّ صنف منها على مقدار معلوم غير متفاوت؛ في الكبير والصغير^(١)، وصارت تنمي حتّى تصل إلى غاياتها^(٢)، ثمّ تقف ثمّ لا تزيد، والغذاء مع ذلك دائم لا ينقطع ولو كانت تنمي نمواً^(٣) دائماً لعظمت أبدانها، واشتبهت مقاديرها حتّى لا يكون لشيء منها حدّ يعرف.

[ما يعترى أجسام الإنس من ثقل الحركة والمشى لو لم يصبها ألم]

لم صارت أجسام الإنس خاصّة^(٤) تثقل عن الحركة والمشى، وتجفو^(٥) عن الصناعات اللطيفة، إلّا لتعظيم المؤنة فيما يحتاج إليه الناس للملبس والمضجع والتكفين وغير ذلك، و^(٦) لو كان الإنسان لا يصيبه ألم ولا وجع، بم كان يرتدع عن الفواحش، ويتواضع لله، ويتعطف على الناس؟

أما ترى الإنسان إذا عرض له وجع خضع واستكان ورغب إلى ربّه في العافية، وبسط يديه^(٧) بالصدقة، ولو كان لا يألم من الضرب بم كان السلطان يعاقب الدّعار^(٨) ويذلّ العصاة المردة؟ وبم كان الصبيان يتعلّمون العلوم والصناعات؟ وبم

(١) في «أ» ونسختي بدل من «ب» «ج»: في الكبير والصغير.

(٢) في «ب» «ن» ونسخة بدل من «ج»: غايتها.

(٣) كذا في النسخ، والمصدر من الياثي المفروض أن يكون «نمياً» أو «نمياً» أو «نمياً».

(٤) في «د»: «خاصّة كبيرة». وفيها سقط إلى أوائل المجلس الثاني، إلى قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ﴾.

(٥) في «ج»: وتحفو. وشرحها في الهامش.

(٦) الواو ليست في «ب» «ن».

(٧) في «أ» «ج» «د» «ن»: يده. والمثبت عن «ب» ونسخة بدل من «ج».

(٨) في «ب»: الدّعار. ووضعت دائرة فوق نقطة الغين. وفي «ج»: الدّعار، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

كان العبيد يذّلون لأربابهم، ويزعنون لطاعتهم^(١)؟ أفليس [في]^(٢) هذا توييخ لابن^(٣) أبي العوجاء وذويه الذين جحدوا التدبير؟ والمسانويّة^(٤) الذين أنكروا الوجع والألم^(٥)؟

[انقراض الحيوان لو لم يلد ذكوراً وإناثاً]

لو^(٦) لم يولد من الحيوان إلاّ ذكور فقط أو إناث^(٧) فقط، ألم يكن النسل منقطعاً، وبإد مع ذلك^(٨) أجناس الحيوان، فصار بعض الأولاد يأتي ذكوراً وبعضها يأتي إناثاً ليدوم التناسل ولا ينقطع.

[ظهور شعر العانة عند البلوغ ونبات اللحية للرجل دون المرأة وما في ذلك من التدبير]

لم صار الرجل والمرأة إذا أدركا تنبت^(٩) لهما العانة، ثم تنبت اللحية للرجل،

(١) في «أ»: بطاعتهم.

(٢) من عندنا.

(٣) في «د» «ن»: ابن.

(٤) في «أ» «ج»: والمسانويّة. وفي نسخة بدل من «ب»: المانيّة.

(٥) في نسخة بدل من «أ»: والآلام.

(٦) في «د» «ن»: ولو.

(٧) في «ب»: ذكر فقط أو إناث، وفي نسخة بدل منها كالمثبت. وفي «ج»: ذكر فقط وإناث،

وفي نسخة بدل منها «ذكور فقط وإناث». وفي «د» «ن»: ذكر فقط وأنثى.

(٨) ليست في «ن».

(٩) في «أ» «ب»: نبتت. وكذا في المورد اللاحق.

وتتخلف^(١) عن المرأة، لولا التدبير في ذلك؟! فإنه لما جعل الله تبارك وتعالى الرجل قيماً وريقياً على المرأة، وجعل المرأة عزساً وخولاً للرجل، أعطى الرجل اللحية، لما له من العزّ والجلالة والهيبة، ومنعها المرأة، لتبقى لها نضارة الوجه والبهجة التي تشاكل المفاكهة والمضاجعة، أفلا ترى الخلقة كيف تأتي بالصواب في الأشياء، وتتخلّل^(٢) مواضع الخطأ، فتعطي وتمنع^(٣) على قدر الأرب^(٤) والمصلحة بتدبير الحكيم عزّ وجلّ.

قال المفضل: ثمّ حان وقت الزوال، فقام مولاي إلى الصلاة وقال: بكر إلى غداً إن شاء الله تعالى.. فانصرفت من عنده مسروراً بما عرفته، مبتهجاً بما أوتيته، حامداً لله تعالى عزّ وجلّ على ما أنعم به عليّ، شاكراً لأنعمه على ما منحني بما^(٥) عرّفني به مولاي، وتفضّل به عليّ، فبتُّ في^(٦) ليلتي مسروراً بما منحني، محبوراً بما علّمني.

(تمّ المجلس الأول، ويتلوه المجلس الثاني من كتاب الأدلّة على الخلق والتدبير والردّ على القائلين بالإهمال ومنكري العمد، برواية المفضل عن الصادق صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه عليهم السلام)^(٧).

(١) في «أ» «ب» «ج»: وتخلّف.

(٢) في «أ» «ج»: ويتخلّل. والذي أراه أن ما في النسخ في هذا الموضع محزّف عن «وتتجنّب».

(٣) في «أ» «ب» «ج»: فتعطي وتمنع.

(٤) في «ن» «ج»: الأدب. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٥) في «أ» «ج»: مما. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٦) ليست في «ج».

(٧) ليست في «ن».

المجلس الثاني

قال المفضل: فلما كان اليوم الثاني بكرت إلى مولاي فاستؤذن لي فدخلت، فأمرني بالجلوس فجلست، فقال: الحمد لله مدبر^(١) الأدوار، ومعيد الأكوار، طبقاً عن طبق، وعالمًا بعد عالم ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾^(٢) عدلاً منه تقدّست أسماؤه وجلّت آلاؤه، لا يظلم الناس شيئاً، ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون، يشهد بذلك قوله جلّ قدسه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٣) في نظائر لها في كتابه الذي فيه تبيان كلّ شيء، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ولذلك^(٤)

(١) في نسخة بدل من «ب»: مدير.

(٢) النجم: ٣١.

(٣) الزلزلة: ٧ - ٨.

(٤) في نسخة بدل من «ج»: وكذلك.

قال سيدنا^(١) محمد صلوات الله عليه وآله^(٢): «إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تَرُدُّ إِلَيْكُمْ». ثم أطرق الإمام^(٣) هنيئة، ثم قال^(٤): «يا مفضل، الخلق حيارى عمهون، سكارى في طغيانهم يتردّدون، وبشياطينهم وطواغيتهم يقتدون، بصراء عمي لا يبصرون، نطقاء بكم لا يعقلون، سمعاء صم لا يسمعون، رضوا بالدون، وحسبوا أنهم مهتدون، حادوا عن مدرجة الأكياس، ورتعوا في مرعى الأرجاس الأنجاس، كأنهم من مفاجأة^(٥) الموت آمنون، وعن المجازاة مزحزون، يا ويلهم ما أشقاهم، وأطول عناءهم، وأشدّ بلاءهم ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ»^(٦).

قال المفضل: فبكيت لما سمعت منه، فقال: لا تبك، تخلّصت منه^(٧) إذ قبلت، ونجوت إذ عرفت.

[أبنية أبدان الحيوان وتهيتها وإيضاح ذلك]

ثم قال ﷺ: «أبتدئ لك بذكر الحيوان ليتّضح لك من أمره ما وضع لك من غيره. ففكر يا مفضل^(٨) في أبنية أبدان الحيوان، وتهيتها على ما هي عليه؛ فلا هي

(١) في «أ» «ب» «ج» «د»: السيد.

(٢) في «ن»: عليه وعلى آله.

(٣) ليست في «أ» «ب» «ج» «د».

(٤) في «ن»: «وقال» بدل «ثم قال».

(٥) في «ن»: مفاجئات.

(٦) الدخان: ٤١ - ٤٢.

(٧) ليست في «أ» «ج» «د» «ن».

(٨) قوله «يا مفضل» ليس في «أ» «ب» «د» «ن».

صلاب كالْحِجَارَة؛ ولو كانت كذلك كانت^(١) لا تتنبي ولا تتصرّف في الأعمال، ولا هي على غاية اللين والرخاوة؛ فكانت لا تتحمل ولا تستقلّ بأنفسها، فجعلت من لحمٍ رخو ينثني، تتداخله^(٢) عظام صلاب، يمسكه عصب وعروق تشدّه وتضمّ بعضه إلى بعض، وعُليّت^(٣) فوق ذلك بجلد يشتمل^(٤) على البدن كلّهُ.

ومن^(٥) أشباه ذلك هذه التماثيل التي تُعمل من العيدان، وتُلفّ بالخرق وتُشدّ بالخيوط، وتطلى فوق ذلك بالصمغ، فتكون العيدان بمنزلة العظام، والخرق بمنزلة اللحم، والخيوط بمنزلة العصب والعروق، والطلاء بمنزلة الجلد.

فإن جاز أن يكون الحيوان المتحرّك حَدَثَ بالإهمال من غير صانع، جاز أن يكون ذلك في هذه التماثيل الميتة، فإن كان هذا غير جائز في التماثيل فبالحرّي أن لا يجوز في الحيوان.

[أجساد الأنعام وما أُعطيت وما مُنعت وسبب ذلك]

وفكّر يا مفضّل^(٦) - بعد هذا^(٧) - في أجساد الأنعام، فإنّها حين خلقت على

(١) ليست في «أ» «ب» «ج» «ن» .

(٢) في «د» : تداخله .

(٣) في «ن» : وغلفت .

(٤) في «أ» : ليشتمل .

(٥) «من» ليست في «ن» .

(٦) قوله «يا مفضّل» ليس في «أ» «ب» «ج» «د» .

(٧) في «د» : «بعدها» بدل «بعد هذا» ، وفي نسخة بدل منها كالمثبت .

أبدان الإنس من اللحم والعظم والعصب، أعطيت أيضاً السمع والبصر ليبلغ الإنسان حاجته، فإنها لو كانت عمياء صماء^(١) لما انتفع بها الإنسان ولا تصرف في شيء من مآربه، ثم مُنعت الذهن والعقل لتدل للإنسان، فلا تمتنع^(٢) عليه إذا كدّها^(٣) الكدّ الشديد وحملها الحمل الثقيل.

فإن قال قائل: إنّه قد يكون للإنسان عبيد من الإنس يذلّون ويذعنون بالكدّ الشديد، وهم مع ذلك غير عديمي العقل والذهن.

فيقال في جواب ذلك: إنّ هذا الصنف من^(٤) الناس قليل، فأما أكثر الناس فلا يذعنون بما تدعّن به الدوابّ من الحمل والطحن وما أشبه ذلك، ولا^(٥) يُغرّون^(٦) بما يُحتاج إليه منه، ثمّ لو كان الناس يزاولون مثل هذه الأعمال بأبدانهم لشُغلوا بذلك عن سائر الأعمال، لأنّه كان يُحتاج مكان الجمل الواحد والبغل الواحد إلى عدّة أناسيّ، فكان هذا العمل يستفرغ الناس حتّى لا يكون فيهم عنه فضل لشيء من الصناعات، مع ما يلحقهم^(٧) من التعب الفادح^(٨) في أبدانهم، والضيق والكدّ في معاشهم.

(١) في «ب» «ن»: «عمياً صمّاً». والمثبت عن «أ» «ج» «د» ونسخة بدل من «ب».

(٢) في «ب»: «تمنّع».

(٣) في «أ» «د»: «إذا أكدّها».

(٤) في «ج» «د» ونسخة بدل من «أ»: «في» بدل «من». وفي نسختي بدل من «ج» «د» كالمثبت.

(٥) في «د»: «وما»، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) في «ج» ونسخة بدل من «ب»: «يقرّون»، وفي نسخة بدل أخرى: «يغرّون».

(٧) في «ج»: «مع ما كان يلحقهم». وأدخلت «كان» في متنها عن نسخة. وفي «ن»: «يلحقه».

(٨) في «أ»: «الفادح».

[خلق الأصناف الثلاثة من الحيوان]

فَكَرَّ يا مَفْضَّلُ في هذه الأصناف الثلاثة من الحيوان وفي خلقها، على ما هي عليه بما^(١) فيه صلاح كلِّ واحد منها. فالإنس لما قُدِّرَ^(٢) أن يكونوا ذوي ذهن وفطنة وعلاج لمثل هذه الصناعات - من البناء والنجارة^(٣) والصياغة والخياطة وغير ذلك - خُلِقَتْ لهم أكفَّ كبار ذوات أصابع غلاظ ليتمكّنوا من القبض على الأشياء، وأوكدها هذه الصناعات.

[آكلات اللحم من الحيوان والتدبير في خلقها]

وآكلات اللحم لما قُدِّرَ أن تكون معاشها^(٤) من الصيد، خلقت لهم أكفَّ لطاف مدججة^(٥) ذوات برائن ومخالب^(٦) تصلح لأخذ الصيد ولا تصلح للصناعات. وآكلاتُ النبات لما قُدِّرَ أن يكونوا لا ذوات^(٧) صنعة ولا ذوات^(٨) صيد خُلِقَتْ لبعضها أظلاف تقيها خشونة الأرض إذا حاولت طلب^(٩) الرّعي^(١٠)، وبعضها

(١) في «ب»: بما.

(٢) في «ب» «ن»: قُدِّروا.

(٣) في «أ» «ج» «ن»: والتجارة.

(٤) في «ج»: يكون معاشها. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «أ» «د»: مِدْبَجَةٌ.

(٦) في «أ» «ب» «ج» «د»: ومخالب.

(٧) في «ب» «ج» «د»: ذات.

(٨) في «ب» «ج» «د» «ن»: ذات.

(٩) ليست في «أ».

(١٠) في «ن»: المرعى.

حواضر ململمة ذوات قعر كأخص القدم تنطبق^(١) على الأرض لِيَتَّهَيَّأ^(٢) للركوب والحمولة.

تأمل التدبير في خلق آكلات اللحم من الحيوان، حين^(٣) خُلِقَتْ^(٤) ذوات أسنان حداد، وبرائن شداد، وأشداق وأفواه واسعة، فَإِنَّه لَمَّا قُدِّرَ أَنْ يَكُونَ طُعْمُهَا اللحمَ خُلِقَتْ خلقة تشاكل ذلك وأُعِينَتْ^(٥) بسلاح، وأدوات تصلح للصيد، وكذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير ومخالب^(٦) مُهَيَّأَةً^(٧) لِفَعْلِهَا.

ولو كانت الوحوش ذوات مخالب^(٨) كانت قد أُعْطِيَتْ ما لا تحتاج إليه، لَأَنَّهَا لَا تصيد ولا تأكل اللحم، ولو كانت السباع ذوات أظلاف كانت قد مُنِعَتْ ما تحتاج إليه، أعني السلاح الذي به تصيد وتعيّش، أفلا ترى كيف أُعْطِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الصنفين ما يشاكل صنفه وطبقته، بل ما فيه بقاؤه وصلاحه.

[ذوات الأربع واستقلال أولادها]

انظر^(٩) الآن إلى ذوات الأربع كيف تراها تتبع أماتها^(١٠) مستقلةً بأنفسها، لا

(١) في «د»: تنطلق. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «ن»: «عند تهَيَّئَهَا» بدل «لِيَتَّهَيَّأ». ولعل ما في المتن مصحف عن «لَتَهَيَّأ».

(٣) في نسخة بدل من «ب»: حيث.

(٤) في «أ» «ج» «د» ونسخة بدل من «ب»: جُعِلَتْ. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٥) في نسخة بدل من «د»: وَأُعْطِيَتْ.

(٦) في «أ» «ب» «ج»: مخالب.

(٧) في «د»: كانت مهَيَّأَةً.

(٨) في «ج»: مخالب.

(٩) في «ج»: وانظر.

(١٠) في «أ» «ج» «د»: أمهاتها.

تحتاج إلى الحمل والتربية كما يحتاج أولاد الإنس، فمن أجل أنه ليس عند أماتها^(١) ما عند أمهات البشر من الرفق والعلم بالتربية، والقوة عليها بالأكف والأصابع المهيأة، لذلك أعطيت النهوض والاستقلال بأنفسها، وكذلك ترى كثيراً من الطير - كمثل الدجاج والدراج والقيج - تدرج وتلقط حين ينقاب عنها البيض^(٢). فأما ما كان منها ضعيفاً لا نهوض فيه، كمثل فراخ الحمام واليمام والحُر، فقد جعل في الأمهات فضل عطف عليها، فصارت تمجّ الطعام في أفواهاها بعد ما توعيه حواصلها، فلا تزال تغذوها حتى تستقلّ بأنفسها، ولذلك لم ترزق الحمام فراخاً كثيرة مثل ما تُرزق الدجاج، لتقوى الأمّ على تربية فراخها فلا تفسد ولا تموت، فكلُّ أعطي بقسط من تدبير الحكيم اللطيف الخبير.

[قوائم الحيوان وكيفية حركتها]

أنظر إلى قوائم الحيوان^(٣) كيف تأتي أزواجاً لتتهيأ للمشي، ولو كانت أفراداً لم تصلح لذلك، لأنّ الماشي ينقل بعض^(٤) قوائمه و^(٥) يعتمد على بعض، فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على واحدة، وذو الأربع ينقل اثنتين^(٦) ويعتمد على اثنتين وذلك من خلاف، لأنّ ذا الأربع لو كان ينقل قائمتين من أحد جانبيه، ويعتمد على

(١) في «أ» «ب» «ج» «د»: أمهاتها. غير أنّ شرح المجلسي يقتضي أنّها أيضاً «أماتها»؛ حيث نقل أنّ هذا الجمع مخصوص بالبهائم.

(٢) في «أ» «ن»: تنقاب عنها البيضة.

(٣) في «ج»: الأنعام.

(٤) ليست في «أ» «ب» «ج» «ن».

(٥) الواو ليست في «ن».

(٦) في «ب» «د»: اثنتين. وكذا المورد اللاحق.

قائمتين من الجانب الآخر، لم يثبت^(١) على الأرض، كما لا^(٢) يثبت السرير وما أشبهه، فصار ينقل اليمنى من مقاديعه مع اليسرى من مآخيره، وينقل الآخرين أيضاً من خلاف، فيثبت على الأرض، ولا يسقط إذا مشى.

[انقياد الحيوانات المسخرة للإنسان وسببه]

أما ترى الحمار كيف يذلّ للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعاً منعباً، والبعير لا يطيقه عدّة رجال لو استعصى كيف كان ينقاد للصبي؟ والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه، حتّى يضع النير على عنقه ويحرث به؟ والفرس الكريم يركب السيوف والأسنة بالمؤاتاة^(٣) لفارسه، والقطيع من الغنم يرعاه رجل^(٤) واحد، ولو تفرّقت الغنم فأخذ كلّ واحد منها في ناحية لم يلحقها.

وكذلك جميع الأصناف المسخرة للإنسان، فبِمِ^(٥) كانت كذلك، إلّا بأنّها عذمت العقل والروية، فإنّها لو كانت تعقل وتروى^(٦) في الأمور كانت خليفة أن تلتوي على الإنسان في كثير من مآربه، حتّى يمتنع الحمل على قائده، والثور على صاحبه، وتفرّق الغنم عن راعيها، وأشباه هذا من الأمور.

(١) في «أ» «د»: لما ثبت. وفي «ب» «ج»: لما يثبت، وفي نسخة بدل من «ب»: لما ثبتت. وفي نسخة بدل من «ج»: كالمثبت.

(٢) «لا» ليست في «د» «ن».

(٣) في «ج»: بالموافاة. وفي نسخة بدل منها ومتن «د»: بالمواساة. وفي نسخة بدل أخرى منها كالمثبت. وفي نسخة بدل أخرى بالمواماة.

(٤) ليست في «ن».

(٥) ليست في «ن».

(٦) في «أ» «ب» «ج» «د»: وتروى.

[افتقاد السباع للعقل والروية وفائدة ذلك]

وكذلك هذه السباع لو كانت ذوات^(١) عقل وروية فتوازرت على الناس، كانت خليقة أن تجتاحهم^(٢)، فن كان يقوم للأسد والذئب والثور^(٣) والدببة لو تعاونت وتظاهرت على الناس؟ أفلا ترى كيف حجر ذلك عليها وصارت مكان ما كان يُخاف من إقدامها ونكايتها، تهاب مساكن الناس^(٤) وتحجم عنها، ثم لا تظهر ولا تنتشر^(٥) لطلب قوتها إلا بالليل، فهي مع صولتها كالحائف للإنس^(٦) بل^(٧) مقلوعة^(٨) ممنوعة منهم، ولولا^(٩) ذلك لساورتهم في مساكنهم، وضيق عليهم.

[عطف الكلب على الإنسان ومحاماته عنه]

ثم جعل في الكلب من بين هذه السباع عطف على مالكة ومحاماة عنه، وحفاظ^(١٠) له، فهو^(١١) ينتقل على الحيطان والسطوح في ظلمة الليل لحراسة منزل

(١) في «ب» «د» «ن»: ذات.

(٢) في «أ» «د»: تحاجهم.

(٣) في «ج» «ن»: والنمور.

(٤) أدخلت في «ب» «ج» عن نسخة.

(٥) في «أ» «ب»: ولا تنتشر. وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت.

(٦) في «أ» ونسخة بدل من «د»: للإنسان. وفي «ن»: من الإنس. والمثبت عن «ب» «ج» «د» ونسخة بدل من «أ».

(٧) في «ب» «ج» «د»: بلا. وفي نسختي بدل من «ب» «ج» كالمثبت. وكتب فوق المتن في «ب»: غير، ظ.

(٨) في نسخة بدل من «ب»: مقلوعة.

(٩) في «ن»: «ولو كان» بدل «ولو لا».

(١٠) في «ن»: وحافظ.

(١١) ليست في «ن».

صاحبه وذَبَّ الدُّعَارُ^(١) عنه، ويبلغ من محبته لصاحبه أن يبذل نفسه للموت دونه ودون ماشيته وماله، ويألفه غاية الألف، حتَّى يصبر معه على الجوع والجفوة، فلمْ طُبع الكلب على هذا الألف^(٢) والمحبة^(٣)؟ إلَّا ليكون حارساً للإنسان، (ولمَّا جُعِلَ حارساً للإنسان)^(٤) أُعِينَ^(٥) بأنياب ومخالب^(٦)، ونباح هائل، ليدعر منه السارق، ويتجنَّب المواضع التي يحميها ويغفرها^(٧).

[وجه الدابة وفمها وذنبها وشرح ذلك]

يا مفضل، تأمل وجه الدابة كيف هو؟ فإنك ترى العينين شاخصتين أمامها لتبصر ما بين يديها، لئلا تصدم حائطاً أو تتردَّى^(٨) في حفرة، وترى الفم مشقوقاً شقاً في أسفل الحظم، (لتتمكن من العضّ على العلف، ولو كان فُوها في مقدّم الحظم)^(٩) كمكان الفم من الإنسان في مقدّم الذقن، لما استطاعت أن تتناول به شيئاً من الأرض.

ألا ترى أنَّ الإنسان لا يتناول الطعام بفيه ولكن بيده، تكرمةً له على سائر

(١) في «ب»: الدُعَار. وفي «ج» «ن»: الدُعَار. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٢) في «ن»: «هذه الألفة» بدل «هذا الألف».

(٣) قوله «والمحبة» ليس في «ب».

(٤) ليست في «ب» «د» «ن».

(٥) في «ب» «ج» «د» «ن»: «له عين» بدل «أعين».

(٦) في «ج» «د»: ومخالب. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٧) في «ب»: ويحضرها. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٨) في «ج»: تَرَدَّى. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٩) بدلها في «ب» «ن»: ولو شقّ.

الآكلات، فلما لم يكن للدابة يدٌ تتناول بها العلف جعل خَطْمَهَا^(١) مشقوقاً من أسفل، لتقبض به^(٢) على العلف ثم تقضمه، وأعينت بالجحفة لتتناول^(٣) بها ما قرب وما بعد.

اعتبر بذنبها والمنفعة لها فيه، فإنه بمنزلة الطبق على الدبر والحياء جميعاً، يوارىها ويسترهما، ومن منافعها فيه أن ما بين الدبر ومَرَأَق^(٤) البطن منها وَضَرٌ يجتمع عليه^(٥) الذباب والبعوض، فجعل لها^(٦) الذنب كالمِذْبَةِ تذبّ بها عن ذلك الموضع^(٧).

ومنها أن الدابة تستريح إلى تحريكه وتصريفه بمنةً ويسرةً، فإنه لما كان قيامها على الأربع بأسرها، وشغلت المقدمةان بحمل البدن عن التصرف والتقلب، كان لها في تحريك الذنب راحة، وفيه منافع أخرى يقصر عنها الوهم، يُعرف^(٨) موقعها في وقت الحاجة إليها. فمن ذلك أن الدابة ترتطم في الوحل، فلا يكون شيء أعون على نهوضها من الأخذ بذنبها، وفي شعر الذنب منافع للناس كثيرة يستعملونها في مآربهم.

ثم جعل ظهرها مسطحاً مبطوحاً على قوائم أربع ليتمكن من ركوبها، وجعل

(١) في «ن»: خرطومها.

(٢) ليست في «ن».

(٣) في «ب»: تتناول.

(٤) في جميع النسخ: ومراق. والمثبت عن نسخة بدل من «ج».

(٥) في «ن»: عليها.

(٦) في «أ»: فيها. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٧) في «ن»: عن تلك المواضع.

(٨) في «ن»: فيعرف.

حياؤها بارزاً من ورائها ليتمكن الفحل من ضربها، ولو كان أسفل البطن مكان^(١) الفرج من المرأة لم يتمكن الفحل منها.. ألا ترى يا مفضل^(٢) أنه لا يستطيع أن يأتيها كفاحاً كما يأتي الرجل المرأة.

[الفيل ومشفره]

تأمل مشفرَ الفيل وما فيه من لطف^(٣) التدبير، فإنه يقوم مقام اليد في^(٤) تناول العلف والماء، وازداداردها إلى^(٥) جوفه، ولولا ذلك لما^(٦) استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض، لأنه ليست له رقبة يدها كسائر الأنعام، فلما عَدِمَ العنقَ أُعِين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسدله، فيتناول به حاجته.. فمن ذا الذي عوّضه مكان العضو الذي عَدِمَهُ^(٧) ما يقوم مقامه إلاّ الرؤوف^(٨) بخلقه؟ وكيف يكون هذا^(٩) بالاهمال - كما قالت الظلمة -؟

فإن قال قائل: فما باله لم يُخلق ذا عنق كسائر الأنعام؟

(١) في «ن»: «كما كان» بدل «مكان».

(٢) قوله «يا مفضل» ليس في «أ» «ب» «ن».

(٣) في جميع النسخ: لطيف. والمثبت عن نسخة بدل من «ج».

(٤) في «أ»: من.

(٥) في «أ»: في.

(٦) في «ب» «ج»: ما.

(٧) في «ن»: عدم.

(٨) في «أ»: الرؤوف الرحيم بخلقه. وأدخلت كلمة «الرحيم» في متنها عن نسخة بدل.

(٩) في «ج» «د»: هكذا. وفي نسختي بدل منهما كالمثبت.

قيل له^(١): إنَّ رأس الفيل وأذنيه أمر عظيم، وثقل ثقيل، فلو^(٢) كان ذلك على عنق عظيم^(٣)، لهدَّها وأوهنها، فجُعِلَ رأسه ملصقاً بجسمه لكيلا يناله منه ما وصفناه، وخلق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول به غذاءه، فصار مع عَدَمِهِ^(٤) العنق - مستوفياً ما فيه بلوغ حاجته .

[حياء الأنثى من الفيلة]

انظر الآن كيف جُعِلَ^(٥) حياء الأنثى من الفيلة في أسفل بطنها؟ فإذا هاجت للضراب ارتفع وبرز، حتَّى يتمكَّن الفحل من ضربها.. فاعتبر كيف جُعِلَ حياء الأنثى من الفيلة على خلاف ما عليه في غيرها من الأنعام، ثمَّ جُعِلت فيه هذه الخلَّة ليتهيأ للأمر الذي فيه قوام النسل ودوامه .

[الزرافة وخلقتها وكونها ليست من لقاح أصناف شتى]

فكَّر^(٦) في خلق الزرافة، واختلاف أعضائها، وشبهها بأعضاء أصناف من الحيوان، فرأى رأس فرسٍ، وعُنُقها عُنُقُ جملٍ، وأظلافها أظلاف بقرة، وجلدها جلد نمر .

(١) ليست في «ن» .

(٢) في «أ» «ب» «د» : ولو .

(٣) في «أ» «ب» «ج» «د» : عظيمة . والعنق مذكَّر وقد يؤنَّث .

(٤) في «ن» : عدم .

(٥) ليست في «ب» . وأدخلت في متن «ج» عن نسخة .

(٦) في «ج» : وفكَّر .

وزعم ناس من الجهّال بالله عزّ وجلّ أنّ نتاجها من فحول شتّى، قالوا: وسبب ذلك أنّ أصنافاً من حيوان البرّ إذا وردت الماء تنزو^(١) على بعض السائمة، وينتج مثل هذا الشخص الذي هو كالمُلتَقَط من أصناف شتّى.

وهذا جهل من قائله، وقلة معرفة^(٢) بالباري جلّ قدسه، وليس كلّ صنف من الحيوان يلقح كلّ صنف، فلا الفرس يلقح الجمل^(٣)، ولا الجمل يلقح البقرة^(٤)، وإنّما يكون التلقيح من بعض الحيوان فيما يشاكله ويقرب من خلقه، كما يلقح الفرس الحمار^(٥) فيخرج من^(٦) بينها البغل، ويلقح الذئب الضيع، فيخرج من^(٧) بينها السّنع.

على أنّه ليس يكون في الذي يخرج من بينها عضو من^(٨) كلّ واحد منها - كما في الزرّافة؛ عضو من الفرس، وعضو من الجمل، وأطلاف من البقرة - بل يكون كالمتوسط بينها الممتزج منها، كالذي تراه في البغل، فإنّك ترى رأسه وأذنيه وكفله وذنبه وحوافره وسطاً بين هذه الأعضاء من الفرس والحمار، وشحيجه كالممتزج من صهيل الفرس ونهيق الحمار.

فهذا دليل على أنّه ليست الزرّافة من لقاح أصناف شتّى من الحيوان كما زعم

(١) في «أ»: ينزون.

(٢) في «أ» «ب» «ج» «د»: معرفته.

(٣) قد يطلق الجمل على الأنثى، فيقال: شربت لبن جملي.

(٤) في «أ» «ب» «د» «ن»: البقر.

(٥) في «ن»: الحمار.

(٦) «من» ليست في «أ» «ب» «د» «ن». وأدخلت في متن «ج» عن نسخة.

(٧) «من» ليست في «ب».

(٨) «من» ليست في «ن».

الجاهلون، بل هي خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته التي لا يعجزها شيء، وليُعلم أنه خالق أصناف الحيوان كلها، يجمع بين ما يشاء من أعضائها في أيها شاء، ويفرق ما شاء منها في أيها شاء، ويزيد في الخلقة ما شاء^(١)، وينقص منها ما شاء، دلالة على قدرته على الأشياء، وأنه لا يعجزه شيء أرادته جلّ وتعالى.

فأما^(٢) طول عنقها والمنفعة لها في ذلك، فإن منشأها ومرعاها في غياطل^(٣) ذوات أشجار شاهقة، ذاهبة طولاً في الهواء، فهي تحتاج إلى طول العنق لتناول^(٤) فيها أطراف تلك الأشجار فتقوّت^(٥) من ثمارها.

[الفرق وخلقته والفرق بينه وبين الإنسان]

تأمل خلقة^(٦) القرد وشبهه بالإنسان في كثير من أعضائه؛ أعني الرأس والوجه والمنكبين والصدر، وكذلك أحشاؤه شبيهة أيضاً بأحشاء^(٧) الإنسان، وخُصّ مع ذلك بالذهن والفتنة التي بها يفهم عن سائسه ما يؤول إليه، ويحكي كثيراً ممّا يرى الإنسان يفعله، حتّى أنه يقرب من خلق الإنسان وشماثله في التدبير في خلقته^(٨) على ما هي عليه، أن يكون عبرة للإنسان في نفسه، فيعلم أنه من طينة البهائم

(١) في «ج»: ما يشاء. وفي نسخة بدل منها كالمثبت. وكذا في المورد اللاحق.

(٢) في «د»: وأما.

(٣) في «ج»: عاطل. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) في «ب»: لتناول.

(٥) في «ب» «ن»: فتقوّت.

(٦) في «ب»: خلق. وفي «د»: تأمل في خلق.

(٧) في «ج»: بأعضاء. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٨) في «أ» «د»: ونسخة بدل من «ج»: خلقه.

وسنخها إذ كان يقرب من خلقها هذا القرب، وأنه لولا فضيلة فضله الله (١) بها في الذهن والعقل والنطق كان كبعض البهائم.

على أن في جسم القرد فضولاً (٢) أخرى تفرق بينه وبين الإنسان، كالحظم والذنب المسدل والشعر المجلل للجسم كله، وهذا لم يكن مانعاً للقرد أن يلحق بالإنسان لو أُعطي مثل ذهن الإنسان وعقله ونطقه، والفصل الفاصل بينه وبين الإنسان - بالصحة (٣) - هو (٤) النقص في العقل والذهن والنطق.

[إكساء أجسام الحيوانات وخلقة أقدامها بعكس الإنسان وأسباب ذلك]

انظر يا مفضل إلى لطف الله جلّ اسمه بالبهائم، كيف كُسيّت أجسامها (٥) هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف لتقيها (٦) من البرد وكثرة الآفات، و (٧) ألبست قوائمها (٨) الأظلاف والحوافر (٩) والأخفاف لتقيها من الحفا (١٠)؛ إذ كانت لا أيدي

(١) لفظ الجلالة ليس في «ب» «ن»، وأدخل في متن «ج» عن نسخة.

(٢) في «د»: فضولاً.

(٣) في «ن»: «في الحقيقة» بدل «بالصحة».

(٤) في «أ» «ج» «د»: وهو.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «د»: أجسامهم.

(٦) في «أ» «ب»: ليقها.

(٧) الواو ليست في «ن».

(٨) ليست في «ب» «ن»، وأدخلت في متن «ج» عن نسخة.

(٩) في «ن»: والحوافر.

(١٠) في نسخة بدل من «ج»: الجفا.

ها ولا أكفّ ولا أصابع مهيأة للغزل والنسج، فكفّوا بأن جعلَ كسوتهم في خلقهم^(١) باقية عليهم ما بقوا لا يحتاجون إلى تجديدها والاستبدال^(٢) بها.

فأما الإنسان فإنه ذو حيلة وكفّ مهيأة للعمل، فهو ينسج ويغزل، ويتّخذ لنفسه الكسوة، ويستبدل بها حالاً بعد حال، وله في ذلك صلاح من جهات:

من ذلك أنه يشتغل بصناعة اللباس عن العبث وما تخرجه إليه الكفاية.

ومنها أنه يستريح إلى خلع كسوته إذا شاء^(٣) ولبسها إذا شاء.

ومنها أن يتّخذ لنفسه من الكسوة ضروباً لها^(٤) جمال وروعة فيتلذّذ^(٥) بلبسها وتبديلها.

وكذلك يتّخذ بالرفق من الصنعة^(٦) ضروباً من الخفاف والنعال يقي بها قدميه، وفي ذلك معاشن لمن يعمله من الناس ومكاسب تكون فيها معاشهم^(٧).

ومنها أقواتهم وأقوات عيالهم، فصار الشعر والوبر والصوف يقوم^(٨) للبهائم مقام الكسوة، والأظلاف والحوافر والأخفاف مقام الحذاء.

(١) في «ن»: خلقهم.

(٢) في «أ» «ن»: واستبدال.

(٣) «إذا شاء» ليست في «ب».

(٤) في «أ»: له.

(٥) في «د»: يتلذذ.

(٦) قوله «من الصنعة» ليس في «د».

(٧) في «ب» «ج»: معاشهم. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٨) في «أ» «د»: تقوم.

[مؤارة البهائم عند إحساسها بالموت]

فَكَرَّ يا مفضل في خلقه عجيبة جعلت في البهائم، فإنهم يوارون أنفسهم إذا ماتوا، كما يوارى الناس موتاهم، وإلا فأين جيف هذه الوحوش والسباع وغيرها، لا يرى منها شيء، وليست قليلة فتخفى لقلتها؟ بل لو قال قائل^(١): إنها أكثر من الناس، لصدق.

فاعتبر ذلك تراه^(٢) في الصحاري والجبال، من أسراب الطباء والمها والحمير^(٣) والوعول^(٤) والأيتال، وغير ذلك من الوحوش وأصناف السباع من الأسد والضباع والذئب والنور وغيرها، وضروب الهوام والحشرات ودواب الأرض، وكذلك أسراب الطير من الغربان والقطا والإوز والكرابي والحمام وسباع الطير جميعاً، وكلها لا يرى منها شيء^(٥) إذا ماتت إلا الواحد بعد الواحد يصيده قانص^(٦) أو يفترسه سبع، فإذا أحسوا بالموت كمنوا في مواضع خفية فيموتون فيها، ولولا ذلك لامتألت الصحاري منها حتى تفسد رائحة الهواء وتحدث الأمراض والوباء. فانظر إلى هذا الذي يخلص إليه الناس، وعلموه^(٧) بالتمثيل الأول الذي مثل لهم، كيف جعل طبعاً وإذكارة^(٨) في البهائم وغيرها، ليسلم الناس من معرة ما يحدث

(١) في «أ»: «ن»: القائل.

(٢) في «ن»: فاعتبر في ذلك بما تراه. وفي نسخة بدل من «د»: ترى.

(٣) في «ن»: والحمير الوحش والوعول.

(٤) في «ج»: والوعائل وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) ليست في «ج» «د» «ن».

(٦) في «ج» «د»: ونسخة بدل من «ب»: قايس. وفي نسختي بدل من «ج» «د» كالمثبت.

(٧) في جميع النسخ: وعلموه. والمثبت عن نسخة بدل من «أ».

(٨) في «ب»: وإذكارة.

عليهم من الأمراض والفساد.

[الفطن التي جعلت في البهائم: الأيل والثعلب والدلفين]

فَكَرَّ يَا مَفْضَلُ فِي الْفِطْنِ الَّتِي جُعِلَتْ فِي الْبَهَائِمِ لِمَصْلَحَتِهَا، بِالطَّبْعِ وَالْخِلْقَةِ، لُطْفًا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ ^(١)، لَثَلَا يَخْلُو مِنْ نِعْمِهِ ^(٢) جَلَّ وَعَزَّ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ لَا بِعَقْلِ وَرُويَّةٍ، فَإِنَّ الْأَيْلَ يَأْكُلُ الْحَيَاتِ فَيَعْطِشُ عَطْشًا شَدِيدًا فَيَمْتَنِعُ مِنْ شَرْبِ الْمَاءِ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَدَبَّ السَّمَّ فِي جِسْمِهِ فَيَقْتُلَهُ، وَيَقِفُ عَلَى ^(٣) الْغَدِيرِ وَهُوَ مَجْهُودٌ عَطْشًا، فَيَعِجُّ عَجِيبًا عَالِيًا وَلَا يَشْرَبُ مِنْهُ، وَلَوْ شَرَبَ لَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ.

فَانْظُرْ إِلَى مَا جُعِلَ مِنْ طَبَاعِ هَذِهِ الْبَهِيمَةِ، مِنْ تَحَمُّلِ ^(٤) الظَّمَا الْغَالِبِ الشَّدِيدِ ^(٥)، خَوْفًا مِنَ الْمَضَرَّةِ فِي الشَّرْبِ، وَذَلِكَ مِمَّا لَا يَكَادُ الْإِنْسَانُ الْعَاقِلُ الْمُمَيِّزُ يَضْبُطُهُ مِنْ نَفْسِهِ.

وَالثَّعْلَبُ إِذَا أَعْوَزَهُ الطَّعْمُ، تَمَاوَتْ وَنَفَخَ بَطْنَهُ، حَتَّى يَحْسِبَهُ الطَّيْرُ مَيِّتًا، فَإِذَا وَقَعَتْ ^(٦) عَلَيْهِ لِنَهْشِهِ، وَثَبَ عَلَيْهَا فَأَخَذَهَا، فَمِنْ أَعَانَ الثَّعْلَبُ الْعَدِيمُ النُّطْقِ وَالرُّويَّةِ بِهَذِهِ الْحِيلَةِ، إِلَّا مِنْ تَوَكُّلٍ بِتَوْجِيهِ الرِّزْقِ لَهُ مِنْ هَذَا وَشَبْهِهِ؟ فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ الثَّعْلَبُ يَضْعَفُ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تَقْوَى عَلَيْهِ السَّبَاعُ مِنْ مُسَاوَرَةِ الصَّيْدِ، أَعَيْنَ بِالْدهَاءِ وَالْفِطْنَةِ

(١) ليست في «ب».

(٢) في «ج»: نِعْمَتُهُ. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٣) في نسخة بدل من «ج»: عَنْ.

(٤) ليست في «ج». وفي «د»: مِنْ تَحَمُّلِ الْوَعْلِ الظَّمَا.

(٥) ليست في «ب».

(٦) في نسخة بدل من «ج»: وَقَفَتْ.

والاحتيال لمعاشه.

والدلفين يلتمس صيد الطير، فتكون حيلته في ذلك أن يأخذ السمك فيقتله ويسرحه^(١) حتى يطفو على الماء، ثم يكمن تحته ويثور الماء الذي عليه^(٢) حتى لا يتبين شخصه، فإذا وقع الطير على السمك الطافي وثب إليها فاصطادها. فانظر إلى هذه الحيلة كيف جعلت طبعاً في هذه البهيمة لبعض المصلحة.

[التنين والسحاب]

قال المفصل: فقلت: خبرني^(٣) يا مولاي عن التنين والسحاب.

فقال ﷺ: إنّ السحاب كالموكل به، يختطفه حيثما ثقفه كما يختطف حجرُ المغناطيس الحديد، فهو لا يُطلع رأسه من^(٤) الأرض خوفاً من السحاب، ولا يخرج إلّا في القيظ مرة إذا^(٥) صحت^(٦) السماء، فلم تكن فيها نكتة من غيمة. قلت: فلم وكل السحاب بالتنين يرصده ويختطفه إذا وجده؟ قال: ليدفع عن الناس مضرته.

(١) في «ب» «د» ونسخة بدل من «ج»: ويشرحه.

(٢) في نسخة بدل من «أ»: الذي تحته حوله حتى. وفي «ج»: الذي حوله حتى، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٣) في «ن»: أخبرني.

(٤) في «ب» «ج» «د» «ن»: في. والمثبت عن «أ» ونسخة بدل من «د».

(٥) في «ج»: وإذا.

(٦) في «أ» «ج»: أصحت. وهما لغتان.

[في الذرة والنمل وأسد الذباب والعنكبوت وطبائع كل منها]

قال المفضل: فقلت: قد وصفت لي يا مولاي من أمر البهائم ما فيه مُعْتَبَرٌ لمن اعتبر، فصف لي الذرة والنملة^(١) والطير.

فقال عليه السلام: يا مفضل، تأمل وجه الذرة الحقيرة الصغيرة هل تجد فيها نقصاً عما فيه^(٢) صلاحها، فمن أين هذا التقدير والصواب في خلق الذرة؟ إلا من التدبير القائم في صغير الخلق وكبيره.

انظر إلى النمل واحتشاده^(٣) في جمع القوت وإعداده، فإنك ترى الجماعة منها إذا نقلت الحب إلى زيتها بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام أو غيره، بل للنمل في ذلك من الجد والتشمير ما ليس للناس مثله. أما تراهم يتعاونون على النقل^(٤) كما يتعاون الناس على العمل، ثم يعمدون إلى الحب فيقطعونه^(٥) قطعاً لكيلا ينبت فيفسد عليهم، فإن أصابه ندى أخرجوه فنشروه حتى يجف، ثم لا يتخذ النمل الزبية إلا في نشر^(٦) من الأرض كيلا يفيض السيل فيغرقها، وكل^(٧) هذا منه بلا عقل ولا روية، بل خلقة خلِق عليها لمصلحة^(٨)؛ لطفاً^(٩) من الله جلّ وعزّ.

(١) في «ب» «ج»: والنمل.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: في.

(٣) في «ب»: واحتشادها. وفي «ج»: وأحشاده، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) في نسخة بدل من «ب»: نقله.

(٥) في «ج»: فيقطعون. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) في «ب» «د»: نشر.

(٧) في «أ» «ب» «ج» «د»: فكلّ.

(٨) في «ج»: لمصلحته.

(٩) ليست في «ن».

انظر إلى هذا الذي يقال له الليث وتسميه العامة «أسد الذباب» وما أعطي من الحيلة والرفق في طلب^(١) معاشه، فإنك تراه حين يحسّ بالذباب قد وقع قريباً منه تركه ملياً حتى كأنه موات لا حراك به، فإذا رأى الذباب قد اطعمانً وغفل عنه، دبّ ديبياً رقيقاً^(٢) حتى يكون منه بحيث تناله وثبته^(٣)، ثم يثب عليه فيأخذه، فإذا أخذه اشتمل عليه بجسمه كله، مخافة أن ينجو منه، فلا يزال قابضاً عليه حتى يحسّ بأنه قد ضعف واسترخى ثم يقبل^(٤) عليه فيفترسه، ويحیی بذلك^(٥) منه.

فأما العنكبوت فإنه ينسج ذلك النسج، فيتخذه شركاً ومصيدة للذباب، ثم يكمن في جوفه، فإذا نشب فيه الذباب أحال عليه يلدغه ساعة بعد ساعة، فيعيش بذلك منه. فذلك يحكي^(٦) صيد الكلاب والفهود، وهذا^(٧) يحكي^(٨) صيد الأشرار والحبائل.

فانظر إلى هذه الدويبة الضعيفة كيف جعل في طبعها ما لا يبلغه الإنسان إلا بالحيلة واستعمال الآلات^(٩) فيها؟ فلا تزدري بالشيء إذا كانت العبرة فيه واضحة كالذرة والنملة وما أشبه ذلك، فإن المعنى النفيس قد يمثل بالشيء الحقير، فلا يضع^(١٠)

(١) ليست في «ب» «ن»: وأدخلت في متن «ج» عن نسخة.

(٢) في «أ»: رقيقاً. وفي «ب» «ج» «ن»: دقيقاً. والمثبت عن «د» ونسخة بدل من «ب».

(٣) في «ب»: يناله وثبته. وفي «ج»: يناله وثبة.

(٤) في نسخة بدل من «ج»: يصول.

(٥) ليست في «أ» «ج»، وأدخلت في متن «ب» عن نسخة.

(٦) في «أ» «ب» «د»: فكذلك يحكى.

(٧) في «ب» «د»: وهكذا.

(٨) في «أ» «ب» «ج»: يحكى.

(٩) في «ب» «د»: آلات.

(١٠) في «د»: يضع. وكذلك في المورد اللاحق.

منه ذلك كما لا يَضَعُ من الدينار وهو من ذهب أن يوزن بمِثقال من حديد.

[جسم الطائر وخلقه]

تأمل يا مفضل جسم الطائر وخلقه، فإنه حين قُدِّرَ أن يكون طائراً في الجو، خُفِّفَ جسمه وأُدِجَ خلقه، فاقتَصِرَ^(١) به^(٢) من القوائم الأربع على اثنتين، ومن الأصابع الخمس على أربع، ومن منفذين للزَّيْل والبول على واحد يجمعهما، ثم خُلِقَ ذا جَوْجُوٍّ محدَّد، ليسهل عليه أن يخرق الهواء كيف ما أخذ فيه - كما جعلت السفينة بهذه الهيئـة، لتشقَّ الماء وتنفذ^(٣) فيه - وجُعِلَ في جناحيه وذنبه ريشات طوال متان، لينهض بها للطيران، وكُيِّسَ كلُّه الريش، لِيُدَاخِلَه^(٤) الهواء فيقله.

ولمَّا قُدِّرَ أن يكون طَعْمُهُ الحبَّ واللحم يبلعه بلعاً بلا مضغ، نُقِصَ من خَلْقِهِ^(٥) الأسنان^(٦) وخُلِقَ له منقارٌ صُلْبٌ جاسٍ^(٧) يتناول به طعمه، فلا ينسحج من لقط الحبِّ، ولا يتقصَّف^(٨) من نهش اللحم، ولمَّا عَدِمَ الأسنان، وصار يزدرد الحبَّ صحيحاً واللحم غريضاً، أُعِين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطُّعْم طحناً يستغني به عن المضغ، واعتبر ذلك بأن عَجَمَ العنب وغيره، يخرج من أجواف

(١) في «ن»: واقتصر.

(٢) ليست في «أ».

(٣) في «أ» «ج»: كما جعل صدر السفينة بهذه الهيئـة ليشق الماء وينفذ فيه.

(٤) في «ج» «ن»: ليتداخله.

(٥) في «أ» «ج» «د» «ن»: خِلْقَةٌ.

(٦) في «د» «ن»: الإنسان.

(٧) في «أ» «ن»: جاسئ. وهما لغتان.

(٨) في «ج»: ولا ينقصف.

الإنس صحيحاً، ويُطحن^(١) في أجواف الطير لا يُرى له أثر.
ثم جعل ممّا يبيض ببيضاً، ولا يلد ولادة، لكيلا يثقل عن الطيران، فإنّه لو كانت
الفراخ في جوفه تمكث حتّى تستحكم، لأثقلته وعاقته عن النهوض والطيران،
فجُعِلَ كل شيء من خلقه مُشاكِلاً للأمر الذي قُدِّرَ أن يكون عليه.
ثم صار^(٢) الطائر السابح^(٣) في هذا الجوّ يقعد على بيضه فيحضنه أسبوعاً
وبعضها أسبوعين وبعضها ثلاثة أسابيع، حتّى يخرج الفرخ من البيضة، ثمّ يقبل عليه
فيفزقه الريح لتتسع حوصلته للغذاء، ثمّ يرّبه ويغذيه بما يعيش به، فمن كلفه أن يلقط
الطعم ويستخرجه^(٤)، بعد أن يستقرّ في حوصلته، ويغذوه به فراخه؟ ولأيّ معنى
يحتمل هذه المشقة وليس بذى رويّة ولا تفكّر^(٥)؟ ولا يؤمّل^(٦) في فراخه ما
يؤمّل^(٧) الإنسان في ولده من العزّ والرّفد وبقاء الذكر؟ فهذا هو فعل^(٨) يشهد
بأنّه^(٩) معطوف على فراخه لعلّه لا يعرفها ولا يفكّر فيها، وهي دوام النسل وبقاؤه؛
لطفاً من الله تعالى ذكره.

(١) في «ج»: ويتطحن. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «ج»: طار. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٣) في «ب» «د» «ن»: السائح.

(٤) في «ن»: الطعم والحب يستخرجه.

(٥) في «ج»: ولا تفكير. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) في «ب» «ج» «ن»: يأمل.

(٧) في «أ» «ب»: يأمل.

(٨) في «أ» «ب» «ج»: فهذا من فعل. وفي «ن»: فهذا من فعله. والمثبت عن «د» ونسختي بدل

من «ب» «ج».

(٩) في «ن»: أنّه.

[الدجاجة وتهيجها لحضن البيض والتفريخ]

انظر إلى الدجاجة كيف تهيج لحضن البيض والتفريخ، وليس لها بيض مجتمع ولا وكر مُوطاً^(١)، بل تنبعث وتنتفخ^(٢) وتُقَوِّي^(٣) وتمتنع من الطعام، حتَّى يجمع لها البيض، فتحضنه وتفرخ.. فلم كان ذلك منها إلّا لإقامة النسل؟ ومن أخذها بإقامة النسل ولا رويّة لها^(٤) ولا تفكّر^(٥)، لولا أنّها مجبولة على ذلك؟

[خلق البيضة والتدبير في ذلك]

اعتبر بخلق البيضة وما فيها^(٦) من المح^(٧) الأصفر الخاثر والماء الأبيض الرقيق، فبعضه لينشأ^(٨) منه الفرخ، وبعضه ليغذي^(٩) به، إلى أن تنقَاب عنه البيضة، وما في ذلك من التدبير، فإنّه لما^(١٠) كان نشوء الفرخ في تلك القشرة المستحصنة^(١١) التي لا

(١) في «ج»: موطّن. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: وتنتفج.

(٣) في «ن»: وتقوى.

(٤) ليست في «ب».

(٥) في «ج» «ن»: ولا تفكير. والمثبت عن «أ» «ب» «د» ونسخة بدل من «ج».

(٦) في «ج» «د»: فيما فيها. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت. وفي نسخة بدل من «د»: وما فيه.

(٧) في «أ» «ج» «ن»: الملحّ.

(٨) في «ب» «ج» «د»: لينتشر. وفي «ن»: ينشأ. وفي نسختي بدل من «ج» «د» كالمثبت.

(٩) في «ب»: ليغذى. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(١٠) في جميع النسخ: «لو» بدل «لما». والمثبت عن نسخة بدل مصحّحة من «د».

(١١) في «أ» «د» ونسخة بدل من «ج»: المستحصنة. وفي «ب» المستحصنة. وفي «ج» «ن»:

المستحفظة. والمثبت عن نسختي بدل من «ب» «ج».

مساغ لشيء إليها^(١)، جعل^(٢) معه في جوفها من الغذاء ما يكتفي^(٣) به إلى وقت خروجه منها، كمن يُحبس في حبس حصين لا يوصل إلى مَنْ فيه، فيُجعلُ معه من القوت ما يكتفي به إلى وقت خروجه منه.

[حوصلة الطائر]

فَكَرَّ يا مفضل^(٤) في حوصلة الطائر، وما قُدِّر له، فإنَّ مسلك الطُّعم^(٥) إلى القانصة ضيقٌ، لا ينفذ فيه الطعام^(٦) إلا قليلاً قليلاً، فلو كان الطائر لا يلقط حبةً ثانيةً حتَّى تصل الأولى إلى القانصة لطال عليه، ومتى كان يستوفي طعمه؟ فإنَّما يختلسه اختلاساً لشدة الحذر، فجعلت له^(٧) الحوصلة كالمخللة المعلّقة^(٨) أمامه، ليوعي فيها ما أدرك من الطُّعم بسرعة، ثمَّ ينفذه^(٩) إلى القانصة على مهل، وفي الحوصلة أيضاً خلّة^(١٠) أخرى، فإنَّ من الطائر ما يحتاج إلى أن يزقَّ فراخه فيكون ردُّه للطُّعم من قرب أسهلَّ عليه.

(١) في «د»: إليه.

(٢) في «أ» «ب» «ج» «د»: لجعل.

(٣) في نسخة بدل من «ج»: ما يُكفى.

(٤) قوله «يا مفضل» ليس في «ب». وأدخل في متن «ج» عن نسخة.

(٥) في «ج»: الطعام.

(٦) في نسخة بدل من «ج»: الطُّعم.

(٧) ليست في «ب» «ج» «د».

(٨) في نسخة بدل من «ج»: المعقّلة.

(٩) في «ب» «ن»: تنفذه.

(١٠) في «ج»: حيلة. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

[اختلاف ألوان الطير وعلة ذلك]

قال المفضل: فقلت: إن قوماً من المعطّلة يزعمون أن اختلاف الألوان والأشكال في الطير إنما يكون من قبل امتزاج الأخلاط، واختلاف مقاديرها بالمرج^(١) والإهمال.

فقال^(٢): يا مفضل، هذا الوشي - الذي تراه في الطواويس والدراج والتدارج^(٣) على استواء ومقابلة، كنحو ما يُخطّ بالأقلام - كيف يأتي به الامتزاج المهمل على شكل واحد لا يختلف؟ لو^(٤) كان بالإهمال لعدِم الاستواء ولكان مختلفاً.

[ريش الطائر ووصفه]

تأمل ريش الطير كيف هو؟ فإنك تراه منسوجاً كنسيج الثوب من سلوك دِقاق، قد ألف بعضه إلى^(٥) بعض، كتأليف الخيط إلى الخيط، والشعرة إلى الشعرة، ثم ترى ذلك النسيج إذا مددته ينفتح قليلاً ولا ينشق لتدخاله الريح، فيُقِلُّ الطائر^(٦) إذا طار، وترى في وسط الريشة عموداً غليظاً متيناً قد نُسِجَ عليه الذي هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته، وهو القصبه التي في وسط الريشة، وهو مع ذلك أجوف، ليخفّ على الطائر

(١) في «أ»: «د»: بالمزج. وفي «ج»: ونسخة بدل من «ب»: بالهرج. لكن المجلسي في بيانه قال أنها في بعض النسخ بالزاي المعجمة، أي بالمزج.

(٢) في «ن»: قال.

(٣) قوله «التدارج» ليس في «ج».

(٤) في «أ»: «ج»: «ن»: ولو.

(٥) في «ج»: على. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) في نسخة بدل من «ج»: الطيران.

ولا يعوقه عن الطيران.

[الطائر الطويل الساقين والتدبير في ذلك]

هل رأيت يا مفضل هذا الطائر الطويل الساقين، وعرفت ماله من المنفعة في طول ساقيه، فإنه أكثرَ ذلك في ضحضاح من الماء، فتراه بساقين طويلين كأنه ربيثة فوق مَرَقَب، وهو يتأمل ما يدب في الماء، فإذا رأى شيئاً ممّا يتقوّت به، خطا خطوات رقيقاً^(١) حتى يتناوله، ولو كان قصير الساقين كان^(٢) حين^(٣) يخطو نحو الصيد ليأخذه، يصيب^(٤) بطنه الماء فيثور ويذعر منه، فيتفرّق^(٥) عنه، فخلق له ذانك^(٦) العمودان ليدرك بهما حاجته ولا يفسد عليه مطلبه.

تأمل ضروب التدبير^(٧) في خلق الطائر، فإنك تجد كل طائرٍ طويل الساقين طويل العنق، وذلك ليتمكن من تناول طُعمه من الأرض، فلو^(٨) كان طويل الساقين قصير العنق لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض، وربما أُعين مع^(٩) العنق بطول المناكير، ليزداد الأمر عليه سهولة وله^(١٠) إمكاناً، أفلا ترى أنك لا تفتش شيئاً

(١) في «ج» «ن»: رقيقاً.

(٢) في «ب» «ن»: وكان.

(٣) ليست في «أ» «ب» «ج» «ن».

(٤) في نسخة بدل من «ج»: يضب. وفي نسخة بدل أخرى: يصب.

(٥) في «ن»: فيفرّق.

(٦) في «ج» «د» «ن»: ذلك.

(٧) في «ج»: ضروباً من التدبير. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٨) في «ب» «ج» «د» «ن»: ولو.

(٩) في «د» ونسخة بدل من «ب»: على. وفي نسخة بدل من «د» كالمثبت.

(١٠) «له» ليست في «ن». وفي «ب»: سهولة له وإمكاناً.

من الخلقة^(١) إلا وجدته على غاية^(٢) الصواب والحكمة.

[العصافير وطلبها للأكل]

انظر إلى العصافير كيف تطلب أكلها بالنهار، فلا هي تفقده^(٣)، ولا هي^(٤) تجده مجموعاً معداً، بل تناله بالحركة والطلب، وكذلك الخلق كله، فسبحان من قدّر الرزق كيف قوّته^(٥)، فلم يجعله^(٦) ممّا لا يُقدّر عليه إذ جعل بالخلق^(٧) حاجة^(٨) إليه، ولم يجعله^(٩) مبذولاً ينال بالهويناء^(١٠) إذ كان لا صلاح في ذلك؛ فإنّه لو كان يوجد مجموعاً معداً كانت البهائم تنقلب^(١١) عليه، ولا تنقلع^(١٢) عنه حتّى تَبْشَمَ فتهلك. وكان الناس أيضاً يصيرون بالفراغ إلى غاية الأثر والبطر، حتّى يكثر الفساد وتظهر الفواحش.

(١) في نسخة بدل من «ج»: خلقة.

(٢) في «أ» «د»: غاية من الصواب.

(٣) في «ب» «د» «ن»: فهي لا تفقده. وفي «ج»: فهي لا تفتقده. والمثبت عن «أ» ونسخة بدل من «ج».

(٤) ليست في «ن».

(٥) في نسخة بدل من «ب»: قدّر. وكتب بعدها: خ ل ظ.

(٦) في «ب» «د» «ن»: يجعل.

(٧) في «ب»: للخلق.

(٨) في «ج»: محتاجاً.

(٩) في «ن»: يجعل.

(١٠) في «ج»: بالهون.

(١١) في «أ» «ب» «ج» «د»: تنقلب.

(١٢) في نسخة بدل من «ج»: ولا تنقطع.

[معاش اليوم والهام والخفّاش]

أعلمت ما طعم هذه الأصناف من الطير التي لا تخرج إلا بالليل كمثل اليوم والهام والخفّاش؟
قلت: لا يا مولاي.

قال ﷺ: إنّ معاشها من ضروب تنتشر^(١) في هذا^(٢) الجوّ من البعوض والفرّاش وأشباه الجرّاد واليعاسيب، وذلك أنّ هذه الضروب مبنوثة في الجوّ لا يخلو منها موضع..

واعتبر ذلك بأنك^(٣) إذا وضعت سراجاً بالليل في سطح أو عرصة دار، اجتمع عليه من هذا الضرب^(٤) شيء كثير.. فن أين يأتي ذلك كلّه إلّا من القرب؟
فإن قال قائل: إنّّه يأتي من الصحاري والبراري.

قيل له: كيف يوافي تلك الساعة من موضع بعيد؟ وكيف يبصر من ذلك البعد سراجاً في دار مخوفة بالدور فيقصد إليه؟ مع أنّ هذه عياناً تتهافت على السراج من قرب، فيدلّ ذلك على أنّها منتشرة في كلّ موضع من الجوّ، فهذه الأصناف من الطير تلتمسها إذا خرجت فتتقوّت بها.

فانظر كيف وُجّه الرزق لهذه الطيور التي لا تخرج إلا بالليل من هذه الضروب المنتشرة في الجوّ، واعرف - مع^(٥) ذلك - المعنى في خلق هذه الضروب المنتشرة التي

(١) في «د»: تُنتشر.

(٢) ليست في «ن».

(٣) في «د»: بأنك ترى إذا.

(٤) ليست في «ب» «ج». وفي «ن»: من هذه الضروب.

(٥) ليست في «ن».

عسى أن يظنّ ظانّ أنّها^(١) فضل لا معنى له^(٢).

[خلقة الخفّاش]

خُلِقَ الخفّاش خلقة عجيبة بين خلقة^(٣) الطير وذوات الأربع، بل^(٤) هو إلى ذوات الأربع أقرب، وذلك أنّه ذو أذنين ناشرتين^(٥) وأسنان ووبر، وهو يلد ولاداً ويرضع ويبول، ويمشي إذا مشى على أربع، وكلّ هذا خلاف صفة^(٦) الطير، ثمّ هو أيضاً ممّا يخرج بالليل، ويتنوّت بما^(٧) يسري^(٨) في الجوّ من الفرائس وما أشبهه. وقد قال قائلون أنّه لا طعم للخفّاش، وأنّ غذاءه من النسيم وحده. وذلك يفسد ويبطل من جهتين:

إحدهما^(٩): (خروج ما يخرج منه من الثفل والبول)^(١٠)، فإنّ هذا لا يكون من غير طعم.

والأخرى^(١١): إنّّه ذو أسنان، ولو كان لا يطعم شيئاً لم يكن للأسنان فيه معنى،

(١) في «ج»: أنّه. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: لها.

(٣) في «ج»: خلق. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) ليست في «ن».

(٥) وضعت في «ب» دائرة حول نقطة الزاي. وفي «د»: ناشرتين.

(٦) في «د»: صنعة.

(٧) في «أ» «ب» «د»: ممّا.

(٨) في «ج»: يُرى.

(٩) في «د»: «وجهين أحدهما» بدل «جهتين إحدهما».

(١٠) في «ن»: خروج الثفل والبول منه.

(١١) في «د»: والآخر.

وليس في الخلقة شيء لا معنى له.

وأما المأرب^(١) فيه فعروفة، حتّى أن زبله يدخل في بعض الأعمال، ومن أعظم الأرب^(٢) فيه خلخته العجيبة الدالة على قدرة الخالق جلّ ثناؤه، وتصرفه^(٣) فيما شاء كيف شاء لضرب من المصلحة.

[حيلة الطائر ابن تمرّة بالحسكة ومنفعتها]

فأما^(٤) الطائر^(٥) الصغير الذي يقال له «ابن تمرّة»^(٦) فقد عشن في بعض الأوقات في بعض الشجر، فنظر إلى حيّة عظيمة قد أقبلت نحو عشّه فاغرة فاها، تبغيه^(٧) لتبلعه^(٨)، فبينما^(٩) هو يتقلّب ويضطرب في طلب حيلة منها إذ^(١٠) وجد حَسَكَة، فحملها فألقاها في فم الحيّة، فلم تزل الحيّة تلتوي وتتقلّب حتّى ماتت،

(١) في «أ»: المأرب. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في نسختي بدل من «ج» «د»: المأرب.

(٣) في «ب» «ج» «د» «ن»: وتصرفها. والمثبت عن «أ» ونسخه بدل مصححة من «ب» ونسختي بدل من «ج» «د».

(٤) في «ج»: وأما.

(٥) في نسخة بدل من «ج»: الطير.

(٦) في «أ» أبو نمرّة. وفي «ج»: أبو تمرّة. وفي «د»: أبو تمرّة. وما في «ج» «د» أيضا صحيح، انظر المصّح: ١٠٩.

(٧) ليست في «أ» «ب» «ج».

(٨) في «ن» ونسخة بدل من «ب»: لتبلعه.

(٩) في «ج»: فبينما. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(١٠) في «ب» «د» «ج»: إذا. والمثبت عن «أ» «ن» ونسخة بدل من «ج».

أفرايت لو لم أخبرك بذلك، أكان^(١) يخطر ببالك أو ببال غيرك أنه يكون من حسكة مثل هذه المنفعة العظيمة^(٢)، أو يكون من طائر صغير^(٣) أو كبير مثل هذه الحيلة؟ اعتبر بهذا، وكثير من الأشياء تكون^(٤) فيها منافع لا تُعرَفُ إلاَّ بمحادثٍ^(٥) يحدث^(٦) أو خبر^(٧) يُسمع به.

[النحل : عسله وبيوته]

انظر إلى النحل واحتشاده في صناعة العسل، وتهيئته^(٨) البيوت المسدّسة وما ترى في ذلك من دقائق الفطنة، فإنك إذا تأملت العمل رأيته عجباً لطيفاً، وإذا رأيت المعمول وجدته عظيماً شريفاً موقعه من الناس، وإذا رجعت إلى الفاعل ألفيته غيباً جاهلاً بنفسه فضلاً عما سوى ذلك، ففي هذا أوضح الدلالة على أنّ الصواب والحكمة في هذه الصنعة ليس للنحل، بل هي للذي طبعه عليها وسخره فيها لمصلحة الناس.

(١) في «أ»: كان. بلا همزة الاستفهام.

(٢) ليست في «ن».

(٣) في «ج»: حقير.

(٤) في «د» «ن»: ويكون.

(٥) في «أ» «د» ونسخة بدل من «ج»: إلا عند حادث. وفي متن «ج»: إلا عند الحادث.

(٦) في «أ» «ب» «ج» «د»: يحدث به. وأدخلت «به» في متن «ب» عن نسخة.

(٧) في «أ»: «والخبير» بدل «أو خبر». وفي «ب» «ج» ونسخة بدل من «أ»: والخبر.

(٨) في «ب» «ج» «ن»: وتهيئة.

[الجراد وبلاؤه]

انظر إلى هذا الجراد ما أضعفه وأقواه^(١)؛ فإنَّك إذا تأملت خلقه رأيتَه كأضعف الأشياء، وإن دلفت عساكره نحو بلد من البلدان لم يستطع أحد أن يحميَّ منه.. ألا ترى أنَّ ملكاً من ملوك الأرض لو جمع خيله ورجله ليحمي بلاده من الجراد لم يقدر على ذلك، أفليس من الدلائل على قدرة الخالق أن يبعث أضعف خلقه إلى أقوى خلقه، فلا يستطيع دفعه؟!

[كثرة الجراد]

انظر إليه كيف ينساب على وجه الأرض مثل السيل، فيغشى السهل والجبل والبدو والحضر، حتَّى يستر نور الشمس بكثرتِه، فلو كان هذا ممَّا يصنع بالأيدي متى كان تجتمع منه هذه الكثرة؟ وفي كم من^(٢) سنة كان يرتفع؟ فاستدلَّ بذلك على القدرة التي لا يؤوِّدُها شيء، ولا يكثر عليها.

[وصف السمك]

تأمل خلق السمك ومشاكلته للأمر الذي قُدِّرَ أن يكون عليه، فإنَّه خُلِقَ غير ذي قوائم، لأنَّه لا يحتاج إلى المشي، إذ^(٤) كان مسكنه الماء، وخُلِقَ غير ذي رتَّة،

(١) في «أ» «د»: وما أقواه.

(٢) «من» ليست في «ن».

(٣) في نسخة بدل من «ج»: ذوي.

(٤) في نسخة بدل من «ج»: إذا. وأدخلت الألف في «ب» عن نسخة.

لأنّه لا يستطيع أن يتنفس وهو منغمس في اللجّة، وجعلت له مكان القوائم أجنحة شداد يضرب بها في جانبيه، كما يضرب الملاح بالمجاديف^(١) من جانبي السفينة، وكُسي جسمه قشوراً متاناً متداخلة كتداخل الدروع والجواشن لتقيه من الآفات، فأعين بفضل حسّ^(٢) في الشمّ، لأنّ بصره ضعيف، والماء يحجبه، فصار يشمّ الطعم من البُعْدِ البُعْدِ، فينتجعه^(٣)، وإلّا فكيف يعلم به وبموضعه؟

واعلم أنّ من فيه إلى صماخيه^(٤) منافذ، فهو يعبّ الماء فيه ويرسله من صماخيه فيتروّح إلى ذلك، كما يتروّح غيره من الحيوان إلى تنسم هذا النسيم.

[كثرة نسل السمك وعلّة ذلك]

فكّر الآن في كثرة نسله وما حُصّ به من ذلك، فإنّك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة^(٥)، والعلّة في ذلك أن يتسع لما يغتذي به من أصناف الحيوان، فإنّ أكثرها يأكل السمك، حتّى أنّ السباع أيضاً في حافات الآجام عاكفة على الماء أيضاً كي ترصد السمك، فإذا مرّ بها خطفته، فلمّا كانت السباع تأكل السمك، والطير يأكل السمك، والناس يأكلون السمك، والسمك يأكل السمك، كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثرة.

(١) في «د»: بالمجاديف. وهما لغتان.

(٢) في «ب»: حُسن.

(٣) في «ن»: فينتجعه فيتبعه.

(٤) في «ن»: صماخه.

(٥) في نسخة بدل من «ج»: كثيرة. ولعلّها «كثيرة».

[سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين]

فإذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق، وقصر علم المخلوقين، فانظر إلى ما في البحار من ضروب السمك ودواب الماء والأصداف والأصناف التي لا تحصى، ولا تعرف منافعها إلا الشيء بعد الشيء يدركه الناس بأسباب تحدث^(١)، مثل القرمز؛ فإنه إنما^(٢) عرف الناس صبغه بأن كلبة كانت^(٣) تجول على شاطئ البحر، فوجدت شيئاً من الصنف الذي يسمى الحلزون^(٤)، فأكلته فاخضب خطمها بدمه، فنظر الناس إلى حسنه فاتخذوه صبغاً، وأشباه هذا مما يقف الناس عليه حالاً بعد حال وزماناً بعد زمان.

قال المفصل: وحان وقت الزوال، فقام مولاي ﷺ إلى الصلاة وقال: بَكَرَ إِلَيَّ غداً إن شاء الله تعالى.. فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرّفنيه، مبتهجاً بما منّنيه، حامداً لله على ما آتانيه، فبتُّ ليلتي مسروراً مبتهجاً.

(١) في «ج»: تحدث منه مثل.

(٢) في «ن»: لما.

(٣) ليست في «ب» «ج» «ن».

(٤) في «ج»: الصنف المسمى بالحلزون. وفي نسخة بدل منها: الذي يسمى بالحلزون. وفي

«د»: المسمى الحلزون.

المجلس الثالث

قال المفضل^(١): فلما كان اليوم الثالث بكرت إلى مولاي فاستؤذن لي بالدخول^(٢) فدخلت فأذن لي بالجلوس فجلست، فقال ﷺ: الحمد لله الذي اصطفانا ولم يصطف علينا، اصطفانا بعلمه، وأيدنا بحلمه^(٣)، من شذَّ عَنَّا فالنار مأواه، ومن تقيًّا بظُلِّ دوحتنا فالجنة مثواه.. قد شرحت لك يا مفضل خلق الإنسان، وما دبر به، وتنقله في أحواله، وما فيه من الاعتبار، وشرحت لك أمر الحيوان.. وأنا أبتدئ الآن بذكر السماء والشمس والقمر والنجوم والفلك، والليل والنهار، والحرّ والبرد والرياح، والجواهر الأربعة - الأرض والماء والهواء والنار - والمطر والصحو^(٤)، والجبال والطين والحجارة، والمعادن والنبات^(٥)، والنخل

(١) قوله «قال المفضل» ليس في «ن».

(٢) ليست في «أ» «ب» «د» «ن».

(٣) في «د»: بحكمه.

(٤) في جميع النسخ: والصخر. والمثبت عن نسخة بدل من «ج».

(٥) قوله «والمعادن والنبات» ليس في «ن».

والشجر وما في ذلك من الأدلة والعبر.

[لون السماء وما فيه من صواب التدبير]

فَكَرَّ في لون السماء وما فيه من صواب التدبير، فَإِنَّ هذا اللون أشدَّ الألوان موافقة وتقوية للبصر^(١)، حتَّى أنَّ من صفات الأطباء لمن أصابه شيء أضرَّ بصره إدمان النظر إلى الخضرة وما قرب منها إلى السواد، وقد وصف الحدَّاق منهم لمن كلَّ بصره الاطلاع في إجمانة خضراء مملوءة ماءً، فانظر كيف جعل الله جلَّ وتعالى أديم السماء بهذا اللون الأخضر إلى السواد ليمسك الأبصار المتقلِّبة^(٢) عليه، فلا ينكأ فيها بطول مباشرتها له، فصار هذا الذي أدركه الناس بالفكر والروية والتجارب، يوجد مفروغاً منه في الخلقة؛ حكمة بالغة ليعتبر^(٣) بها المعتبرون، ويفكر فيها الملحدون، ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٤).

[طلوع الشمس وغروبها والمنافع في ذلك]

فَكَرَّ يا مفضل في طلوع الشمس وغروبها، لإقامة دولتي النهار والليل، فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله، فلم يكن الناس يسعون في معاشهم، ويتصرفون في أمورهم، والدنيا مظلمة عليهم، ولم يكونوا يتهنَّئون بالعيش مع فقدهم لذَّة النور

(١) في «ب» «د»: موافقةً للبصر وتقويةً.

(٢) في «ب» ونسخة بدل من «ج»: المنقلبة. ومن هنا إلى قوله «به المعتبرون فكر يا مفضل في النجوم» ساقط من «د».

(٣) في «أ»: يعتبر.

(٤) التوبة: ٣٠، المنافقون: ٤.

ورَوْحِه.. فالأَرْب^(١) في طلوعها ظاهر مستغنى^(٢) بظهوره عن الإطناب في ذكره،
والزيادة في شرحه..

بل تأمل المنفعة في غروبها، فلولا غروبها لم يكن للناس هدوء^(٣) ولا قرار مع
عظم حاجتهم إلى الهدوء^(٤) والراحة لسكون أبدانهم، وجوم حواسهم، وانبعاث
القوة الهاضمة لهضم^(٥) الطعام، وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء، ثم كان الحرص
يستحلمهم من مداومة العمل، ومطاولته على ما تعظم نكايته^(٦) في أبدانهم، فإن
كثيراً من الناس لولا جثوم هذا الليل بظلمته^(٧) عليهم، لم يكن لهم هدوء^(٨) ولا
قرار، حرصاً على الكسب والجمع والادّخار. ثم كانت الأرض تستحمي بدوام
الشمس بضائئها^(٩)، ويَحْتَمَى^(١٠) كل ما عليها من حيوان ونبات، فقدّرها الله بحكمته
وتدبيره، تطلع وقتاً وتغرب وقتاً، بمنزلة سراج يُرْفَعُ لأهل البيت تارة ليقضوا
حوائجهم، ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدّؤوا ويقروا، فصار النور والظلمة مع
تضادّهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه.

(١) في «أ» «ب» «ن»: والأرب.

(٢) في «ب»: مستغنى.

(٣) في «أ» «ب»: هُدْءٌ. وكلاهما مصدرٌ لـ «هَدَأَ».

(٤) في «أ» «ب»: الهُدْءُ.

(٥) في «ج»: لتَهْضِيمٍ، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) في نسخة بدل من «ج»: نكايته.

(٧) في «ب»: لظلمته.

(٨) في «أ» «ب»: هُدْءٌ.

(٩) في «ج»: لضوائها، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(١٠) في «ب»: وتحمي.

[التدبير والمصلحة في الفصول الأربعة من السنة]

ثم فُكِّرَ بعد هذا في ارتفاع الشمس واعطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة وما في ذلك من التدبير والمصلحة.

ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر والنبات، فتولد فيهما^(١) مواد الثمار، ويتكثف^(٢) الهواء فينشأ منه السحاب والمطر، وتشتدُّ أبدان الحيوان وتقوى.

وفي الربيع تتحرك وتظهر المواد المتولدة في الشتاء، فيطلع النبات، وتُنَوَّرُ^(٣) الأشجار، ويهيج الحيوان للسفاد.

وفي الصيف يحتدم الهواء فتتضج الثمار، وتحلل فضول الأبدان، ويجفّ وجه الأرض، فتتهيأ^(٤) للبناء والأعمال.

وفي الخريف يصفو الهواء، وترتفع الأمراض، وتصحّ الأبدان، ويمتدّ الليل فتمكن فيه بعض الأعمال لطوله، ويطيب الهواء فيه، إلى^(٥) مصالح أخرى لو تَقَصَّيْتُ لِدِكْرِهَا لَطَالَ فيها^(٦) الكلام.

[معرفة الأزمنة والفصول الأربعة عن طريق حركة الشمس]

فكّر الآن في تنقّل الشمس في البروج الاثني عشر لإقامة دور السنة وما في ذلك

(١) في «ج»: فيها، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «أ» «ب» «ج»: ويستكثف.

(٣) في «ج»: وتثور، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) في «ب» «ن»: فتتهيأ.

(٥) في «أ»: «وفيه» بدل «فيه إلى».

(٦) في «ج»: «فيه»، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

من التدبير، فهو الدور الذي تصحّ به الأزمنة الأربعة من السنة - الشتاء والربيع والصيف والخريف - و^(١) يستوفيهما^(٢) على التمام، وفي هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلات والثمار، وتنتهي إلى غاياتها^(٣) ثم تعود^(٤) فتستأنف^(٥) النشوء والنمو.

ألا ترى أنّ السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل، فبالسنة وأخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم إلى كلّ وقت وعصر من غابر الأيام، وبها يحسب الناس الأعمار والأوقات الموقّعة للديون والإجارات والمعاملات، وغير ذلك من أمورهم، وبمسير الشمس تكمل السنة، ويقوم حساب الزمان على الصّحة.

انظر إلى شروقها^(٦) على العالم كيف دبر أن يكون؟ فإنّها لو كانت تبزغ في موضع من السماء فتقف لا تعدوه لما وصل شعاعها ومنفعتّها إلى كثير من الجهات، لأنّ الجبال والجدران كانت تحجبها عنها، فجعلت تطلع في^(٧) أوّل النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب، ثمّ لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة، حتّى تنتهي إلى المغرب، فتشرق على ما استتر عنها في أوّل النهار، فلا يبقى موضع

(١) الواو ليست في «أ» و«ن».

(٢) في «ن»: تستوفيهما.

(٣) في جميع النسخ: غاياتهم. والمثبت من عندنا.

(٤) في «ج»: يعود.

(٥) في «ب» و«ج» و«ن»: فيستأنف.

(٦) في «ب» و«ج»: يزوغها.

(٧) ليست في «ن».

من المواضع إلا أخذ بقسطه من المنفعة منها^(١)، والأرب التي قدّرت له، ولو تخلفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم؟ بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء؟ أفلا ترى كيف كُفي الناس^(٢) هذه الأمور الجليلة التي لم تكن عندهم فيها حيلة، فصارت تجري على مجاريها لا تَغْتَلُّ^(٣) ولا تتخلف عن مواقيتها لصالح العالم وما فيه بقاؤه.

[الاستدلال بالقمر في معرفة الشهور]

استدلَّ بالقمر فيه دلالة جليلة تستعملها العامة في معرفة الشهور، ولا يقوم عليه حساب السنة؛ لأنّ دوره لا يستوفي الأزمنة الأربعة ونشوء الثمار وتصرّمها، ولذلك صارت شهور القمر وستوّه تتخلف عن شهور الشمس وسنّيتها^(٤)، وصار الشهر من شهور القمر ينتقل، فيكون مرّة بالشتاء ومرّة بالصيف.

[ضوء القمر وما فيه من المنافع]

فكّر في إنارته في ظلمة الليل والأرب في ذلك، فإنّه مع الحاجة إلى الظلمة هُدوء^(٥) الحيوان، وبرد الهواء على النبات، لم يكن صلاح في أن يكون الليل ظلمة

(١) في «ج»: فيها. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «ب»: أفلا يرى الناس كيف هذه. وفي «ج»: كيف كُفي الناس من هذه. وفي «ن»: كيف كان يكون للناس هذه.

(٣) في «ن»: لا تغتَلُّ.

(٤) في «ج»: وسنّيتها. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «أ» «ب»: لهْدء.

داجية لا ضياء فيها، فلا يمكن فيه شيء من العمل، لأنه ربّما احتاج الناس إلى العمل بالليل، لضيق الوقت عليهم في بعض^(١) الأعمال في النهار، أو^(٢) لشدة الحرّ وإفراطه، فيعمل في ضوء القمر أعمالاً شتّى كحرث الأرض، وضرب اللبن، وقطع الخشب، وما أشبه ذلك، فجعل ضوء القمر معونة للناس على معائشهم إذا احتاجوا إلى ذلك، وأنساً للسائرين بالليل^(٣). وجعل طلوعه في بعض الليل دون بعض، ونقص مع ذلك عن نور الشمس وضيائها لكيلا ينبسط الناس في العمل انبساطهم بالنهار، ويمتنعوا من الهدوء^(٤) والقرار، فيهلكهم ذلك.

وفي تصرّف القمر خاصّة في تَهْلِيلِهِ^(٥) ومحاقه وزيادته ونقصانه وخُسُوفه^(٦)، من التنبيه على قدرة الله^(٧) خالقه المصرّف له هذا التصريف^(٨) لصالح العالم ما يعتبر^(٩) به المعتبرون.

[النجوم واختلاف مسيرها والسبب في أن بعضها راتبة والأخرى متنقلة]

فكر يا مفضل في النجوم واختلاف مسيرها^(١٠)، فبعضها لا تفارق مراكزها من

(١) في «ب»: في تقضي. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «ن»: ولشدة.

(٣) ليست في «أ» «ب» «ن». وأدخلت في متن «ج» عن نسخة.

(٤) في «أ» «ب»: الهذء.

(٥) في «ب» «ج» «ن»: مهله. والمثبت عن «أ» ونسختي بدل من «ب» «ج».

(٦) في «ب» «ن»: وكسوفه.

(٧) أدخل لفظ الجلالة في متن «ج» عن نسخة.

(٨) في «ج»: المتصرّف له هذا التصرف. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٩) بعد قوله فيما سبق «بهذا اللون الأخضر إلى السواد ولیمسك الأبصار المتقلبة» إلى هنا ساقط من «د».

(١٠) في «ج»: سيرها. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

الفلك، ولا تسير إلا مجتمعة، وبعضها مطلقة تنتقل في البروج وتفرق في مسيرها، فكل واحد منها^(١) يسير سيرين مختلفين: أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب، والآخر خاص لنفسه نحو المشرق؛ كالنملة التي تدور على الرحى، فالرحى تدور ذات اليمين، والنملة تدور ذات الشمال^(٢)، والنملة في تلك^(٣) الحال^(٤) تتحرك حركتين مختلفتين: إحداها بنفسها فتتوجّه أمامها، والأخرى مستكرهة مع الرحى تجذبها إلى خلفها.

فاسأل الزاعمين أن النجوم صارت على ما هي عليه بالإهمال، من غير عمد ولا صانع لها، ما منعها أن تكون كلّها راتبة أو تكون كلّها منتقلة؟^(٥) فإن الإهمال معنى واحد، فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير؟ ففي هذا بيان أن مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد وتدبير وحكمة وتقدير، وليس بإهمال كما تزعم المعطلة.

فإن قال قائل: ولم صار بعض النجوم راتباً وبعضها منتقلاً؟ قلنا: إنها لو كانت كلّها راتبة لبطلت الدلالات^(٦) التي يستدل بها من تنقل المنتقلة، ومسيرها في كلّ برج من البروج، كما قد^(٧) يستدل بها^(٨) على أشياء مما

(١) في «د»: منهما. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: اليسار.

(٣) في «ن»: ذلك.

(٤) ليست في «أ» «ب» «ج» «ن».

(٥) في «أ» «ب»: منتقلة، وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت. وكذا في سائر الموارد الآتية.

(٦) في «د»: الآلات.

(٧) ليست في «ن».

(٨) ليست في «ب» «ج».

يحدث في العالم، بتنقل الشمس والنجوم في منازلها، ولو كانت كلها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف، ولا رسم يوقف عليه، لأنه إنما يوقف عليه^(١) بمسير المنتقلة^(٢) منها بتنقلها في البروج الراتبه كما يستدل على سير السائر على الأرض بالمنازل التي يجتاز عليها، أو لو^(٣) كان تنقلها بحال واحدة^(٤) لاختل^(٥) نظامها، وبطلت المآرب فيها، ولساغ^(٦) لقائل أن يقول أن كينونتها^(٧) على حال واحدة توجب عليها الإهمال من الجهة التي وصفنا، ففي اختلاف سيرها وتصرفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة، أبين دليل على العمد والتدبير فيها.

[فوائد بعض النجوم]

فكر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها - كمثل الثريا والجوزاء والشعرين وسهيل - فإنها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم يكن لواحد منها^(٨) على حياله دلالات يعرفها الناس، ويبتدون بها لبعض أمورهم، كمعرفتهم^(٩) الآن بما يكون من طلوع الثور والجوزاء إذا طلعت، واحتجابها إذا

(١) ليست في «ب» «د». وأدخلت في متن «ج» عن نسخة.

(٢) في «أ» «ب»: المنتقلة. وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت. وفي «ج»: المنقلة.

(٣) في «أ» «ج» «د»: «ولو» بدل «أو لو».

(٤) في «ن»: واحد.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «د»: لاختلط.

(٦) في «أ» ونسخة بدل من «ج»: ويساغ.

(٧) في «ب» «د»: كينونتها، وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت.

(٨) في جمع النسخ: فيها. والمثبت عن نسخة بدل من «د».

(٩) في نسخة بدل من «ج»: كمعرفة.

احتجبت، فصار ظهور كل واحد واحتجابه في وقتٍ غير وقتٍ^(١) الآخر، ليستفيع الناس بما يدلّ عليه كل واحد منها على حدته.

وكما^(٢) جعلت الثريا وأشباهها تظهر حيناً وتحتجب^(٣) حيناً^(٤) لضرب من المصلحة، كذلك^(٥) جعلت بنات نعش ظاهرة لا تغيب لضرب آخر من المصلحة؛ فإنها بمنزلة الأعلام التي يهتدي بها الناس في البرّ والبحر للطرق المجهولة؛ وذلك^(٦) أنّها لا تغيب ولا تتوارى فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شاؤوا - وصار الأمران جميعاً على اختلافهما موجّهين نحو الأرب والمصلحة - وفيها^(٧) مآرب أخرى علامات ودلالات على أوقات كثيرة من الأعمال كالزراعة والغراس والسفر في البرّ والبحر، وأشياء ممّا يحدث في الأزمنة من الأمطار والرياح والحرّ والبرد، وبها يهتدي السائرون في^(٨) ظلمة الليل، لقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة، مع ما في ترددها في كبد السماء مقبلةً ومدبرةً ومشرقةً ومغربّةً من العبر، فإنها تسير أسرع السير وأحثة.

أرايت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منّا، حتّى تستبين لنا سرعة سيرها بكنهه ما هي عليه، ألم تكن ستخطف^(٩) الأبصار بوهجها وشعاعها، كالذي

(١) في «ب» «ج» «ن»: الوقت. والمثبت عن «أ» «د» ونسخة بدل من «ج».

(٢) في «ن»: وما.

(٣) في «أ» «ب» «ج» «د»: وتحتجب. والمثبت عن «ن» ونسخة بدل من «د».

(٤) في «ن»: حيناً إلا لضرب.

(٥) في «أ» «ن»: وكذلك.

(٦) في «ن»: وكذلك.

(٧) في «أ» «ن»: وفيهما.

(٨) في «د»: على. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٩) في «ن»: تستخطف.

يحدث أحياناً من البروق إذا توالى واضطربت في الجو؟ وكذلك أيضاً لو أن أناساً كانوا في قبة مكلّلة بمصابيح تدور حولهم دوراناً حثيثاً لحارت^(١) أبصارهم حتى يخزّوا لوجوههم.

فانظر كيف قُدّر أن يكون مسيرها في^(٢) البعد البعيد لكيلا تضرّ في الأبصار وتتكأ فيها، وبأسرع السرعة لكيلا تتخلّف عن مقدار الحاجة في مسيرها، وجُعِلَ فيها جزءٌ يسيرٌ من الضوء، ليسدّ^(٣) مسدّ الأضواء إذا لم يكن قر، وتمكن فيه الحركة إذا حدثت ضرورة، كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج إلى النّجاء في^(٤) جوف الليل، فإن^(٥) لم يكن شيء من الضوء يمتدي به لم يستطع أن يبرح مكانه. فتأمل اللطف والحكمة في هذا التقدير، حين جُعِلَت للظلمة^(٦) دولةٌ ومدةٌ لحاجة^(٧) إليها، وجُعِلَ خلاها شيء من الضوء للمآرب التي وصفنا.

[الشمس والقمر والنجوم والبروج تدلّ على الخالق]

فكّر في هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه؛ تدور على العالم هذا الدورانَ الدائم بهذا التقدير والوزن، لما^(٨) في اختلاف الليل والنهار - وهذه الأزمان الأربعة

(١) في «ج»: طارت. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «د»: من. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٣) في «ج» «د»: يسدّ.

(٤) في «أ»: إلى التجافي جوف. وفي «ب» «ن»: إلى التجافي في جوف. وفي «ج»: إلى النّجاء في جوف.

(٥) في «ب»: وإن.

(٦) في نسختي بدل من «أ» «ج»: الظلمة.

(٧) في «د»: الحاجة. وأدخلت الألف فيها عن نسخة.

(٨) في «ج»: والوزن إلّا لما.

المتواليه^(١) - من التنبيه على الأرض وما عليها من أصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة، كالذي بيّنت وشخصت^(٢) لك آنفاً. وهل يخفى على ذي لب أن هذا تقدير مقدرٌ وصواب وحكمة من مقدر حكيم؟

فإن قال قائل: إن هذا شيء اتفق أن يكون هكذا؟ فما منعه أن يقول^(٣) مثل هذا في دولا ب يراه يدور ويسقي حديقة فيها شجر ونبات، فيرى كل شيء من آلاته^(٤) مقدرًا بعضه يلقي بعضاً على ما فيه صلاح تلك الحديقة وما فيها؟ وبم كان يثبت هذا القول لو قاله؟ وما ترى الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه؟ أفينكر أن يقول في دولا ب خشب^(٥) مصنوع بحيلة قصيرة لمصلحة قطعة من الأرض أنه كان بلا صانع ومقدر، ويقدر أن يقول في^(٦) هذا الدولا ب الأعظم، المخلوق بحكمة تقصر عنها أذهان البشر، لصلاح جميع الأرض وما عليها أنه شيء اتفق أن يكون بلا صنعة ولا تقدير؟ لو اعتلّ هذا الفلك - كما تعتلّ الآلات التي تتخذ للصناعات وغيرها - أي شيء كان عند الناس من الحيلة في إصلاحه؟

[مقادير الليل والنهار]

فكر يا مفضل في مقادير النهار والليل، كيف وقعت^(٧) على ما فيه صلاح هذا

(١) ليست في «أ» «ج» «د»، وأدخلت في متن «ب» وكتب فوقها: ظ ل.

(٢) في نسخة بدل من «ب»: ولخصت.

(٣) في «د»: يكون. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) في «ب» «د»: آله.

(٥) في «ج» ونسخة بدل من «ب»: خسيس. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٦) ليست في «ج».

(٧) في «ج»: وقعت. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

الخلق فصار منتهى كل واحد منها - إذا امتدّ - إلى خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك؟

أفرأيت لو كان النهار يكون مقداره مائة ساعة أو مائتي ساعة؟ ألم يكن في ذلك بوار كل ما في الأرض من حيوان ونبات؟ أما الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقرّ طول هذه المدّة، ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النهار، ولا الإنسان كان يفتر عن العمل والحركة، وكان ذلك سيهلكها^(١) أجمع، ويؤدّيها إلى التلف، وأما النبات فكان يطول عليه حرّ النهار ووهج الشمس حتّى يجفّ ويحترق.

وكذلك الليل لو امتدّ مقدار هذه المدّة كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة والتصرّف في طلب المعاش، حتّى تموت جوعاً، وتخمّد^(٢) الحرارة الطبيعيّة في^(٣) النباتات، حتّى يعفن ويفسد، كالذي تراه يحدث على النبات إذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس.

[الحرّ والبرد وفوائدهما]

اعتبر بهذا الحرّ والبرد كيف يتعاوران^(٤) العالم، ويتصرّفان هذا التصرّف - في^(٥) الزيادة والنقصان والاعتدال لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة - وما فيها من

(١) في «ج» ونسخة بدل من «ب»: سينهلكها. وفي «ن»: ينهلكها.

(٢) في «ج»: وتجمد. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٣) في «ن»: عن.

(٤) في «ج»: يتعاودان. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «ب»: من.

المصالح، ثمّ هما بعدُ دباغ الأبدان التي عليهما^(١) بقاؤها وفيهما^(٢) صلاحها، فإنّه لولا الحرّ والبرد وتداولهما الأبدان لفسدت وأخوت^(٣) وانتكشت.

فكرّ في دخول أحدهما على الآخر بهذا التدريج^(٤) والترسل، فإنّك ترى أحدهما ينقص شيئاً بعد شيء، والآخر يزيد مثل ذلك، حتّى ينتهي كلّ واحد منهما منتهاه في الزيادة والنقصان، ولو كان دخول أحدهما على الآخر^(٥) مفاجأة، لأضرّ ذلك بالأبدان وأسقمها، كما أنّ أحدكم لو خرج من حمّام حار إلى موضع مفرط^(٦) البرودة، لضرّه ذلك وأسقم بدنه، فلمْ جعل^(٧) الله عزّ وجلّ هذا الترسل في الحرّ والبرد إلّا للسلامة من ضرر المفاجأة، ولمْ جرى الأمر على ما فيه السلامة من ضرر^(٨) المفاجأة لولا التدبير في ذلك؟

فإن زعم زاعم^(٩) أنّ هذا الترسل في دخول الحرّ والبرد إنّما يكون لإبطاء مسير الشمس في الارتفاع والانحطاط^(١٠)، سئل عن العلة في إبطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها، فإنّ اعتلّ في الإبطاء ببعد ما بين المشرقين، سئل عن العلة في

(١) في «ب» «د» «ن»: عليها.

(٢) في «ب»: وفيها.

(٣) في «ج» ونسخة بدل من «ب»: وخمدت. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٤) في «ج»: الترويح. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «أ» «ب» «د» ونسخة بدل من «ج»: إحداهما على الأخرى.

(٦) ليست في «أ» «ب» «ج» «ن».

(٧) في «ن»: يجعل.

(٨) في «ب»: ضرّ. وفي «د»: ضرورة.

(٩) في «ب»: فإن زعم زاعم في ذلك أنّ هذا.

(١٠) في «ن»: في ارتفاعها وانحطاطها.

ذلك، فلا تزال هذه المسألة ترقى معه إلى حيث رقى من هذا القول، حتّى استقرّ على العمد والتدبير.

لولا الحرّ لما كانت الثمار الجاسية^(١) المرّة تنضج فتلين وتغذّب، حتّى يتفكّه بها رطبةً ويابسةً.

ولولا البرد^(٢) لما كان الزرع يفرخ هكذا^(٣)، ويربع الريح الكثير الذي يتّسع للقوت، وما يردّ في الأرض للبذر.

أفلا ترى ما في الحرّ والبرد من عظيم الغناء^(٤) والمنفعة، وكلاهما مع غنائه^(٥) والمنفعة فيه يؤلم الأبدان ويمضّهما، وفي ذلك عبرة لمن فكّر، ودلالة على أنّه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم وما فيه.

[الريح وما فيها]

وأنبهك يا مفضّل على الريح وما فيها، أألمت ترى ركودها إذا ركدت كيف يُحدّث الكرب، الذي يكاد أن يأتي على النفوس، ويمرض^(٦) الأصحاء، وينهك المرضى، ويفسد الثمار، ويعقّن البقول، ويعقب الوباء في الأبدان، والآفة في الغلات، ففي هذا بيان أنّ هبوب الريح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق.

(١) في «ج»: الجاسية. وكلّ صحيح، فإنّه مهموز مقصور.

(٢) في «أ»: ولو لا كان البرد.

(٣) ليست في «أ»، «ج»، وأدخلت في متن «ب» عن نسخة.

(٤) في «أ» «ج» «د»: الغناء. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٥) في «د»: غنائه.

(٦) في «أ» «ج»: ويخرّض. وفي «ب» «د»: ويخرّض. والمثبت عن «ن» ونسخة بدل من «د».

[الهواء والأصوات]

وأنبئك عن الهواء بخلة أخرى، فإنّ الصوت أثر يؤثره اصطكاك الأجسام في الهواء، والهواء يؤدّيه إلى المسامع، والناس يتكلّمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول نهارهم وبعض ليلهم، فلو كان أثر هذا الكلام يبقّى في الهواء، كما يبقّى الكتاب^(١) في القراطاس، لامتلاً العالم منه، فكان^(٢) يكرههم ويفدحهم^(٣)، وكانوا^(٤) يحتاجون في تجديده والاستبدال به إلى أكثر ممّا يُحتاج إليه في تجديد القراطيس، لأنّ ما يُلقي^(٥) من الكلام أكثر ممّا يكتب، فجعل الخلاق الحكيم جلّ قدسه هذا الهواء قرطاساً خفياً يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم، ثمّ يمحي فيعود جديداً نقياً، ويحمل ما حمل أبداً بلا انقطاع^(٦).

وحسبك بهذا^(٧) النسيم المسمّى هواء عبّرة، وما فيه من المصالح، فإنّه حياة هذه الأبدان والممسك لها؛ من داخلٍ بما يستنشق^(٨) منه، و^(٩) من خارجٍ بما يُباشِر^(١٠) من

(١) في «أ» ونسخة بدل من «ج»: تبقى الكتاب.

(٢) في «د»: وكان.

(٣) في «د»: ويقدحهم.

(٤) في «د»: فكانوا.

(٥) في «ن»: ما يلفظ.

(٦) في نسخة بدل من «ج»: «بالانقطاع» بدل «بلا انقطاع».

(٧) في «ج»: هذا.

(٨) في «ب» «ج»: تستنشق.

(٩) الواو ليست في «ن».

(١٠) في «أ» «ب» «ج» «د»: تباشِر.

رَوْحِه. وفيه تطرّد هذه الأصوات فيؤدّي بها من ^(١) البُعْدِ البعيدُ. وهو الحامل لهذه الأرايح ^(٢) ينقلها من موضع إلى موضع، ألا ترى كيف تأتيك الرائحة من حيث تهب الريح، فكذلك الصوت. وهو القابل لهذا الحرّ والبرد، اللذين يعتقان ^(٣) على العالم لصلاحه. ومنه هذه الريح الهابة.

فالريح تروّج عن ^(٤) الأجسام، وتزجي السحاب من موضع إلى موضع - ليعمّ نفعه، حتّى يستكثف فيمطر، وتفضّه ^(٥) حتّى يستخفّ فيتفشّى - وتلقّح الشجر ^(٦)، وتُسِيرُ السفن، وتُرْخي ^(٧) الأطعمة، وتبرّد الماء، وتُشِبُّ النارَ، وتحفّف الأشياء النديّة، وبالجملة إنّها تحيي كلّ ما في الأرض.. فلولا ^(٨) الريح لذوى النبات، ومات ^(٩) الحيوان، ومُحِتَّ الأشياءُ وفسدت.

[هيئة الأرض]

فكّر يا مفضّل فيما خلق الله عزّ وجلّ عليه هذه الجواهر الأربعة ليتّسع ما يُحتاجُ

(١) قوله «بها من» ليس في «ن». وفي «ب»: فيؤدّي بها من البُعْدِ البعيد.

(٢) في «ن»: الأرواح.

(٣) في «ن»: يتعاقبان.

(٤) في «د»: على. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «ج»: وبعضه. وفي نسخة بدل منها: ويفضّه. وفي نسخة بدل أخرى منها: ونفضه.

وفي «د»: وبَعْضُهُ. ووضع الناسخ فوقها ثلاث نقط. : علامة على أنّه لم يفهمها.

(٦) في «ج»: الشجرة.

(٧) في «ج»: وتُرْخي.

(٨) في «ج»: ولولا.

(٩) في «د»: فمات. وفي «ن»: ولمات.

إليه منها^(١).. فمن ذلك سعة هذه الأرض وامتدادها، فلولاً ذلك كيف كانت تتسع
لمساكن الناس ومزارعهم ومراعيهم ومنابت أخشابهم^(٢) وأحطابهم، والعقاير
العظيمة، والمعادن الجسيم^(٣) غناؤها.

ولعلّ من ينكر هذه القلوات الخاوية^(٤) والقفار الموحشة، فيقول: ما المنفعة
فيها؟ فهي مأوى هذه الوحوش ومحالّها ومراعيها^(٥)، ثمّ فيها بعد مُتَنَفِّسٌ^(٦)
ومضطربٌ للناس إذا احتاجوا إلى الاستبدال بأوطانهم، فكهم ببداء وكم فدغد
حالت قصوراً وجناناً^(٧)، بانتقال الناس إليها وحلوهم فيها، ولولا سعة الأرض
وفسحتها لكان الناس كمن هو في حصار ضيق لا يجد مندوحة عن^(٨) وطنه إذا
حَزَبَهُ^(٩) أمر يضطرّه إلى الانتقال عنه.

ثمّ فُكِّرَ في خلق هذه الأرض على ما هي عليه حين خلقت راتبة راکنة، فتكون
موطناً^(١٠) مستقراً للأشياء، فيتمكّن الناس من السعي عليها في^(١١) مآربهم،

(١) في نسخة بدل من «ج»: ليتسع إليه ما يحتاج منها.

(٢) في «ج» ونسخة بدل من «ب»: أعشابهم. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٣) في «ب» «ج» «د»: الجسيمة.

(٤) في نسخة بدل من «ج»: الخالية.

(٥) في «ب» «ج» «د»: ومرعاها.

(٦) في «ن»: تُتَنَفَّسُ. وفي نسخة بدل من «ج»: مُتَنَشَّرُ.

(٧) في «ج»: وخبايا. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٨) في نسخة بدل من «ج»: في.

(٩) في «ب» «ن» ونسخة بدل من «ج»: أحزنه. وفي «ج» ونسخة بدل من «ب»: حزنه. وفي

«د»: أحزبه. وفي نسخة بدل أخرى من «ج» كالمثبت.

(١٠) في «ج»: موطناً. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(١١) في نسخة بدل من «ج»: من.

والجلوس عليها لراحتهم، والنوم لهدوئهم^(١)، والاتقان لأعمالهم، فإنها لو كانت رجراجة منكفئة^(٢)، لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا البناء والنجارة والصناعة^(٣) وما أشبه ذلك، بل كانوا لا يتهنّون بالعيش والأرض ترجّ من تحتهم، واعتبر ذلك بما يصيب الناس حين^(٤) الزلازل - على قلة مكنتها - حتى يصيروا إلى ترك منازلهم، والهرب^(٥) عنها.

فإن قال قائل: فلم صارت هذه الأرض تزلزل؟

قيل له: إنّ الزلزلة وما أشبهها موعظة وترهيب يُرهب بها الناس ليرعوا، وينزعوا عن المعاصي، وكذلك ما ينزل بهم من البلاء في أبدانهم وأموالهم، يجري في التدبير على ما فيه صلاحهم واستقامتهم، ويدّخر^(٦) لهم إن صلحوا من (الثواب و)^(٧) العوض في الآخرة ما لا يعدله شيء من أمور الدنيا، وربما عجّل ذلك في الدنيا إذا كان ذلك في الدنيا^(٨) صلاحاً للعامة والخاصة.

ثم إنّ الأرض - في طباعها الذي طبعها الله عليه^(٩) - باردة يابسة، وكذلك الحجارة، وإتّما الفرق بينها وبين الحجارة فضل ييس في الحجارة، أفرأيت لو أنّ

(١) في «أ»: لهدوئهم.

(٢) في «أ»: منكفئة.

(٣) في «ب» «ج»: والصياغة.

(٤) في «ج» «د»: في. وفي نسختي بدل منهما كالمثبت.

(٥) في «أ» «د»: والمهرب.

(٦) في «د»: ويدّخر.

(٧) ليست في «أ».

(٨) قوله «في الدنيا» ليس في «أ» «ج» «د».

(٩) أدخلت في متن «د» عن نسخة بدل.

اليس أفرط على الأرض قليلاً، حتّى تكون حجراً صلباً، أكانت تُنبِتُ هذا النبات الذي به حياة الحيوان؟ وكان يمكن بها حرث أو بناء؟ أفلا ترى كيف نقصت^(١) من ييس الحجارة وجعلت على ما هي عليه من اللين والرخاوة لتهتياً^(٢) للاعتماد؟

[فوائد الماء والسبب في كثرته]

ومن تدبير الحكيم جلّ وعلا في خلقه الأرض أنّ مهبّ الشمال أرفع من مهبّ الجنوب، فلمْ جَعَلَ [ها] ^(٣) الله عزّ وجلّ كذلك إلّا لتتحدّر المياه ^(٤) على وجه الأرض فتسقيها وترويهما، ثمّ تفيض ^(٥) آخر ذلك إلى البحر ^(٦)، فكما ^(٧) يُرْفَع أحد جانبي السطح، ويُخَفَضُ الآخر لينحدر الماء عنه ولا يقوم عليه، كذلك جُعِلَ مهبّ الشمال أرفع من مهبّ الجنوب لهذه العلّة بعينها، ولولا ذلك لبقِيَ الماء متحيراً على وجه الأرض، فكان ^(٨) يمنع الناس من اعتمادها ^(٩)، ويقطع الطرق والمسالك.

ثمّ الماء لولا كثرته وتدقّقه في العيون والأودية والأنهار، لضاق عمّا يحتاج إليه الناس، لشربهم وشرب أنعامهم ومواشيهم، وسقي زروعهم وأشجارهم وأصناف

(١) في «أ» «ب» «د» ونسخة بدل من «ج»: تُنْصَب.

(٢) في «أ» «ب» «ج» «د»: وليتهتياً.

(٣) من عندنا.

(٤) في «د»: إلّا ليُتحدّر الماء على وجه الأرض ويسقيها ويرويهما.

(٥) في «ب» «د» ونسخة بدل من «ج»: يفيض. وفي متن «ج»: يفيض.

(٦) في «ن»: البحار.

(٧) في «ب» «د»: فكأنّما. وفي نسخة بدل مصحّحة من «ب»: فكلّما. وفي «ج»: وكما.

(٨) في «أ» «ج»: وكان.

(٩) في «ب» «ن»: أعمالها. والمثبت عن «أ» «ج» «د» ونسخة بدل من «ب».

غلاتهم، وشرب ما يرده من الوحوش^(١) والطير والسباع، وتتقلب فيه الحيتان ودواب الماء.

وفيه منافع أخر أنت بها غير^(٢) عارف، وعن عظيم^(٣) موقعها غافل، فإنه - سوى^(٤) الأمر الجليل المعروف من عظيم^(٥) غنائه في إحياء جميع ما على الأرض من الحيوان والنبات - يُمزجُ بالأشربة^(٦) فتلين^(٧) وتطيب لشاربها، وبه تُنظفُ الأبدان والأمتعة من الدرن الذي يغشاها، وبه يُبَلُّ التراب فيصلح للاعتال^(٨)، وبه تُكفُّ عادية النار إذا اضطربت، وأشرف الناس على المكروه، (وبه يسيغ العَصَانُ ما عَصَّ به، فينجو به^(٩) من الموت^(١٠))^(١١)، وبه يستحمّ المستعب الكال فيجد الراحة من أوصابه، إلى أشباه هذا من المآرب التي تُعرفُ عظم موقعها في وقت الحاجة إليها.

فإن شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في البحار، وقلت: ما الأرب^(١٢)

فيه؟

(١) في «أ» «ج» «د»: الوحش.

(٢) ليست في «أ» «ب» «ن».

(٣) في «أ» «ب» «د» ونسخة بدل من «ج»: عظم.

(٤) في «أ» «ج» «د»: فإنه ما سوى.

(٥) ليست في «ب» «ج» «د».

(٦) في جميع النسخ: الأشربة. والمثبت عن استظهار في هامش «ب».

(٧) في «ن»: فتلد.

(٨) في «ن»: للأعمال.

(٩) عن «د» فقط.

(١٠) في «أ» «ج»: العَصَات.

(١١) ليست في «ب» «ن».

(١٢) في «أ»: المآرب.

فاعلم أنه مُكْتَفٍ^(١) ومُضْطَرَبٌ ما لا يُحصى من أصناف السمك ودواب البحر ومعدن اللؤلؤ والياقوت والعنبر، وأصناف شتى تُستخرج من البحر، وفي سواحله منابت العود اليلنجوج، وضروب من الطيب والعقاقير، ثم هو بعدُ مَرْكَبٌ للناس^(٢)، ومحمل لهذه التجارات التي تُجْلَب من البلدان البعيدة، كمثّل ما يجلب من الصين إلى العراق، ومن العراق إلى الصين^(٣)، فإنّ هذه التجارات لو لم يكن لها محمل إلّا الظهر^(٤) لبارت وبقيت في بلدانها وأيدي أهلها، لأنّ أجر حملها^(٥) كان^(٦) يجاوز أثمانها، فلا يتعرّض أحد لحملها، وكان يجتمع في ذلك أمران: أحدهما فَقْدُ أشياء كثيرة تعظم الحاجة إليها، والآخر انقطاع معاش^(٧) من يحملها ويستعيش بفضلها.

[فوائد الهواء والسبب في كثرتة]

وهكذا الهواء لولا كثرتة وسعته لاختنق هذا الأنام من الدخان والبخار الذي يتحير^(٨) فيه، ولَعَجَزَ^(٩) عما يحول إلى السحاب والضباب أولاً أولاً، وقد تقدّم من صفته ما فيه كفاية.

(١) في «ج»: مكشوف مضطرب. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «ج» «د»: مركب الناس.

(٣) في «أ» «ب» «ج»: ومن العراق إلى العراق. وشرحها في «أ»: أي من البصرة إلى الكوفة.

(٤) في «أ» «ب» «د» «ن»: إلّا على الظهر.

(٥) في «ج»: محملها. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) ليست في «ن».

(٧) في «ب» «ن»: معاش.

(٨) في «ج»: يتحير.

(٩) في جميع النسخ: ويعجز. والمثبت عن نسخة بدل من «ب».

[منافع النار وجعلها كالمخزونة في الأجسام]

والنار أيضاً كذلك، فإنها لو كانت^(١) مبنوثة كالنسيم والماء كانت تحرق العالم وما فيه، ولما^(٢) لم يكن بدّ من ظهورها في الأحياء، لغنائها في كثير من المصالح، جعلت^(٣) كالمخزونة في الأجسام^(٤)، تُلْتَمَس^(٥) عند الحاجة إليها، وتُمْسَكُ بالمادة والخطب ما احتيج إلى بقائها لئلا تخبو، فلا هي تُمْسَكُ بالمادة والخطب فتعظم المؤونة في ذلك، ولا هي تظهر مبنوثة فتحرق كلّ ما هي فيه، بل هي على تهينة وتقدير، اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها والسلامة من ضررها.

ثمّ فيها خَلَّةٌ أخرى، وهي أنّها ممّا خُصَّ به^(٦) الإنسان دون جميع الحيوان لما له فيها^(٧) من المصلحة، فإنّه^(٨) لو فَقَدَ النارَ لَعَظُمَ ما يدخل عليه من الضرر في معاشه؛ فأما البهائم فلا تستعمل النار، ولا تستمتع بها، ولما قَدَّرَ الله عزّ وجلّ أن يكون هذا هكذا، خلق للإنسان كفاً وأصابع مهيأة لقدح النار واستعمالها، ولم يُعْطِ البهائم مثل ذلك، لكنّها أُعِينَت بالصبر على الجفاء والخلل في المعاش لكيلا ينالها في فقد النار ما ينال الإنسان عند فقدها^(٩).

(١) في «أ» «ج»: «لو لم تكن» بدل «لو كانت».

(٢) «لما» ليست في «أ» «ب» «ج» «د».

(٣) في «أ» «ب» «ج» «د»: «فجعلت».

(٤) في «ب» «د»: «الأخشاب». وفي نسختي بدل منهما كالمثبت.

(٥) في «أ» «ن»: «تلتمس».

(٦) في «ن»: «بها».

(٧) في «ج»: «فيه». وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٨) في نسخة بدل من «ج»: «لأنّه».

(٩) قوله «عند فقدها» ليس في «أ» «ب» «ج» «د».

وَأَنْبَهَكَ^(١) من منافع النار على خَلَّة^(٢) صغيرة عظيم موقعها، وهي هذا المصباح الذي يَتَّخِذُهُ الناس، فيَقْضُونَ به حوائجهم ما شَاؤُوا مِنْ^(٣) ليلهم، ولولا هذه الخَلَّة^(٤) لكان الناس تُصَرَّفُ أعمارهم^(٥) بمنزلة مَنْ في القبور، فمن كان يستطيع أن يكتب^(٦) أو يحفظ^(٧)، أو ينسج في ظلمة الليل؟ وكيف كانت^(٨) حال من عرض له وجع في وقت من أوقات الليل فاحتاج^(٩) أن يعالج ضحداً أو سفوفاً أو شيئاً يستشفي به؟

فأما منافعها - في نضج الأطعمة، ودفاء الأبدان، وتخفيف^(١٠) أشياء، وتحليل أشياء، وأشباه ذلك - فأكثر من أن تحصي وأظهر من أن تخفى.

[الصحو والمطر وتعاقبهما على العالم وفوائد ذلك]

فَكَّرَ يا مَفْضَّلُ في الصحو والمطر^(١١) كيف يعتقبان^(١٢) على هذا العالم لما فيه

(١) في «ب»: وَأَنْبَهَكَ وَأَنْبَهَكَ. وفي باقي النسخ: وَأَنْبَهَكَ.

(٢) في جميع النسخ: خَلَّة. والمثبت عن نسخة بدل من «ج».

(٣) في «ن»: في.

(٤) في «د»: الحيلة.

(٥) في «أ»: أعمارها.

(٦) في نسخة بدل من «ج»: يكسب.

(٧) في «ج»: أو يخطط. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٨) في «ن»: كان.

(٩) في «ن»: فاحتاج إلى أن يعالج.

(١٠) في «ج»: وتخفيف.

(١١) في «أ»: والغيم. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(١٢) في «ن»: يتعاقبان.

صلاحه، ولو دام واحد منهما عليه كان في ذلك فساده.. ألا ترى أنّ الأمطار إذا توالّت عفت البقول والمخضّر، واسترخت أبدان الحيوان وخَصِرَ^(١) الهواء فأحدث ضروباً من الأمراض، وفسدت الطرق والمسالك.

وإنّ الصحو إذا دام جفّت الأرض، واحترق النبات، وغيض ماء العيون والأودية، فأضرّ ذلك بالناس، وغلب اليبس على الهواء فأحدث ضروباً أخرى من الأمراض.

فإذا تعاقبا على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كلّ واحد منهما عادية الآخر، فصلحت الأشياء واستقامت.

فإن قال قائل: و^(٢) لم لا يكون في شيء من ذلك^(٣) مضرّة البتّة؟

قيل له: ليُمضَّ^(٤) ذلك الإنسان ويؤله بعض الألم، فيرعوي عن المعاصي، فكما أنّ الإنسان إذا سقم بدنه احتاج إلى الأدوية المُرّة البشعة ليقوم طباعه، ويصلح ما فسد منه، فكذلك^(٥) إذا طغى وأشّر^(٦)، احتاج إلى ما يعضّه^(٧) ويؤله، ليرعوي ويقصر عن مساويه، ويثبته^(٨) على ما فيه حظّه ورشده.

(١) في «أ» «ج»: وحسر. وفي «د» «ن»: وحصر. والمثبت عن «ب» ونسخة بدل من «ج». وفي

نسختي بدل آخرين من «ب» «ج»: وخثر. وفي نسخة بدل أخرى من «ج»: وخسر.

(٢) أدخلت الواو في متن «ج» عن نسخة.

(٣) قوله «من ذلك» ليس في «ج».

(٤) في نسخة بدل من «ب»: يُمضُّ.

(٥) في «ب» «ج» «ن»: كذلك. والمثبت عن «أ» «د» ونسخة بدل من «ج».

(٦) في «ن»: واشتدّ.

(٧) في جميع النسخ: ما يعضّه. والمثبت عن نسخة بدل من «أ».

(٨) في نسخة بدل من «ج»: وينبّه. وفي نسخة بدل أخرى منها: ويثبته.

ولو أَنَّ مَلِكاً من الملوك قَسَمَ في أهل مملكته قناطير من ذهب وفضّة، أَلَمْ يَكُنْ سيعظم عندهم ويذهب له به الصوت، فأين هذا من مطرة رواء^(١) تُعَمُّ بها^(٢) البلاد، وتزيد في الغلات أكثر من قناطير الذهب والفضّة^(٣) في أقاليم الأرض كلّها؟ أفلا ترى المطرة الواحدة ما أكبر^(٤) قدرها، وأعظم النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون، وربّما عاقت عن^(٥) أحدهم حاجة لا قدرها، فيتذمّر ويسخط إيثاراً للخسيس قدره على العظيم نفعه، جهلاً بمحمود^(٦) العاقبة، وقلة معرفةٍ بعظيم^(٧) الغناء والمنفعة فيها.

[مصالح نزول المطر على الأرض وأثر التدبير فيه]

تأمل نزوله على الأرض والتدبير في ذلك، فَإِنَّهُ جُعِلَ ينحدر عليها من علوّ^(٨) ليغشى^(٩) ما غلظ وارتفع منها فيرويه، ولو كان إنّما يأتها من بعض نواحيها لما علا على^(١٠) المواضع المشرفة منها، وَلَقَلَّ^(١١) ما يزرع في الأرض. ألا ترى أَنَّ الذي

(١) في «أ»: «مطره إذ» بدل «مطرة رواء».

(٢) في «أ» «ب» «ج» «د»: «ن»: يعمّ به.

(٣) في «ج»: «والذهب» بدل «والفضّة».

(٤) في «ج»: ما أكثر. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) أدخلت في متن «ج» عن نسخة.

(٦) في جميع النسخ: «جميلاً محموداً». والمثبت عن نسخة استظهرها الناسخ في هامش «ب».

(٧) في «أ» ونسخة من «ج»: العظيم الغناء. وفي «د»: لعظيم. وفي «ن»: معرفته لعظيم.

(٨) في «أ» «د»: من محلّ علوّ. وفي «ج»: من علّ.

(٩) في «أ» «د» ونسخة بدل من «ج»: ليتغشى. وفي نسخة بدل من «ب»: ليتفشى.

(١٠) ليست في «أ» «ن».

(١١) في «أ» «ب» «د» «ن» ونسخة بدل من «ج»: ويقل. والمثبت عن متن «ج».

يزرع سبياً أقلّ من ذلك، فالأمطار هي التي تُطَبَّقُ الأرض، وربّما تزرع هذه البراري الواسعة وسفوح الجبال وذراها فتغلّ الغلّة الكثيرة، وبها تسقط عن الناس في كثير من البلدان مؤونة سباق^(١) الماء من موضع إلى موضع، وما يجري في ذلك بينهم من التشاجر والتظالم حتّى يستأثر بالماء ذوو^(٢) العزّة^(٣) والقوّة، ويحرّمه الضعفاء.

ثمّ إنّّه حين قُدِّرَ أن ينحدر على الأرض انحداراً جعل ذلك قطراً شبيهاً بالرشّ، ليغور في قعر الأرض فيرويهما، ولو كان يسكبه^(٤) انسكاباً كان ينزل على وجه الأرض ولا^(٥) يغور فيها، ثمّ كان يحطم الزروع^(٦) القائمة إذا اندفق عليها، فصار ينزل نزولاً رقيقاً^(٧)، فَيُنْبِتُ الحبّ المزروع، ويحيي الأرض والزرع القائم.

وفي نزوله أيضاً مصالح أخرى، فإنّه يلين الأبدان، ويجلو كدر الهواء، فيرتفع الوباء الحادث من ذلك، ويفسل ما يسقط على الشجر والزرع من الداء المسمّى باليرقان^(٨)، إلى أشباه هذا من المنافع.

فإن قال قائل: أوليس قد يكون منه في بعض السنين الضرر العظيم الكثير لشدة

(١) في «ج»: بسباق. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «أ» «ن»: ذو.

(٣) في «ج» «د» «ن»: العزّة. والمثبت عن «أ» «ب» ونسخة بدل من «ج».

(٤) في «ج» «د»: ليسكبه.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «ن»: فلا.

(٦) في «أ» «ب» «د» ونسخة بدل من «ج»: الزرع.

(٧) في «ج» «ن»: رقيقاً.

(٨) في «أ» «ب» «د»: المسمّى اليرقان.

ما يقع منه، أو بَرَدٍ يكون فيه تحطُّمٌ ^(١) الغلَّات، أو بخورة ^(٢) يحدثها في الهواء فتولَّد ^(٣) كثيراً من الأمراض في الأبدان ^(٤) والآفات في الغلَّات؟
 قيل: بلى قد يكون ذلك الفرط، لما فيه من صلاح الإنسان، وكفَّه عن ركوب المعاصي والتماذي فيها، فتكون المنفعة فيما يصلح ^(٥) له من دينه أرجح ممَّا عسى أن يرزأ في ماله.

[منافع الجبال]

أنظر يا مفضل إلى هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة، التي قد ^(٦) يحسبها الغافلون فضلاً لا حاجة إليها، والمنافعُ فيها كثيرة، فمن ذلك أن تسقط عليها الثلوج، فتبقى في قُلاها لمن يحتاج إليها ^(٧)، ويذوب ما ذاب منها ^(٨)، فتجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها الأنهار العظام، وتنبث فيها ضروب من النبات والعقاير التي لا ينبت مثلها في السهل، وتكون فيها كهوف ومعاقل ^(٩) للوحوش

(١) في «ج»: يُحطَّم. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «ب» «د» «ن»: وبخورة. وفي «ج»: وبخثرة، وفي نسخة بدل منها: أو خثرة.

(٣) في «أ» «ب» «ن»: فيولَّد.

(٤) قوله «في الأبدان» ليس في «أ».

(٥) في «أ»: صلح.

(٦) ليست في «ب» «ن».

(٧) في جميع النسخ: إليه. والمثبت من عندنا.

(٨) في جميع النسخ: منه. والمثبت من عندنا.

(٩) في «أ» ونسخة بدل من «ب»: ومقابل. وفي «ب» «د»: ومقابل. وذكر المجلسي في الشرح

أنها في بعض النسخ: ومعاقل، كالمثبت.

من السباع العادية^(١)، وتُتخذ منها^(٢) الحصون والقلاع المنيعة للتحرّز من الأعداء، وتُنحَت منها الحجارة للبناء والأرحاء، وتُوجد فيها معادن لضروب^(٣) من المجوهر، وفيها خلال أخرى^(٤) لا يعرفها إلاّ المقدّر لها في سابق علمه.

[أنواع المعادن واستفادة الإنسان منها]

فكّر يا مفضّل في هذه المعادن وما يخرج منها من المجوهر المختلفة مثل الجصّ والكلس والجبس^(٥) والزرنيخ^(٦) والمرتك والتوتيا^(٧) والزنبق والنحاس والرصاص والفضّة والذهب والزربرد والياقوت والزمرد وضروب الحجارة، وكذلك ما يخرج منها من القار والموميا والكبريت والنفط، وغير ذلك ممّا يستعمله الناس في مآربهم، فهل يخفى على ذي عقل أنّ هذه كلّها ذخائر دُخرت للإنسان في هذه الأرض، ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة إليها، ثمّ قَصُرَت حيلة الناس عمّا حاولوا من صنعتها على حرصهم واجتهادهم في ذلك؛ فإنّهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لا محالة سيظهر، ويستفيض في العالم حتّى تكثر الفضّة والذهب، ويسقطا عند الناس، فلا تكون لهما قيمة، ويبطل الانتفاع بهما في الشراء والبيع

(١) في «د»: العاوية. وفي نسخة بدل من «ب»: الغاوية.

(٢) في «ج»: فيها. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٣) في «ن»: لضرب.

(٤) في «أ» «ن»: أُخر.

(٥) في جميع النسخ: والجبسين. والمثبت عن نسخة بدل من «ج».

(٦) في «أ» «ب» «ج» «د»: والزرانيخ.

(٧) في «أ» «ب» «ج» «د»: والقونيا. وفي نسخة بدل من «ب»: والقونيا. والمثبت عن نسخة

بدل من «ج».

والمعاملات، ولا كان يجبي السلطان الأموال، ولا يذخرها^(١) أحد للأعقاب، وقد أعطي الناس - مع هذا - صنعة الشَّبه من النحاس، والزجاج من الرمل، والفضة من الرصاص، والذهب من الفضة، وأشباه ذلك ممَّا لا مضرة فيه.

فانظر كيف أعطوا إرادتهم في ما لا ضرر^(٢) فيه، ومُنِعوا ذلك فيما كان ضاراً لهم لو نالوه، ومن أوغل في المعادن انتهى إلى واد عظيم يجري منصلتاً بماء غزير^(٣)، لا يدرك غوره، ولا حيلة في عبوره، ومن ورائه أمثال الجبال من الفضة.

تفكَّر الآن في هذا من تدبير الخالق الحكيم، فإنَّه أراد جلّ ثناؤه أن يرى^(٤) العباد قدرته^(٥)، وسعة^(٦) خزائنه، ليعلموا أنَّه لو شاء أن يمنحهم كالجبال من الفضة لفعل، لكن لا صلاح لهم في ذلك، لأنَّه لو كان فيكون^(٧) فيها - كما ذكرنا - سقوط هذا الجوهر عند الناس، وقلة انتفاعهم به.

واعتبر ذلك بأنَّه قد يظهر الشيء الطريف^(٨) ممَّا يحدثه الناس من الأواني والأمتعة، فما دام عزيزاً قليلاً فهو نفيسٌ جليل آخذ الثمن، فإذا فشا وكثر في أيدي الناس سقط عندهم وخسَّت قيمته، ونفاسةُ الأشياء من عزَّتْها.

(١) في «أ»: يذخرها. وفي «د»: يذخرهما.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: لا مضرة.

(٣) في «ن»: غزير.

(٤) في «ج»: يُرى.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «د»: يُقدرته. واستظهر في هامش «ب» ما أثبتناه.

(٦) في نسخة بدل من «ج»: وسعته.

(٧) في «ج»: لأنَّه كان يكون فيها.

(٨) في «ج» «ن»: الطريف. والمثبت عن «أ» «ب» «د» ونسخة بدل من «ج».

[النبات وما فيه من ضروب المآرب]

فَكَرَّ يا مَفْضَلُ في هذا النبات وما فيه من ضروب المآرب، فالثمارُ للغذاء، والأُتبانُ للعلف، والحطب للوقود، والخشب لكلِّ شيء من أنواع التجارة وغيرها، واللحاء والورق والأصول والعروق والصمغ لضروب من المنافع.

أرأيت لو كنّا نجد الثمار التي نغتذي^(١) بها مجموعةً على وجه الأرض، ولم تكن تنبت على هذه الأغصان الحاملة لها، كم كان يدخل علينا من الخلل في معاشنا، وإن كان الغذاء موجوداً فإنَّ المنافع بالخشب والحطب والأُتبان وسائر ما عددناه كثيرة عظيم^(٢) قدرها، جليل موقعها، هذا مع ما في النبات من التلذذ بحسن منظره ونضارته التي لا يعدلها شيء من مناظر العالم وملاهيهِ.

[الريع في النبات وسببه]

فَكَرَّ يا مَفْضَلُ في هذا الريع الذي جُعِل في الزرع، فصارت الحبة الواحدة تخلف^(٣) مائة حبة وأكثر وأقلّ، وكان يجوز (أن تكون الحبة)^(٤) تأتي بمثلها، فلم صارت تريع هذا الريع إلا ليكون في الغلة متّسع، لما يُرَدُّ في الأرض من البذر، وما يتقوّت الزرّاع إلى إدراك زرعها المستقبل.

ألا ترى أنّ الملك لو أراد عمارة بلد من البلدان كان السبيل في ذلك أن يعطي أهله ما يبذرونه في أرضهم وما يقوتهم إلى إدراك زرعهم.

(١) في «ج»: يُغتذى.

(٢) في «أ» «ب» «ج» «د»: عظيمة. وفي نسخة بدل استظهرت في «ب» كالمثبت.

(٣) في «ب»: تخلق.

(٤) في «ن»: للحبة أن.

فانظر كيف تجد هذا المثال قد تقدّم في تدبير الحكيم، فصار الزرع يريع هذا الريع ليفي بما يحتاج إليه للقوت والزراعة، وكذلك الشجر والنبت والنخل يريع الريع الكثير، فإنّك ترى الأصل الواحد حوله من فراخه أمراً عظيماً^(١)، فلم كان كذلك إلا ليكون فيه ما يقطعه الناس، ويستعملونه^(٢) في مآربهم، وما يردّ فيغرس في الأرض، ولو كان الأصل منه يبقى منفرداً لا يفرّخ ولا يريع لما أمكن أن يقطع منه شيء لعمل ولا لغرس، ثمّ كان إن أصابته آفة انقطع أصله، فلم يكن منه خلف.

[بعض النباتات وكيف تصان]

تأمل نبات هذه الحبوب من العدس والماش والبقلاء^(٣) وما أشبه ذلك، فإنّها تخرج في^(٤) أوعية مثل الخرائط لتصونها وتحجبها من الآفات إلى أن تشتدّ وتستحكم، كما قد تكون المشيمة على الجنين لهذا المعنى بعينه.

وأما^(٥) البرّ وما أشبهه فإنّه يخرج مُدْرِجاً في قشور صلاب على رؤوسها أمثال^(٦) الأسنة من السنبيل^(٧) ليمنع^(٨) الطير منه ليتوقّر على الزّراع. فإن قال قائل: أليس قد ينال الطير من البرّ والحبوب؟

(١) في «ب» «ج» «د»: أمرٌ عظيم. وفي نسختي بدل من «ب» «ج» كالمثبت.

(٢) في «أ»: فيستعملونه.

(٣) في «أ» «ج» «د»: الباقلي. وهما لغتان.

(٤) في «ج»: من. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «د»: فأما.

(٦) في «ب»: مثال.

(٧) في نسخة بدل من «ج»: النبل.

(٨) في «ج»: لئلا يمنع.

قيل له: بلى على هذا قُدِّرَ الأمر فيها، لأنَّ الطير خُلِقَ من خلق الله تعالى، وقد جعل الله تبارك وتعالى له في ما تخرج الأرض حظاً، ولكن حُصِّتِ^(١) المحبوب بهذه الحُجُبِ لئلاَّ^(٢) يتمكَّن الطير منها كلَّ التمكن فيعبت^(٣) فيها^(٤) ويفسد الفساد الفاحش، فإنَّ الطير لو صادف الحبَّ بارزاً ليس عليه شيء يحول دونه لأكبَّ عليه حتَّى ينسفه أصلاً، فكان يعرض من ذلك أن يبشم الطير فيموت، ويخرج الزَّرَّاع^(٥) من زرعه صفراً، فجعلت عليه هذه الوقايات لتصونه، فينال^(٦) الطائر^(٧) منه شيئاً يسيراً يتقوَّت به، ويبقى أكثره للإنسان، فإنَّه أولى به، إذ كان هو الذي كدح فيه وشقى به، وكان الذي يحتاج إليه أكثر ممَّا يحتاج إليه الطير.

[الحكمة في خلق الشجر وأصناف النبات]

تأمل الحكمة في خلق الشجر وأصناف النبات، فإنَّها لما كانت تحتاج إلى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان، ولم تكن لها أفواه كأفواه الحيوان ولا حركة تنبعث بها لتناول الغذاء، جُعِلَتْ أصولها مركوزة في الأرض لتزعم منها الغذاء^(٨) فتؤدِّيه إلى الأغصان وما عليها من الورق والثمر، فصارت الأرض كالأمِّ المريئة لها، وصارت

(١) في «ج»: حُصِّت.

(٢) في «ج»: لكيلا.

(٣) في نسخة بدل من «ج»: فيعنت.

(٤) في «ن»: بها.

(٥) في «ن»: الزارع. وفي «ج»: وتخرج الزَّرَّاع.

(٦) في «أ» و«ن»: وينال. وفي «ج»: فتناول، وفي نسخة بدل منها: وتناول.

(٧) في «د»: الطير.

(٨) في «ج»: غذاء.

أصولها - التي هي كالأنفواء - ملتقمة^(١) للأرض لتزغ منها الغذاء، كما ترضع أصناف الحيوان أمهاتها.

ألا ترى^(٢) إلى عُمد^(٣) الفساطيط والحيم كيف تمّد بالأطناب من كلّ جانب لتثبت منتصبّة فلا تسقط ولا تميل، فهكذا تجد النبات كلّ له عروق منتشرة في الأرض ممتدّة^(٤) إلى كلّ جانب لتمسكه وتقيمه، ولولا ذلك كيف كان تثبت^(٥) هذه^(٦) النخل الطوال والدوح العظام في الريح العاصف؟

فانظر إلى حكمة الخلقة^(٧) كيف سبقت حكمة الصناعة^(٨)، فصارت الحيلة التي يستعملها الصّناع في ثبات الفساطيط والحيم، متقدّمة في خلق الشجر، لأنّ خلق^(٩) الشجر قبل صنعة الفساطيط والحيم.. ألا ترى إلى^(١٠) عُمدّها وعيدانها من الشجر، فالصناعة مأخوذة من الخلقة.

[خلق الورق ووصفه]

تأمل يا مفضل خلق الورق، فإنّك ترى في الورقة شبه العروق مبثوثة فيها أجمع؛

(١) في «ج»: تلقمه. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «ج» «د» «ن»: ألم تر. والمثبت عن «أ» «ب» ونسخة بدل من «د».

(٣) في «أ»: عمل.

(٤) في «ج»: تمتد. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «أ» «ب» «د» «ن»: يثبت. وفي «ج»: تثبت.

(٦) في «أ» «ب» «د» «ن»: هذا.

(٧) في «ن»: الخالق.

(٨) في «ج»: الصانع.

(٩) في «ج»: خلقة.

(١٠) ليست في «ن».

فنها غلاظ ممتدّة في طولها وعرضها، ومنها دقاق تتخلّل تلك الغلاظ منسوجة نسجاً دقيقاً معجباً، لو كان ممّا يصنع بالأيدي كصنعة البشر لمّا فُرع من ورق شجرة واحدة في عام كامل، ولاحتيج إلى آلات^(١) وحركة وعلاج وكلام، فصار يأتي منه في أيّام قلائل من الربيع ما يملأ الجبال والسهل وبقاع الأرض كلّها بلا حركة ولا كلام، إلّا^(٢) بالإرادة النافذة في كلّ شيء والأمر^(٣) المطاع.

واعرف مع ذلك العلّة في تلك العروق الدقاق، فإنّها جعلت تتخلّل الورقة بأسرها، لتسقيها وتوصل الماء^(٤) إليها، بمنزلة العروق المبتوثة في البدن لتوصل الغذاء إلى كلّ جزء منه.

وفي الغلاظ منها معنى آخر، فإنّها تمسك الورقة بصلابتها ومتانتها، لئلاّ تنتهك^(٥) وتتمزّق، فترى الورقة شبيهة بورقة معمولة بالصنعة من خرق قد جعلت فيها عيدان ممدودة في طولها وعرضها لتماسك فلا تضطرب، فالصناعة تحكي الخلقة وإن كانت لا تدركها على الحقيقة.

[المعجّم والنوى والعلّة في خلقه]

فكّر في هذا المعجّم والنوى والعلّة فيه، فإنّه جُعِلَ في جوف الثمرة^(٦) ليقوم مقام

(١) في «أ» «ج» «د»: الآلات.

(٢) «إلا» ليست في «أ».

(٣) في نسخة بدل من «ج»: ومن الأمر.

(٤) في «ج» «د»: المادّة. وفي نسختي بدل منهما كالمثبت.

(٥) في «ب» «د»: تنتهك.

(٦) في «أ» «ب» «ج»: الثمرة. وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت.

الغرس إن عاق دون الغرس عائق، كما يحرز الشيء النفيس الذي تعظم الحاجة إليه في مواضع أخر، فإن حدث على الذي في بعض المواضع منه حادث وجد في موضع آخر، ثم هو بعد يمسك بصلابته رخاوة الثمار ورقتها، ولولا ذلك لتشدخت وتفسخت، وأسرع إليها^(١) الفساد، وبعضه يؤكل وبعضه^(٢) يستخرج دهنه، فيستعمل منه ضروب من المصالح، وقد^(٣) تبين لك موضع الأرب في العجم والنوى.

فكر الآن في هذا الذي تجده فوق النواة من الرطوبة، وفوق العجم من العنبة، فما العلة فيه؟ ولماذا يخرج في هذه الهيئة؟ وقد كان يمكن أن يكون مكان ذلك ما ليس فيه مأكّل كمثل ما يكون في^(٤) السرو^(٥) والدلب وما أشبه ذلك، فلم صار تخرج فوقه هذه المطاعم اللذيذة إلا ليستمتع بها الإنسان؟

[موت الشجر وتجدد حياته وما في ذلك من ضروب التدبير]

فكر في ضروب من التدبير في الشجر، فإنك تراه يموت في كلّ سنة موتة - فتحتبس الحرارة الغريزية في عوده، وتتولد فيه مواد الثمار - ثم يحيى فينشر^(٦)،

(١) في «أ» «ب» «ج» «د»: إليه.

(٢) كلمة «بعضه» ليست في «أ» «ب» «ج» «ن».

(٣) كذا في جميع النسخ، والأفضل «فقد».

(٤) في «د» ونسخة بدل من «ج»: من. وفي نسخة بدل من «د» كالمثبت.

(٥) في «ن»: السدر.

(٦) في «أ»: وتنشر. وفي «ب» «ج»: تحيا وتنشر. وفي «ن»: ويتنشر.

فيأتيك^(١) بهذه الفواكه نوعاً بعد نوع، كما تُقدّم إليك أنواع الأخبصة^(٢) التي تُعالج بالأيدي واحداً بعد واحد، فترى الأغصان في الشجر تتلّقاك^(٣) بثمارها حتّى كأنها تتاولكها عن يد، وترى الرياحين تتلّقاك^(٤) في أفنانها كأنها تحيئك^(٥) بأنفسها، فلمن هذا التقدير إلّا لمقدّر حكيم؟ وما العلّة فيه إلّا تفكيه^(٦) الإنسان بهذه الثمار والأنوار؟ والعجب من أناس جعلوا مكان الشكر على النعمة جحود المنعم بها.

[خلق الرّمانة وأثر العمد فيه]

اعتبر^(٧) بخلق الرّمانة وما ترى فيها من أثر العمد والتدبير، فإنّك ترى فيها كأمثال التلال - من شحم مركوم في نواحيها - وحبّاً مرصوفاً رصفاً^(٨) كنحو ما يُنضدُ بالأيدي، وترى الحبّ مقسوماً أقساماً، وكلّ قسم منها ملفوفاً^(٩) بلفائف من حُجُب منسوجة أعجب النسيج والطّفة، وقشره يضمّ ذلك كلّ.

فمن التدبير في هذه الصنعة أنّه لم^(١٠) يكن يجوز أن يكون حشو الرّمانة من الحبّ

(١) في «أ» «ب» «ج»: فتأتيك.

(٢) في «ب» «ن»: الأطبخة. والمثبت عن «أ» «ج» «د» ونسخة بدل من «ب».

(٣) في «ج»: تلّقاك. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) في «أ» «ب» «ج» «د»: تلّقاك.

(٥) في «د»: تحيئك.

(٦) في نسخة بدل من «ب»: تفكه.

(٧) في «ن»: واعتبر.

(٨) في «ن»: وحبّ مرصوف صفّاً.

(٩) في «أ» «ج» «د»: ملفوف.

(١٠) في «أ» «د»: أنّه لو لم يكن.

وحده، وذلك أَنَّ الحبَّ لَا يُمَدُّ بعضه بعضاً، فجُعِلَ ذلك الشحم خلال الحبِّ ليمدّه بالغذاء. ألا ترى أَنَّ أصول الحبِّ مركوزة في ذلك الشحم، ثُمَّ لُفَّ بتلك اللفائف لتضمّه وتمسكه فلا يضطرب، وغشي فوق ذلك بالقشرة المستحفة^(١) لتصونه وتحصنه من الآفات، فهذا قليل من كثير من وصف الرمانة، وفيه أكثر من هذا لمن أراد الإطناب والتذرع في الكلام، ولكن فيما ذكرت لك كفاية في الدلالة والاعتبار.

[حمل اليقطين وما فيه من التدبير والحكمة]

فكّر يا مفضّل في حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة من الدباء والقثاء والبطيخ وما في ذلك من التدبير والحكمة، فإنّه حين قدّر أن يحمل مثل هذه الثمار جُعِلَ نباته منبسطاً على الأرض، ولو كان ينتصب قائماً كما ينتصب^(٢) الزرع والشجر لما استطاع أن يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة، وَلَتَقَصَفَ^(٣) قبل إدراكها وانتهائها إلى غاياتها^(٤). فانظر كيف صار يمتدّ على وجه الأرض ليلقي عليها ثماره^(٥) فتحملها عنه، فترى الأصل من القرع والبطيخ مفترشاً للأرض^(٦)، وثماره مبنوثة عليها وحواليه كأنه هرّة ممتدّة^(٧)، وقد اكتنفتها جراؤها^(٨) لترضع منها.

(١) في «د»: المستحفة. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «أ» ونسختي بدل من «ج» «د»: «كانتصاب» بدل «كما ينتصب».

(٣) في «أ» «ب»: «وليتقصّف».

(٤) في «أ» «ب» «ن»: ونسخة بدل من «د»: غايتها.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «د»: ثمارها. وفي نسخة بدل من «ب» استظهرت في الهامش كالمثبت.

(٦) في «ج»: الأرض. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٧) ليست في «ج».

(٨) في «أ» «ب» «ج»: أجزاؤها. وقد أدخلت الألف في «ب» عن نسخة. وفي «د»: أجزاها.

[موافاة أصناف النبات في الوقت المشاكل لها]

وانظر كيف صارت الأصناف توافي في الوقت المشاكل لها من حمارة الصيف ووقدة الحرّ، فتلقاها^(١) النفوس بانشرح وتشوّق إليها، ولو كانت توافي في^(٢) الشتاء لوافقت من الناس كراهة لها واقشعراراً منها^(٣)، مع ما يكون فيها من المضرة للأبدان. ألا ترى أنّه ربّما أدرك شيء من الخيار في الشتاء، فيمتنع الناس من أكله إلا الشره الذي لا يمتنع من أكل ما يضرّه وتُسَوِّخَم مغبّته^(٤).

[في النخل وخلقة الجذع والخشب وفوائد ذلك]

فكرّ يا مفضّل في النخل، فإنّه لما صار فيه إناث تحتاج إلى التلقيح جعلت فيه ذكورة للّقاح من غير غراس، فصار الذكر من النخل بمنزلة الذكّر من الحيوان الذي يلّقح الإناث لتحمل وهو لا يحمل.

تأمل خلقة الجذع كيف هو؟ فإنّك تراه كالمنسوج نسجاً من^(٥) خيوط ممدودة كالسدى وأخرى معه^(٦) معترضة كاللحمة - كنحو ما ينسج بالأيدي - وذلك ليشدّ

(١) في «أ»: فتلقّوها. والظاهر أنّها فتلقّاها.

(٢) ليست في «ن».

(٣) ليست في «د».

(٤) في «ج»: ويستوخم مغيبه. وفي نسخة بدل منها: ويستوخم معدته. وفي «ن»: ويسقم معدته.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «د»: من غير خيوط. وفي نسخة بدل من «ب» استظهرت في الهامش كالمثبت.

(٦) ليست في «أ».

ويصلب ولا يتقصّف^(١) من حمل القنوان الثقيلة وهزّ الرياح العواصف إذا صار نخلة، وليتهدّ للسقوف والجسور وغير ذلك ممّا يتّخذ منه إذا صار جذعاً.

وكذلك ترى الخشب مثل النسيج^(٢)؛ فإنّك ترى بعضه مداخلاً بعضاً طويلاً وعرضاً كدخال أجزاء اللحم، وفيه مع ذلك متانة ليصلح لما يتّخذ منه من الآلات؛ فإنّه لو كان مستحصفاً كالحجارة لم يمكن^(٣) أن يستعمل في السقوف وغير ذلك ممّا يستعمل فيه الخشب كالأبواب والأسرة والتوابيت وما أشبه ذلك.

ومن جسيم المصالح في الخشب أنّه يطفو على الماء، فكلّ^(٤) الناس يعرف هذا منه، وليس كلّهم يعرف جلالة الأمر فيه، فلولا هذه الخلّة كيف كانت هذه السفن والأطواف^(٥) تحمل أمثال الجبال من الحمولة، وأنّى كان ينال الناس هذا الرفق^(٦) وخفة المؤونة في حمل التجارات من بلد إلى بلد، و^(٧) كانت تعظم المؤونة عليهم في حملها حتّى يُلَقَى كثير ممّا يحتاج إليه في بعض البلدان مفقوداً أصلاً أو عسيراً وجوده.

[العقاير واختصاص كلّ منها]

فكّر^(٨) في هذه العقائير وما خُصّ بها كلّ واحد منها من العمل في بعض الأدواء،

(١) في «أ» «ب»: ينقصف.

(٢) في «أ» «ب» «د» «ن»: النسيج.

(٣) في «ج»: يكن. وفي نسخة بدل منها كالمثبت. وفي نسخة بدل من «ب»: لم يكن ليستعمل.

(٤) في «د»: وكلّ.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «د» «ن»: والأطراف. وفي «د»: والأطراف. والمثبت عن نسخة بدل من «ج».

(٦) في نسخة بدل من «ب»: الوق.

(٧) الواو ليست في «أ» «د». واستظهر دخولها في «ب».

(٨) في «أ»: وفكّر.

فهذا يغور في المفاصل فيستخرج الفضول الغليظة مثل الشيطرج، وهذا ينزف المرّة السوداء مثل الافتيمون، وهذا ينفي الرياح مثل السكينج، وهذا يحلل الأورام، وأشياء هذا من أفعالها، فمن جعل هذه القوى فيها إلّا من خلقها للمنفعة؟ ومن فطنّ الناس لها^(١) إلّا من جعل هذا فيها؟ ومتى كان يوقف على هذا منها بالعرض والاتفاق كما قال قائلون^(٢)؟

وهب الإنسان فطن لهذه الأشياء بذهنه ولطيف روّيته^(٣) وتجاربه، فالبهاثم كيف فطنت لها حتّى صار بعض السباع يتداوى من جراحة^(٤) إن أصابته ببعض العقاقير فيبرأ، وبعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم، وأشياء هذا كثير. ولعلّك تشكّك^(٥) في هذا النبات النابت في الصحاري والبراري حيث لا إنس ولا أنيس، فتظنّ أنّه فضل لا حاجة إليه، وليس كذلك، بل هو طعم لهذه الوحوش، وحبّة علف للطير، وعوده وأفنائه حطب، فيستعمله الناس، وفيه بعدُ أشياء تعالج بها^(٦) الأبدان، وأخرى تدبغ بها الجلود، وأخرى تصبغ بها^(٧) الأمتعة، وأشياء هذا من المصالح.

(١) في «أ» «ب» ونسخة بدل من «ج»: بها. وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت، وفي نسخة بدل أخرى منها: بهما.

(٢) في «ن»: القائلون.

(٣) في «ب»: روّيته.

(٤) في «ب» «د» «ن»: جراحه.

(٥) في نسخة بدل من «ج»: تشكّل.

(٦) في «أ» «ب» «ج» «د»: به. وكذلك المورد الذي بعده.

(٧) في «أ» «ب» «ج» «د»: به. وهي ليست في «ن». والمثبت من عندنا أخذاً من النسخ الأربع المذكورة.

ألست تعلم أنّ من أخسّ النبات وأحقّره هذا البردي وما أشبهه^(١)، ففيه^(٢) مع هذا من ضروب المنافع، فقد تتخذ من البردي القراطيس التي يحتاج إليها^(٣) الملوك والسوقة، والحضّر التي يستعملها كلّ صنف من الناس، وتعمل^(٤) منه الغلف التي تُوقى بها الأواني، ويجعل حشواً بين الظروف في الأسفاط^(٥)، لكيلا تعيب وتنكسر، وأشياء هذا من المنافع. فاعتبر بما ترى من ضروب المآرب في صغير الخلق وكبيره، وبما له قيمة وما لا قيمة له.

وأخسّ من هذا وأحقّره الزبل والعذرة التي اجتمعت فيها الخساسة والنجاسة معاً، وموقعها من الزروع والبقول والخضر أجمع الموقع الذي لا يعدله شيء، حتّى أنّ كلّ شيء من الخضر لا يصلح ولا يزكو إلّا بالزبل والسماد الذي يستقذره الناس، ويكرهون الدنوّ منه.

واعلم أنّه ليس منزلة الشيء على حسب قيمته، بل هما قيمتان مختلفتان بسوقين، وربّما كان الخسيس في سوق المكتسب نفيساً في سوق العلم، فلا تستصغر العبرة في الشيء لصغر^(٦) قيمته، فلو فطن^(٧) طائّبا الكيمياء لما في العذرة لاشتروها بأنفس الأثمان وغالوا بها.

(١) في جميع النسخ: وما أشبهها. والمثبت عن نسختي بدل من «ب» «ج».

(٢) في جميع النسخ: ففيها. والمثبت من عندنا.

(٣) في نسخة بدل من «ج»: إليه.

(٤) في «أ» «ب» «ج» «د»: وليعمل.

(٥) في «ب» «ج»: الأسباط. وفي نسختي بدل منهما كالمثبت.

(٦) في «ج»: بصغر.

(٧) في «ب» «ج» «د»: فطنوا. وهي لغة «أكلوني البراغيث».

قال المفضل: وحان وقت الزوال، فقام مولاي إلى الصلاة وقال^(١): بَكَّرْ إِلَيَّ غَدًا
 إن شاء الله تعالى، فانصرفْتُ وقد تضاعف سروري بما عرَّفَنِيهِ، مبتهجاً بما آتَانِيهِ،
 حامداً لله على ما منحنِيهِ، فبِتُّ لَيْلَتِي مسروراً.

(١) في «ج»: فقال.

المجلس الرابع

قال المفضل: فلما كان اليوم الرابع بكرت إلى مولاي فاستؤذن لي، فأمرني بالجلوس فجلست، فقال ﷺ: منّا التحميد والتسبيح والتعظيم والتقدیس، للاسم الأقدم^(١)، والنور الأعظم، العليّ العلام، ذي الجلال والإكرام، ومنشئ الأنام، ومفني^(٢) العوالم والدهور، وصاحب السرّ المستور، والغيب المحطور، والاسم المخزون، والعلم المكنون، وصلواته وبركاته على مبلغ وحیه، ومؤدّي رسالته، الذي ابتعثه^(٣) بشيراً ونذيراً ﴿وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾^(٤)، ﴿يَهْلِكُ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^(٥) فعليه وعلى آله من بارئه الصلوات الطيّبات،

(١) في «د» ونسخة بدل من «ب»: الأقدس.

(٢) في «ج» ونسخة بدل من «ب»: ومغني. وفي نسختي بدل من «ب» «ج»: ومضيء. وفي نسخة بدل أخرى من «ج» كالمثبت.

(٣) في «ن»: بعثه.

(٤) الأحزاب: ٤٦.

(٥) الأنفال: ٤٢.

والتحيّات الزاكيّات الناميات، وعليه وعليهم السلام والرحمة والبركات في الماضي والغابرين، أبد الآبدين، ودهر الداهرين، وهم أهله ومستحقّوه^(١).

[الموت والفناء وانتقاد الجهال وجواب ذلك]

قد شرحت لك يا مفضّل من الأدلّة على الخلق، والشواهد على صواب التدبير والعمد في الإنسان والحيوان والنبات والشجر وغير ذلك ما فيه عبرة لمن اعتبر، وأنا أشرح لك الآن الآفات الحادثة في بعض الأزمان التي اتخذها أناس من الجهال ذريعةً إلى جحود الخلق والخالق والعمد^(٢) والتدبير، وما أنكرت المعطلة والمنانية^(٣) من المكار والمصائب، وما أنكروه من الموت والفناء، وما قاله أصحاب الطبائع، ومن زعم أنّ كون الأشياء بالعرض والاتفاق، ليتّسع^(٤) ذلك^(٥) القول في الرد^(٦) عليهم ﴿قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَتَى يُؤَفِّكُونَ﴾^(٧).

[الآفات ونظر الجهال إليها والجواب على ذلك]

اتخذ أناس من الجهال هذه الآفات الحادثة في بعض الأزمان - كمثل الوباء^(٨)

(١) في «أ» «ب» «د»: ونسخة بدل من «ج»: ومستحقه.

(٢) في نسخة بدل من «ب»: والعمل.

(٣) استظهر في هامش «ب» أنّها: والمانوية.

(٤) في «ج»: ليسع. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) استظهر في «ب» أنّها: لك.

(٦) في «د»: بالرد.

(٧) التوبة: ٣٠، المنافقون: ٤.

(٨) في «د»: «كالوباء» بدل «كمثل الوباء»، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

واليرقان والبرد والجراد - ذريعة إلى جحود الخلق^(١) والتدبير والخالق^(٢).
فيقال في جواب ذلك: إنّه إن لم يكن خالق ومدبّر فلم لا يكون ما هو أكثر من
هذا وأفظع؟ فن ذلك أن تسقط السماء على الأرض، و^(٣)تهوي الأرض فتذهب
سفلاً، وتتخلّف الشمس عن الطلوع أصلاً، وتجفّ الأنهار والعيون حتّى لا يوجد
ماء للشفة، وتركذ الريح، حتّى تخم^(٤) الأشياء وتفسد، ويفيض ماء البحر على
الأرض فيغرقها.

ثمّ هذه الآفات - التي ذكرناها^(٥) من الوباء والجراد وما أشبه ذلك - ما باها لا
تدوم وتمتدّ، حتّى تجتاح^(٦) كلّ ما في العالم، بل تحدث في الأحياء، ثمّ لا تلبث أن
ترفع، أفلا ترى أنّ العالم يسان ويحفظ من تلك الأحداث الجليلة التي لو حدث
عليه شيء منها كان فيه بواره، ويُلذّع^(٧) أحياناً بهذه الآفات اليسيرة لتأديب
الناس وتقويمهم، ثمّ لا تدوم هذه الآفات بل تكشف^(٨) عنهم عند القنوط منهم،
فيكون وقوعها بهم موعظة وكشفها عنهم رحمة.

وقد أنكرت (المعطّلة ما أنكرت)^(٩) المنانية^(١٠) من المكاره والمصائب التي

(١) في «ن»: الخالق.

(٢) في «ن»: والخلق.

(٣) في «أ»: أو تهوي.

(٤) في «أ»: «ب»: تحمّ.

(٥) في «د»: «ذكرنا» بدل «ذكرناها».

(٦) في «ب»: ونسخة بدل من «ج»: يجتاح. وفي متن «ج»: يحتاج.

(٧) في «ج»: وتلذّع. وفي «د»: ونسخة بدل من «ب»: ويُلذّع.

(٨) في «أ»: «ب»: ونسخة بدل من «ج»: كشف. وفي «د»: بل يعتبهم عند القنوط.

(٩) ليست في «ن».

(١٠) استظهر في هامش «ب» أنّها: المانوية.

تصيب الناس، فكلاهما يقول: إن كان للعالم خالق رؤوف رحيم، فلم يُحدث^(١) فيه هذه الأمور المكروهة.. والقائل بهذا القول يذهب به^(٢) إلى أنه ينبغي أن يكون عيش الإنسان في هذه الدنيا صافياً من كلّ كدر، ولو كان هكذا كان الإنسان سيخرج^(٣) من الأثر والعتوّ إلى ما لا يصلح في دين ولا دنيا^(٤) كالذي ترى كثيراً من المترفين ومن نشأ في الجدة والأمن، يخرجون إليه، حتّى أن أحدهم ينسى أنّه بشر، أو أنّه مربوب أو أنّ ضرراً يمسه، أو أنّ مكروهاً ينزل به، أو أنّه يجب عليه أن يرحم ضعيفاً، أو يواسي فقيراً، أو يربي لمبتلى، أو يتحنّن على ضعيف، أو يتعطف على مكروب، فإذا عضّته المكاره ووجد مضضها اتّظ وأبصر كثيراً ممّا كان جهله وغفل عنه، ورجع إلى كثير ممّا كان يجب عليه.

والمنكرون لهذه الأمور المؤذية بمنزلة الصبيان الذين يذمّون الأدوية المرّة البشعة، ويتسخطّون من المنع من الأطعمة الضارّة، ويتكرّهون الأدب^(٥) والعمل، ويحبّون أن يتفرّغوا للهو والبطالة، وينالوا كلّ مطعم ومشرب، ولا يعرفون ما تؤدّبهم إليه البطالة من سوء النشوء والعادة، وما تعقبهم الأطعمة اللذيذة الضارّة^(٦) من الأدواء والأسقام، وما لهم في الأدب^(٧) من الصلاح، وفي الأدوية من المنفعة، وإن شاب ذلك بعض الكراهة.

(١) في «ب»: يحدث ذلك فيه. وفي «ن»: تحدث.

(٢) ليست في «أ» «ج» «د» «ن».

(٣) في «ن»: يخرج.

(٤) في «ب»: دين ودنيا.

(٥) في «ج»: الأرب. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) ليست في «أ».

(٧) في نسخة بدل من «ج»: الأرب.

فإن قالوا: ولم^(١) لم يكن الإنسان معصوماً من المساوي حتى لا يحتاج إلى أن يلدغه بهذه^(٢) المكارة؟

قيل: إذا كان يكون غير محمود على حسنة يأتيها، ولا مستحقاً للثواب عليها. فإن قالوا: وما كان يضّرّه أن لا يكون محموداً على الحسنات مستحقاً للثواب، بعد أن يصير إلى غاية النعيم واللذات^(٣)؟

قيل لهم: اعرضوا على امرئ صحيح الجسم والعقل أن يجلس متعباً ويكفي كلّ ما يحتاج إليه بلا سعي ولا استحقاق، فانظروا^(٤) هل تقبل نفسه ذلك؟! بل ستجدونه بالقليل ممّا يناله بالسعي والحركة أشدّ اغتباطاً وسروراً منه بالكثير ممّا يناله بغير استحقاق^(٥)، وكذلك نعيم الآخرة أيضاً يكمل لأهله بأن ينالوه بالسعي فيه والاستحقاق له فالنعمة^(٦) على الإنسان في هذا الباب مضاعفة، بأن^(٧) أعدّ له الثواب الجزيل على سعيه في هذه الدنيا وجعل^(٨) له السبيل إلى أن ينال ذلك^(٩) بسعي واستحقاق فيكمل له^(١٠) السرور والاغتيال بما يناله منه.

(١) في «ن»: قَلِمَ.

(٢) في «ج» «د» ونسخة بدل من «ب»: يلدغه بهذه. وفي «ن»: تلذغه هذه.

(٣) في «أ» «ب» «ج» «د»: واللذة.

(٤) في «أ» «ب» «ج» «د»: فانظر.

(٥) في «ب»: الاستحقاق.

(٦) في «د»: والنعمة.

(٧) في جميع النسخ: فإن. والمثبت عن استظهار في «ب».

(٨) في «د»: فجعل.

(٩) ليست في «ب».

(١٠) ليست في «ب».

فإن قالوا: أوليس قد يكون من الناس من يركن إلى ما نال من خير وإن كان لا يستحقّه، فما الحجّة في منع من رضي أن ينال نعيم الآخرة على هذه ^(١) الجملة ^(٢)؟
 قيل لهم: إنّ هذا باب لو صحّ للناس لخرجوا إلى غاية الكلّب ^(٣) والضاوّة على الفواحش ^(٤)، وانتهاك المحارم، فمن كان يكفّ نفسه عن فاحشة أو يتحمّل المشقّة في باب من أبواب البرّ لو وثق بأنّه صائر إلى النعيم لا محالة، أو من كان يأمن على نفسه وأهله وماله من الناس لو لم يخافوا الحساب والعقاب، فكان ضررُ هذا الباب سينال الناس في هذه الدنيا قبل الآخرة، فيكون في ذلك تعطيل العدل والحكمة معاً، وموضع للطعن ^(٥) على التدبير بخلاف الصواب، ووضع الأمور في غير مواضعها.

[لماذا تصيب الآفات جميع الناس وما الحجّة في ذلك ؟]

وقد ^(٦) يتعلّق هؤلاء بالآفات التي تصيب الناس فتعمّ البرّ والفاجر، أو ^(٧) يتلى بها البرّ ويسلم الفاجر منها، فقالوا: كيف يجوز هذا في تدبير الحكيم، وما الحجّة فيه؟

فيقال لهم: إنّ هذه الآفات وإن كانت تنال الصالح والطالح جميعاً، فإنّ الله عزّ

(١) ليست في «د».

(٢) في نسخة بدل من «ب»: الخلّة.

(٣) في «ج»: الكلّبة.

(٤) قوله «على الفواحش» ليس في «د».

(٥) في «د»: الطعن.

(٦) «قد» ليست في «ب».

(٧) في «أ» «د»: ويبتلى. وفي «ج»: ويبتلى به.

وجلّ جعل ذلك صلاحاً للصنفين كليهما؛ أمّا الصالحون فإنّ الذي يصيهم من هذا يذكرهم^(١) نعم ربهم عندهم في سالف أيّامهم، فيحدوهم ذلك على الشكر والصبر، وأمّا الطالحون فإنّ مثل هذا إذا نالهم كسر شرّتهم وردعهم عن المعاصي والفواحش.

وكذلك يجعل لمن سلم منها^(٢) من الصنفين صلاحاً في ذلك، أمّا الأبرار فإنّهم يفتبطون بما هم عليه من البرّ والصلاح ويزدادون فيه رغبة وبصيرة، وأمّا الفجّار فإنّهم يعرفون رافة^(٣) ربهم، وتطوّله عليهم بالسلامة من غير استحقاق، فيحضّهم ذلك على الرافة بالناس، والصفح عنّ أساء إليهم.

ولعلّ قائلًا يقول: إنّ هذه الآفات التي تصيب الناس في أموالمهم، فما قولك فيما يُبتَلون به في أبدانهم فيكون فيه^(٤) تلفهم كمثل الحرق والغرق والسيّل والخسف؟ فيقال له: إنّ الله جعل^(٥) في هذا أيضاً صلاحاً للصنفين جميعاً؛ أمّا الأبرار فلما لهم في مفارقة هذه الدنيا من الراحة من تكاليفها، والنجاة من مكارهها، وأمّا الفجّار فلما لهم في ذلك من تمحيص أوزارهم، وحبسهم عن الازدياد منها.

وجملة القول: إنّ الخالق تعالى ذكره بحكمته وقدرته قد يصرف هذه الأمور كلّها إلى الخير^(٦) والمنفعة، فكما أنّه إذا قطعت الريح شجرةً أو قطعت نخلةً، أخذها الصانع

(١) في «أ» «ب»: يردّهم. وفي «ج» «ن»: يزدهم. وفي «د»: يزيدهم. وفي نسخة بدل من «ج»: بردهم. والمثبت عن نسخة بدل من «ب».

(٢) في «ب» «ج» «د» «ن»: منهم. والمثبت عن «أ» ونسختي بدل من «ب» «ج» «د».

(٣) في نسخة بدل من «ب»: رحمة.

(٤) في «أ» «ب» «د»: «في» بدل «فيه»، وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت.

(٥) في «ج»: يجعل.

(٦) في «أ» «ب» «ج» «د»: الخيرة. وكذا المورد الذي بعده.

الرفيق^(١) واستعملها في ضروب من المنافع، فكذلك يفعل المدير الحكيم في الآفات التي تنزل بالناس في أبدانهم وأموالهم، فيصيرها جميعاً إلى الخير والمنفعة.

فإن قال قائل^(٢): ولم تحدث^(٣) على الناس؟

قيل له: لكيلا يركنوا إلى المعاصي من طول السلامة فيبالغ القاسر في ركوب المعاصي، ويقتر الصالح عن الاجتهاد في البرّ، فإن هذين الأمرين جميعاً يطلبان على الناس في حال الحفظ والدعة، وهذه الحوادث التي تحدث عليهم تردعهم^(٤) وتنبههم على ما فيه رشدهم، فلو أخلوا^(٥) منها لعلوا في الطغيان والمصيبة، كما غلا الناس في أول الزمان، حتى وجب عليهم البوار بالطوفان وتطهير الأرض منهم.

[الموت والقضاء وانتقاد الجهال وجواب ذلك]

وبما ينتقده^(٦) المجاهدون للعبد والتقدير الموت والقضاء: فإنهم يذهبون إلى أنه ينبغي أن يكون الناس مخلّدين^(٧) في هذه الدنيا، مبرّئين من^(٨) الآفات، فينبغي أن يساق هذا الأمر إلى غايته، فينظر ما محصوله.

(١) في ج: د: ه: الرقيق. وفي نسخة بدل من د: ه: الدقيق.

(٢) ليست في أ: ب: د: ه:.

(٣) في ب: د: ه: ولم لا يحدث. وأدخلت ولاء في متن ب: ه: عن نسخة. وفي ج: ه: ولم لا تحدث.

(٤) في نسخة بدل من ب: ه: تردعهم.

(٥) في د: ه: خلّوا.

(٦) في أ: ب: ج: د: ه: يعتقد.

(٧) في د: ه: مخلّين.

(٨) في د: ه: من هذه الآفات.

أفرايت لو كان كل من دخل العالم ويدخله يبقون، ولا يموت أحد منهم، ألم تكن الأرض تضيق بهم حتى تُغَوِّزُهُم المساكين والمزارع والمعاش^(١)، فإنهم - والموت يفنيهم أولاً فأولاً^(٢) - يتنافسون في المساكين والمزارع، حتى تنشب بينهم في ذلك الحروب، وتسفك فيهم الدماء، فكيف كانت تكون حالهم لو كانوا يولدون ولا يموتون، وكان يغلب عليهم الحرص والشره، وقساوة القلوب^(٣)، فلو وثقوا بأنهم لا يموتون لما قنع الواحد منهم بشيء يناله، ولا أفرج لأحد عن شيء يسأله، ولا سلاً^(٤) عن شيء مما يحدث عليه، ثم كانوا يملّون الحياة وكل شيء من أمور الدنيا كما قد يملّ الحياة من طال عمره، حتى يتمنى الموت والراحة من الدنيا.

فإن قالوا: إنه كان ينبغي أن يرفع عنهم المكارِه والأوصاب حتى لا يتمنوا الموت ولا يشاققوا إليه، فقد وصفنا ما كان يخرجهم إليه من العتوّ والأثر الحامل لهم على ما فيه فساد الدنيا والدين.

وإن قالوا: إنه كان ينبغي أن لا يتوالدوا كيلا تضيق عنهم^(٥) المساكين والمعاش^(٦).

قيل لهم: إذا كان يُحرّم أكثر هذا الخلق دخول العالم والاستمتاع بنعم الله تعالى ومواهبه في الدارين جميعاً، إذا لم يدخل العالم إلا قرن واحد، لا يتوالدون ولا

(١) في «أ» «ب» «ج» «د»: والمعاش. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٢) في «ب» «ج»: أولاً أولاً. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٣) في «ج»: القلب. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) في «ب»: ولا سلاً. وفي نسخة مصححة منها كالمثبت. وفي نسخة بدل من «ج»: ولا بسل.

(٥) في «د»: عليهم.

(٦) في «أ» «ب» «ج» «د»: والمعاش.

يتناسلون.

فإن قالوا: كان يخلق^(١) في ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق ويخلق إلى انقضاء العالم.

يقال لهم: رجع الأمر إلى ما ذكرنا من ضيق المساكن والمعاش^(٢) عنهم، ثم لو كانوا لا يتوالدون ولا يتناسلون لذهب موضع الأنس بالقربات وذوي الأرحام والانتصار بهم عند الشدائد، وموضع تربية الأولاد والسرور بهم، ففي هذا دليل على أن كُلَّ ما تذهب إليه الأوهام - سوى ما جرى به التدبير - خطأ وسفاهة^(٣) من الرأي والقول.

[الطعن على التدبير من جهة أخرى والجواب عليه]

ولعل طاعناً يظن على التدبير من جهة أخرى فيقول: كيف يكون هاهنا تدبير، ونحن نرى الناس في هذه الدنيا من عزٍّ بَرٍّ^(٤)، فالقوي يظلم ويغصب^(٥)، والضعيف يُظلم ويُسام^(٦) الخسف، والصالح فقير مبتلى، والفاسق معافي^(٧) مَوْسَع عليه، ومن ركب فاحشة أو انتهك محرماً لم يعاجل بالعقوبة، فلو كان في العالم تدبير لجررت

(١) في «ن»: فإن قالوا إنه كان ينبغي أن يخلق.

(٢) في «ب»: والمعاش.

(٣) في «ن»: وسفه.

(٤) في نسخة بدل من «ب»: من عزيز وذليل فالقوي. وفي نسخة بدل من «ج»: من غير برٍّ.

(٥) في «أ»: ويغضب.

(٦) في «ن»: ويسالم.

(٧) في «أ» «د»: مُعَافٍ.

الأُمُور على القياس القائم، فكان الصالح هو المرزوق، والطالح هو المحروم، وكان القويُّ يُمتنع من ظلم الضعيف، والمنتَهك للمحارم يعاجل بالعقوبة.

فيقال^(١) في جواب ذلك: إنّ هذا لو كان هكذا لذهب موضع الإحسان الذي فُضِّلَ به الإنسان على غيره من الخلق، وحمل النفس على البرِّ والعمل الصالح احتساباً للثواب، وثقة بما وعد الله منه^(٢)، ولصار الناس بمنزلة الدوابِّ التي تُسأسُ بالعصا والعلف، ويُلتمَع لها بكلِّ واحد منها ساعة فساعة فتستقيم على ذلك، ولم يكن أحد يعمل على يقين بثواب أو عقاب، حتّى كان هذا يخرجهم عن حدِّ الإنسيّة إلى حدِّ البهائم، ثم لا يعرف ما غاب، ولا يعمل إلّا على الحاضر من نعيم الدنيا^(٣)، وكان يحدث من هذا أيضاً أن يكون الصالح إنّما يعمل الصالحات^(٤) للرزق والسعة في هذه الدنيا، ويكون الممتنع من الظلم والفواحش إنّما يعفّ^(٥) عن ذلك لترقُبِ عقوبةٍ تنزل به من ساعته، حتّى تكون أفعال الناس كلّها تجري على الحاضر لا يشوبها^(٦) شيء من اليقين بما عند الله، ولا يستحقّون^(٧) ثواب الآخرة والنعيم الدائم فيها، مع أنّ هذه الأُمُور التي ذكرها الطاعن من الغنى والفقر^(٨) والعافية والبلاء ليست بجارية على خلاف قياسه، بل قد تجري على ذلك أحياناً والأمر المفهوم.

(١) في «د»: يقال.

(٢) في «ن»: عنه.

(٣) قوله «من نعيم الدنيا» ليس في «أ» «ب» «ج» «د».

(٤) ليست في «ن».

(٥) في «ن»: يكفّ.

(٦) في «د»: والآ يشوبها. وفي «ن»: لا يشوبه.

(٧) في «ج»: ولا يستحقّوا. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٨) في «ج»: الغنيّ والفقير.

فقد ترى كثيراً من الصالحين يُرزقون المال لضروب من التدبير، وكيلا يسبق إلى قلوب الناس أن الكفار هم المرزوقون، والأبرار هم المحرومون، فيؤثرون الفسق على الصلاح، وترى كثيراً من الفساق يُعاجلون بالعقوبة إذا تفاقم طغيانهم وعظم ضررهم على الناس وعلى أنفسهم كما عوجل فرعون بالفرق، وبخت نصر بالتيه، وبليس^(١) بالقتل، وإن أمهل بعض الأشرار بالعقوبة، وأخر بعض الأخيار بالثواب إلى الدار^(٢) الآخرة لأسباب تخفى على العباد^(٣) لم يكن هذا مما يبطل التدبير، فإن مثل هذا قد يكون من ملوك الأرض ولا يبطل تدبيرهم، بل يكون تأخيرهم ما أخره، أو^(٤) تعجيلهم ما عجلوه داخلًا في صواب الرأي والتدبير، وإذا كانت الشواهد تشهد، وقياسهم يوجب أن للأشياء خالقاً حكماً قادراً، فما يمنعه أن يدبر خلقه؟ فإنه لا يصح^(٥) في قياسهم أن يكون الصانع يهمل صنعه إلا بإحدى ثلاث خلال: إما عجز وإما جهل وإما شرارة، وكل هذه^(٦) محال في صنعه عز وجل وتعالى ذكره.

وذلك أن العاجز لا يستطيع أن يأتي بهذه^(٧) الخلائق الجليلة العجيبة، والجاهل لا يهتدي لما فيها^(٨) من الصواب والحكمة، والشرير لا يتناول لخلقها وإنشائها،

(١) في «أ»: بُلَيْيْس. وشرحت في الهامش: اسم ملك هذا البلد سمي باسم البلد. وفي «د»: ويلبس بالقتل.

(٢) في «د»: دار.

(٣) في هامش «ب»: على الناس. صح.

(٤) في «ن»: وتعجيلهم.

(٥) في «ن»: لا يصلح.

(٦) في «ن»: هذا.

(٧) في «ب» «ج» «د»: هذه. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٨) في «ج»: فيه. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

وإذا كان هذا هكذا وجب أن يكون الخالق لهذه الخلائق يدبرها لا محالة، وإن كان لا يُدرك^(١) كنه ذلك التدبير ومخارجه، فإن كثيراً من تدبير الملوك لا تفهمه العامة ولا تعرف أسبابه، لأنها لا تعرف دُخلة^(٢) أمر الملوك وأسرارهم، فإذا عُرف سببه وجد قائماً على الصواب، والشاهدُ المحنة^(٣).

ولو شككت في بعض الأدوية والأطعمة فتبين^(٤) لك من جهتين أو ثلاث أنه حارٌّ أو بارد، ألم تكن ستقضي عليه بذلك وتنفي الشك فيه عن نفسك؟ فما بال هؤلاء الجهلة لا يقضون على العالم بالخلق^(٥) والتدبير مع هذه الشواهد الكثيرة وأكثر منها ما لا يحصى كثرةً، و^(٦) لو كان نصف العالم وما فيه مشكلاً صوابه لما كان من حزم الرأي وسمت^(٧) الأدب أن يقضى على العالم بالإهمال؛ لأنه كان في النصف الآخر وما يظهر فيه من الصواب والإتقان^(٨) ما يردع الوهم عن التسرع إلى^(٩) هذه القضية، فكيف وكلُّ ما فيه إذا فُتِّش وُجِدَ على غايه الصواب حتى لا يخطر بالبال شيء إلا وجد ما عليه الخلقة أصحَّ وأصوب منه.

(١) في نسخة بدل من «ج»: «د».

(٢) في «ن»: دخيلة.

(٣) في «أ» «ب» «ج» «د»: والشاهد والمحنة. وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت. وهي التي شرحها المجلسي في بيانه.

(٤) في «ب» «ن»: فيتبين. وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «د»: بالخالق.

(٦) الواو ليست في «ب» «د».

(٧) في «أ» «ج» «د»: وبسمة.

(٨) في «ن»: وإتقان.

(٩) في «ج»: عن الشروع في هذه القضية. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

[اسم هذا العالم بلسان اليونانية]

واعلم يا مفضل أن^(١) اسم هذا العالم بلسان اليونانية الجاري المعروف عندهم «قوسموس»^(٢) وتفسيره «الزينة» وكذلك سمّته الفلاسفة ومن ادّعى الحكمة، أفكانوا^(٣) يسمّونه بهذا الاسم إلّا لما رأوا فيه من التقدير والنظام؟! فلم يرضوا أن يسمّوه تقديرًا ونظامًا حتّى سمّوه زينة، ليخبروا أنّه مع ما هو^(٤) عليه من الصواب والإتقان، على غاية الحسن والبهاء.

[عمى ماني عن دلائل الحكمة وادّعاؤه علم الأسرار]

أعجب يا مفضل من قوم لا يقضون على صناعة الطبّ بالخطأ، وهم يرون الطبيب يخطئ، ويقضون على العالم بالإهمال، ولا يرون شيئاً منه مهملاً، بل أعجب من أخلاق من ادّعى الحكمة، حتّى جهلوا مواضعها في الخلق، فأرسلوا ألسنتهم بالذمّ للخالق جلّ وعلا.. بل العجب من المخذول «ماني»^(٥) حين ادّعى علم الأسرار وعمّي عن^(٦) دلائل الحكمة في الخلق حتّى نسبته إلى الخطأ ونسب خالقه إلى الجهل تبارك الحكيم^(٧) الكريم.

(١) أدخلت في «ج» عن نسخة.

(٢) في «د» ونسخة بدل من «ب»: فرسموس. وفي نسخة بدل من «ج»: قوسموس.

(٣) في «ن»: أفكانا.

(٤) أدخلت في «ج» عن نسخة.

(٥) ليست في «ج».

(٦) في «د»: عن ذكر دلائل.

(٧) في «ب»: الحليم.

[انتقاد المعطلة فيما راموا أن يدركوا بالحس ما لا يدرك بالعقل]

وأعجبُ منهم جميعاً المعطلة الذين راموا أن يدركوا^(١) بالحس ما لا يدرك بالعقل، فلما أعوزهم ذلك خرجوا إلى الجحود والتكذيب، فقالوا: ولم لا يدرك بالعقل؟

قيل: لآته فوق^(٢) مرتبة العقل، كما لا يدرك البصر^(٣) ما هو فوق مرتبته، فإنك لو رأيت حجراً يرتفع في الهواء علمت أن رامياً رمى به، فليس هذا العلم من قبل البصر، بل من قبل العقل، لأن العقل هو الذي يميزه، فيعلم أن الحجر لا يذهب علواً من تلقاء نفسه، أفلا ترى كيف وقف البصر على حدّه، فلم يتجاوزه، فكذلك^(٤) يقف العقل على حدّه من معرفة الخالق فلا يعدوه، ولكن يعقله بعقل أقرّ أن فيه نفساً ولم يعاينها، ولم يدركها بحاسة من الحواس.

[معرفة العقل للمخالق معرفة إقرار لا معرفة إحاطة]

وعلى حسب هذا أيضاً نقول: إن العقل يعرف الخالق من جهة ما يوجب^(٥) عليه الإقرار، ولا يعرفه بما يوجب^(٦) له الإحاطة بصفته.

فإن قالوا: فكيف يكلفُ العبدُ الضعيفُ معرفته بالعقل اللطيف، ولا يحيط به؟

(١) في «أ» و«د»: يُدرك.

(٢) في نسخة من «أ»: وفي «بذل» فوق.

(٣) في «ج»: بالبصر. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) في «د»: وكذلك.

(٥) في «أ» و«ب» و«د» و«ن»: من جهة توجب.

(٦) في «أ» و«د»: يوجبه. وفي «ج»: بما يوجبه الإحاطة.

قيل لهم: إنما كُلف العباد من ذلك ما في طاقتهم أن يبلغوه، وهو أن يوقنوا به ويقفوا عند أمره ونهيه، ولم يكلفوا^(١) الإحاطة بصفته، كما أن الملك لا يكلف رعيته أن يعلموا أطويل هو^(٢) أم قصير، و^(٣) أبيض هو أم أسمر، وإنما يكلفهم الإذعان لسلطانه^(٤)، والانتهاى إلى أمره.

ألا ترى أن رجلاً لو أتى باب الملك فقال: اعرض عليّ نفسك حتى أتقضى^(٥) معرفتك وإلا لم أسمع لك، كان قد أحلّ نفسه العقوبة^(٦)، فكذا^(٧) القائل أنه لا يقرّ بالخالق سبحانه حتى يحيط بكنهه، متعرّض^(٨) لسخطه.

فإن قالوا: أوليس قد نصّفه فنقول: هو العزيز الحكيم الجواد الكريم؟ قيل لهم: كلّ هذه صفات إقرار، وليست صفات إحاطة، فإنّا نعلم أنه حكيم ولا نحيط^(٩) بكنهه ذلك منه، وكذلك قدير وجواد وسائر صفاته، كما قد نرى^(١٠) السماء ولا^(١١) ندري ما جوهرها، ونرى البحر ولا ندري أين منتهاه، بل فوق هذا المثال بما

(١) في «د» ونسخة بدل من «ب»: يكلف.

(٢) ليست في «أ» «ب» «د».

(٣) الواو ليست في «أ» «ب».

(٤) في «ب»: بسلطانه.

(٥) في «ج»: انقضى. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) في «ن» ونسخة بدل من «ب»: بالعقوبة.

(٧) في «ج» «د»: فهكذا.

(٨) في «ن»: متعرّضاً.

(٩) في «ب» «ن»: «ولا نعلم» بدل «ولا نحيط».

(١٠) في «د»: كما قد ترى السماء ولا تدري... وترى... ولا تدري.

(١١) في «ج»: وما ندري. وفي «د»: ولا تدري. وفي «ن»: فلا ندري.

لا نهاية له^(١)؛ لأنَّ^(٢) الأمثال كلها تقصر عنه، ولكنها تقود العقل إلى معرفته.

فإن قالوا: ولم يختلف فيه؟

قيل لهم: لقصر الأوهام عن مدى عظمتها، وتعدّيها أقدارها في طلب^(٣) معرفته،
وأنها تروم الإحاطة به، وهي تعجز عن ذلك وما دونه.

[الشمس واختلاف الفلاسفة في وضعها وشكلها ومقدارها]

فمن ذلك هذه الشمس التي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة أمرها،
ولذلك كثرت الأقاويل فيها، واختلفت^(٤) الفلاسفة المذكورون في وصفها:

فقال بعضهم: هو فلك أجوف مملوء ناراً، له فم يحيش بهذا الوهج والشعاع.
وقال آخرون: هو سحابة^(٥).

وقال آخرون: هو جسم زجاجي، يقبل^(٦) نارية في العالم، ويرسل عليه^(٧)
شعاعها.

وقال آخرون: هو صفو لطيف ينعقد من^(٨) ماء البحر.

وقال آخرون: هو أجزاء كثيرة مجتمعة من النار.

(١) ليست في «ج».

(٢) في «ن»: ولأنَّ.

(٣) ليست في «د».

(٤) في «ب»: واختلف. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «ج»: سبحانه. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) في «ج»: تقبل. وفي «ن»: يقل.

(٧) في «ج» «د»: عليها.

(٨) في «د»: عن. وهي ليست في «ن».

وقال آخرون: هو من جوهر خامس سوى الجواهر الأربعة.

ثم اختلفوا في شكلها:

فقال بعضهم: هي بمنزلة صفيحة عريضة.

وقال آخرون: بل ^(١) هي أعظم ^(٢) كالكرة المدحرجة.

وكذلك اختلفوا في مقدارها:

فزعم بعضهم أنها مثل الأرض سواء.

وقال آخرون: بل هي أقل من ذلك.

وقال آخرون: بل هي أعظم من الجزيرة العظيمة.

وقال أصحاب الهندسة: هي أضعاف الأرض مائة وسبعين مرة.

ففي اختلاف هذه الأقاويل منهم في الشمس دليل على أنهم لم يققوا على الحقيقة من أمرها، وإذا ^(٣) كانت هذه الشمس التي يقع عليها البصر، ويدركها الحس، قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها، فكيف ما لطف عن الحس واستتر عن الوهم؟!

فإن قالوا: ولم استتر؟

قيل لهم ^(٤): لم يستتر بحيلة يخلص إليها - كمن يحتجب عن ^(٥) الناس بالأبواب والستور - وإنما معنى قولنا «استتر» ^(٦) أنه لطف عن مدى ما تبلغه الأوهام، كما

(١) ليست في «ب» «ج» «ن».

(٢) ليست في «ب» «ج» «ن».

(٣) في «ج» «د» «ن»: فإذا.

(٤) ليست في «ج».

(٥) في «ن»: من.

(٦) في «ج»: استتر عنه أنه.

لطف النفس، وهي خلق^(١) من خلقه، وارتفعت عن إدراكها بالنظر.
 فإن قالوا: ولم لطف و^(٢) تعالى عن ذلك علواً كبيراً؟
 كان ذلك خطأ من القول، لأنّ لا يليق بالذي هو خالق كلّ شيء إلا أن يكون
 مابيناً لكلّ شيء، متعالياً عن كلّ شيء سبحانه وتعالى.

[الحقّ الذي تطلب معرفته من الأشياء أربعة أوجه وتفصيل ذلك]

فإن قالوا: كيف يعقل أن يكون مابيناً لكلّ شيء متعالياً عن كلّ شيء^(٣)؟
 قيل لهم: الحقّ^(٤) الذي تطلب معرفته من الأشياء هو أربعة أوجه:
 فأولها: أن ينظر أوجود هو أم ليس بموجود؟
 والثاني: أن يعرف ما هو في ذاته وجوهره؟
 والثالث: أن يعرف كيف هو وما^(٥) صفته؟
 والرابع: أن يعلم لماذا هو ولأية^(٦) علّة؟
 فليس من هذه الوجوه شيء يمكن المخلوق^(٧) أن يعرفه من الخالق حقّ معرفته،
 غير أنّه موجود فقط. فإذا قلنا: وكيف؟ وما هو؟ فمتنع علم كنهه، وكمال المعرفة به،

(١) في نسخة بدل من «ج»: «خلو».

(٢) الواو ليست في «ن».

(٣) قوله «عن كلّ شيء» ليس في «أ» «ب» «ج». وقوله «متعالياً عن كلّ شيء» ليس في «د».

(٤) في نسخة بدل من «ب»: «لحقّ».

(٥) في «د»: وما في صفته.

(٦) في «أ» «ن»: ولأيّ.

(٧) في «أ» «د»: يمكن من المخلوق. وفي «ن»: للمخلوق.

وأما لماذا هو؟ فساقط في صفة الخالق، لأنه جلّ ثناؤه^(١) علة كل شيء، وليس شيء بعلة له، ثم ليس علم الإنسان بأنه موجود يوجب^(٢) له أن يعلم ما هو وكيف هو؟ كما أن علمه بوجود النفس لا يوجب أن يعلم ما هي وكيف هي؟ وكذلك الأمور الروحانية اللطيفة.

فإن قالوا: فأنتم الآن تصفون من قصور العلم عنه وصفاً حتى كأنه غير معلوم؟ قيل لهم^(٣): هو كذلك من جهة إذا رام العقل معرفة كنهه والإحاطة به، وهو من جهة أخرى أقرب من كل قريب إذا استدلّ عليه بالدلائل الشافية^(٤)، فهو من جهة كالواضح لا يخفى على أحد، وهو من جهة كالغامض لا يدركه أحد، وكذلك العقل أيضاً ظاهر بشواهد^(٥) ومستور بذاته.

[أصحاب الطبائع ومناقشة أقوالهم]

فأما أصحاب الطبائع فقالوا: إنّ الطبيعة لا تفعل شيئاً لغير معنى ولا تتجاوز^(٦) عما فيه تمام الشيء في طبيعته^(٧)، وزعموا أنّ المحنة^(٨) تشهد بذلك، فقليل لهم: فن أعطى الطبيعة هذه الحكمة والوقوف على حدود الأشياء بلا مجاوزة لها وهذا قد

(١) في «أ» ونسخة بدل من «ج»: جلّ شأنه.

(٢) في «أ» «ب» «ج» «د»: موجب.

(٣) في «أ» «ب» «ج» «د»: له. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٤) في نسخة بدل من «ج»: الشاهدة.

(٥) في «ب» «د»: بشواهد. وفي «ج»: بالشواهد.

(٦) «تجاوز» ليست في «أ» «ج» «د» «ن». واستظهرت في «ب» فقط.

(٧) في «ج»: طبقته. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٨) في «ن»: الحكمة.

تعجز عنه العقول بعد طول التجارب؟

فإن أوجبوا للطبيعة الحكمة والقدرة على مثل هذه الأفعال، فقد أقروا بما أنكروا، لأن هذه هي ^(١) صفات الخالق.

وإن أنكروا أن يكون هذا للطبيعة، فهذا وجه الخلق يهتف بأن الفعل للخالق الحكيم، وقد كان من القدماء طائفة أنكروا العمد والتدبير في الأشياء، وزعموا أن كونها بالعرض والاتفاق وكان مما احتجوا به هذه الآيات ^(٢) التي تكون على ^(٣) غير مجرى العرف والعادة، كالإنسان ^(٤) يولد ناقصاً أو زائداً إصبعاً، أو يكون المولود ^(٥) مشوهاً مبدل الخلق، فجعلوا هذا دليلاً على أن كون الأشياء ليس بعمد وتقدير بل بالعرض كيفما اتفق ^(٦) أن يكون.

وقد كان أرسطاطاليس ردّ عليهم فقال: إن الذي يكون بالعرض والاتفاق إنما هو شيء يأتي في الفرط مرةً لأعراض تعرض للطبيعة، فتزيلها ^(٧) عن سبيلها، وليس بمنزلة الأمور الطبيعيّة الجارية على شكل واحد جرياً دائماً متتابعاً.

وأنت يا مفضل ترى أصناف الحيوان تجري ^(٨) أكثر ذلك على مثال ومنهاج واحد، كالإنسان يولد وله يدان ورجلان وخمس أصابع، كما عليه الجمهور من

(١) في «أ»: «في» بدل «هي».

(٢) في نسخة بدل من «ج»: «الاناث».

(٣) في «أ» «ب» «ج» «د»: «تلد» بدل «تكون على».

(٤) في «ن»: «كإنسان».

(٥) في «ج»: «المولّد».

(٦) في نسخة من «ب»: «كيف كان ما اتفق» حيث أدخلت «كان» عن نسخة.

(٧) في «د»: «وتزيلها».

(٨) في «ب» «ن»: «أن يجري» وأدخلت «أن» في متن «ب» عن نسخة. وفي جميع النسخ عدا «د» يجري.

الناس، فأما ما يولد على خلاف ذلك فإنه لعلّة تكون في الرحم، أو في المادة التي يُنشأ منها الجنين، كما يعرض في الصناعات حين يتعمّد الصانع الصواب في صنعته، فيعوق دون ذلك عائق في الأداة أو في الآلة التي يعمل فيها الشيء، فقد^(١) يحدث مثل ذلك في أولاد الحيوان للأسباب^(٢) التي وصفنا فيأتي الولد زائداً أو ناقصاً أو مشوهاً، ويسلم أكثرها فيأتي سويّاً لا علة فيه، فكما أنّ الذي يحدث في بعض أعمال^(٣) الأعراض لعلّة فيه لا يوجب^(٤) عليها جميعاً الإهمال وعدم الصانع، كذلك ما يحدث على بعض الأفعال الطبيعيّة لعائق يدخل عليها لا يوجب^(٥) أن يكون جميعها^(٦) بالعرض والاتفاق. فقول من قال في الأشياء أنّ كونها بالعرض والاتفاق - من قبيل^(٧) أنّ شيئاً منها يأتي على خلاف الطبيعة بعرض^(٨) يعرض له - خطأ وخطل.

فإن قالوا: ولم صار مثل هذا يحدث في الأشياء؟
 قيل لهم: ليعلم أنّه ليس كون الأشياء باضطراب من الطبيعة، ولا يمكن أن يكون سواء - كما قال قائلون^(٩) - بل هو تقدير وعمد من خالق حكيم، إذ جعل

(١) في «أ» «ج» «د»: وقد.

(٢) في «ب»: الأسباب.

(٣) في «أ» «ب»: الأعمال. وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت.

(٤) في «أ» «ب» «د»: لا توجب.

(٥) في «د»: لا توجب.

(٦) في «ج»: جميعاً. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٧) في «ن»: قبيل.

(٨) في «د»: لعرض.

(٩) في «أ»: قائلون به. وفي «ن»: القائلون.

الطبيعة^(١) تجري أكثر ذلك على مجرى ومنهاج معروف، و^(٢) نزول^(٣) أحياناً عن ذلك لأعراض تعرض لها، فيستدلّ بذلك على أنّها مصرّفة مدبّرة فقيرة إلى إيداء الخالق وقدرته في بلوغ غايتها، وإتمام عملها، تبارك الله أحسن الخالقين.

يا مفضّل، خذ ما آتيتك، واحفظ ما منحتك، وكن لربّك من الشاكرين، ولآلائه من الحامدين، ولأوليائه من المطيعين، فقد شرحتُ لك من الأدلّة على الخلق، والشواهد على صواب التدبير^(٤) والعمد، قليلاً من كثير، وجزءاً من كلّ، فتدبره وفكر^(٥) فيه واعتبر به.

فقلت: بمعونتك يا مولاي أقوى^(٦) على ذلك، وأبلغه إن شاء الله.

فوضع يده على صدري فقال: احفظ بمشيئة الله، ولا تنس إن شاء الله^(٧)، فخررت مغشياً عليّ^(٨)، فلمّا أفقت قال: كيف ترى نفسك يا مفضّل؟ فقلت: قد استغثتُ بمعونة مولاي وتأييده عن الكتاب الذي كتبته، وصار ذلك بين يديّ كأنّما أقرأه من كُتبي، فلمولاي الحمد والشكر كما هو (أهله و)^(٩) مستحقّه.

فقال: يا مفضّل، فرّغ قلبك واجمع إليك ذهنك وعقلك وطمأنينتك، فسألني^(١٠)

(١) في «ن»: للطبيعة.

(٢) الواو ليست في «أ».

(٣) في «ب» «ج» «د»: ويزول.

(٤) في نسخة بدل من «ج»: صواب العمد والعمد.

(٥) في «أ» «ج» «د»: وذكر.

(٦) في «ن»: أقوّ.

(٧) في «ج»: ولا تنس بمشيئة الله.

(٨) ليست في «أ» «ج» «د».

(٩) لست في «ج».

(١٠) في نسخة بدل من «ج»: فسأبقي.

إليك^(١) من علم ملكوت السماوات والأرض - وما خلق الله بينهما وفيها من عجائب خلقه، وأصناف الملائكة، وصفوفهم ومقاماتهم ومراتبهم إلى سدرة المنتهى، وسائر الخلق من الجن والإنس إلى الأرض السابعة السفلى وما تحت الثرى - حتى يكون ما وعيته جزءاً من أجزاء، انصرف إذا شئت مصاحباً مكلوئاً، فأنت منّا بالمكان الرفيع، وموضعك من قلوب المؤمنين موضع الماء من الصدى، ولا تسألنّ عما وعدتك حتى أحدث لك منه ذكراً.

قال المفضل: فانصرفت من عند مولاي بما لم ينصرف أحد بمثله^(٢).

(١) في «د»: عليك.

(٢) في «أ»: وقع الفراغ من نسخه في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شعبان سنة أربع وسبعين بعد الألف، على يد العبد الجاني حسين بن شمس الدين محمد الاصفهاني، حامداً لله تعالى مصلياً مسلماً.

في «ج»: قد تمّ الأحاديث. فرغت من كتابته بعون الله ومَنَّه في عصر يوم السبت الخامس عشر من شهر ربيع الأول من شهور سنة اثني وتسعين وألف في بلدة رشت صانها الله تعالى من الحدثان. وكتبه أقلّ الخليفة عملاً وأكثرهم زلاً جعفر بن الغازي الرازي عفي عنهما بالنبي والرصي وألهما.

وكتب في هامشها: قوبل وصحّ بقدر الوسع والطاقة والشروع في مقابلته واتمامه أيضاً في يوم الأحد الثاني يوم ختم كتابته. والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

في «د»: والحمد لله ربّ العالمين. وكتب في الحاشية: بلغ مقابلة بحمد الله تعالى نسخة عليها الاعتماد فصَحّ إن شاء الله تعالى، وكان ذلك في عصر اليوم التاسع من شهر محرم الحرام مفتتح السنة ١٠٨٠ الثمانين بعد الألف، وأنا أقلّ خلق الله تعالى وعبيده صالح بن عبد الكريم البحراني عفي عن والديه وعنه.

بما ان المجلس الخامس من هذا الكتاب من صفحه ٢٢٥ الى ٢٣٤ لم يكن مأخوذاً من نسخته المخطوطة بل من بعض الكتب الناقلة عنه ورأينا فيه بعض ما لا يوافق عقيدة الشيعة، فلذلك حذفناه من النسخة المطبوعة بعد ما طبع بضمنه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين. و بعد، فلما وفق الله سبحانه و تعالى لإتمام تحقيق متن كتاب فكر المعروف بتوحيد المفضل، وإخراج نصّه بأفضل وأصح شكل ممكن، رأينا أن نلحق به شروح وتعليقات العلامة محمد باقر المجلسي رحمته الله التي زين بها الكتاب، وكشف عن بعض غوامضه، وأبان بعض ما خفي من معانيه، لأنّ فيها فوائد جمّة لا غنى عنها لمن يريد الوقوف على مرامي الكتاب و مغازيه و معانيه.

خصوصاً، وإنّ تحقيق هذا المتن الشريف جاء في ضمن سلسلة مصادر بحار الأنوار، فكان من الضروري أن يقف القارئ على ما جاد به قلم العلامة المجلسي في هذا المجال.

وقد جعلنا هذه الشروح ملحقةً بالمتن ولم نضعها في الهامش حفاظاً على وحدة النصّ واختلافات النسخ، وتخليصاً للهوامش من التطويل، ولكي لا يقف القارئ

على ركام هائل من التعليقات، فلكلّ ذلك ذكرنا الشروح ملحقةً وأشرنا في الهامش إلى الصفحة و السطر المذكور فيها النصّ المشروح، وأشرنا أيضاً في الهوامش إلى اختلاف النسخ التي ذكرها العلامة المجلسي في شرحه ولم ترد في نسخنا، كما نبهنا في الهامش على الاختلافات بين النص الذي شرحه العلامة المجلسي و النصّ الذي انتخبناه في المتن إن كان ثمة اختلاف.

هذا، و قد رجونا بهذا العمل وجه الله تعالى، فإن كان الصواب حليفنا فلله الحمد و المنة، وإلا فلتسعه عين الرضا.

شروح وتعليقات العلامة المجلسي

[١] الحَوَزُ^(١): الجمعُ، وكلُّ من ضمَّ إلى نفسه شيئاً فقد حازَهُ.

[٢] الحِطْوَةُ^(٢) - بالضمِّ والكسر والحاء المهملة والظاء المعجمة -:
المكانةُ والمنزلةُ.

[٣] الفَيْلَسُوفُ^(٣): العالمُ.

[٤] خَسَأَ البَصْرُ^(٤)، أي كَلَّ.

[٥] النَّامُوسُ^(٥): صاحب السرِّ المُطْلَعُ على [باطِن] أمرِك، أو صاحبُ
سِرِّ الخَيْرِ، وجبرئيلُ عليه السلام، والحاذِقُ وَمَنْ يَلْطُفُ مَدْخَلُهُ، ذكرها

(١) في قول ابن أبي العوجاء: «وحازَ الشَّرَفَ»، الصفحة ٦٦، السطر ١.

(٢) في قول ابن أبي العوجاء: «ونال الحِطْوَةَ»، الصفحة ٦٦، السطر ٢.

(٣) في قول صاحب ابن أبي العوجاء: «إنَّه كان فيلسوفاً»، الصفحة ٦٦، السطر ٣.

(٤) في قول صاحب ابن أبي العوجاء: «فرجعت خاسثات»، الصفحة ٦٦، السطر ٥.

(٥) في قول صاحب ابن أبي العوجاء: «باسم ناموسه»، الصفحة ٦٦، السطر ٦.

الفيروزآبادي^(١)، ومراده هنا الربُّ تعالى شأنه.

[٦] خَمَلَ ذِكْرُهُ^(٢): خَفِيَ. والخامل: الساقط الذي لا نباهة له.

[٧] وقوله: «الذي يمشى به»^(٣) أي يذهب إلى دين محمد ﷺ وغيره بسببه، أو يهتدى به كقوله تعالى: ﴿تَوَرَّأ يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾^(٤). وفي بعض النسخ «يسمى» إمّا بالتشديد أي يذكر اسمه، أو بالتخفيف أي يرتفع الناس به ويدعون الانتساب إليه.

[٨] صَدَقَكَ^(٥) - بالتخفيف - أي قال لك صدقاً.

[٩] «لَطِيفٌ حَسَّكَ»^(٦) أي حَسَّكَ اللَّطِيفُ، أي لم يلتبس على حَسَّكَ غرائب صنع الله فيك لمعاندتك للحق. وفي بعض النسخ «حُسْنِكَ»^(٧)، فالمرادُ بِصِدْقِ الحُسْنِ ظهورُ ما أخفى الله فيه منه على الناظر. وعلى الوجهين يُمكنُ أن يُقرأ صَدَقَكَ - بالتشديد - بتكَلُّفٍ لا يخفى على المتأمل.

[١٠] الرِّزِينُ^(٨): الوَقُورُ.

[١١] الرِّصِينُ^(٩) - بالصاد المهملة -: الْمُحْكَمُ الثَّابِتُ.

(١) القاموس المحيط ٢: ٢٥٦.

(٢) في قول صاحب ابن أبي العوجاء: «ولئلا يخل أمره»، الصفحة ٦٦، السطر ١٠.

(٣) هو قول ابن أبي العوجاء، الصفحة ٦٦، السطر ١٢.

(٤) الأنعام: ١٢٢.

(٥) في قول المفصل: «وصدقك لطيف حَسَّكَ»، الصفحة ٦٧، السطر ٥.

(٦) الصفحة ٦٧، السطر ٥.

(٧) لم يرد هذا الوجه في نسخنا.

(٨) في قول ابن أبي العوجاء في الصادق عليه السلام: «وإنه للحليم الرزين»، الصفحة ٦٧، السطر ١٠.

(٩) في قول ابن أبي العوجاء في الصادق عليه السلام: «والعاقل الرصين»، الصفحة ٦٧، السطر ١٠.

- [١٢] الْخُرْقُ^(١) - بِالضَّمْ -: ضِدُّ الرَّفْقِ .
- [١٣] النَّزْقُ^(٢) : الطَّيْسُ وَالْخِفَّةُ عِنْدَ الْغَضَبِ .
- [١٤] قوله : «استفرغنا»^(٣) لعلّه من الإفراغ بمعنى الصبّ ، قال الفيروزآبادي : اسْتَفْرَغَ مَجْهُودُهُ : بَذَلَ طَاقَتَهُ^(٤) .
- [١٥] الْإِدْحَاضُ^(٥) : الْإِبْطَالُ .
- [١٦] أَسْنَاهَا^(٦) ، أَي أَرْفَعَهَا أَوْ أَضْوَأَهَا .
- [١٧] الْمُهَيِّمِينَ^(٧) : الْأَمِينُ وَالْمُؤْتَمَنُ وَالشَّاهِدُ .
- [١٨] «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ»^(٨) ، أَي قَتَلَهُمْ ، أَوْ لَعَنَهُمْ .
- [١٩] «أَنْتَى يُؤَفِّكُونَ»^(٩) : كَيْفَ يُصَرِّفُونَ عَنِ الْحَقِّ .
- [٢٠] قال الجوهرى : ظَلَّ يَتَدَمَّرُ عَلَى فُلَانٍ ، إِذَا تَنَكَّرَ لَهُ وَأَوْعَدَهُ ، انتهى^(١٠) .

-
- (١) في قول ابن أبي العوجاء في الصادق عليه السلام : «لا يعتريه خُرْقٌ» ، الصفحة ٦٧ ، السطر ١١ .
- (٢) في قول ابن أبي العوجاء في الصادق عليه السلام : «لا يعتريه خُرْقٌ ... ولا نَزْقٌ» ، الصفحة ٦٧ ، السطر ١١ .
- (٣) في قول ابن أبي العوجاء : «حتى إذا استفرغنا» ، الصفحة ٦٧ ، السطر ١٢ .
- (٤) القاموس المحيط ٣ : ١١١ .
- (٥) في قول ابن أبي العوجاء في الصادق عليه السلام : «دَحَضَ حِجَّتَنَا» و في نسخة المجلسي «أدحض حِجَّتَنَا» ، الصفحة ٦٧ ، السطر ١٢ .
- (٦) الصفحة ٧٠ ، السطر ١ .
- (٧) الصفحة ٧٠ ، السطر ١ .
- (٨) الصفحة ٧٠ ، السطر ١٢ .
- (٩) الصفحة ٧٠ ، السطر ١٢ .
- (١٠) (١٠) الصحاح ٢ : ٦٦٥ . وانظر قول الإمام عليه السلام في الصفحة ٧١ ، السطر ٦ .

[٢١] غَرَبْتُ^(١) بمعنى غَابْتُ.

[٢٢] الإِرْبُ^(٢) - بالفتح^(٣) والكسر -: الحاجةُ.

[٢٣] «وَوَصَفَهُ بِالْإِحَالَةِ» أي بَأَنَّهُ يستحيل أن يكون له خالق مدبر، أو يستحيل أن يكون من فعله تعالى.

[٢٤] المَانَوِيَّةُ^(٤): فرقة من الثنوية أصحاب ماني الذي ظهر في زمان سابور ابن أردشير، وأحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح - على نبينا وآله وعليه السلام - ولا يقول بنبوة موسى - على نبينا وآله وعليه السلام - وزعم أن العالم مصنوع مركب من أصليين قديمين: أحدهما نور والآخر ظلمة، وهؤلاء ينسبون الخيرات إلى النور، والشُّرُورَ إلى الظُّلْمَةِ، وينسبون خلق السباع والمؤذيات والعقارب والحيات إلى الظُّلْمَةِ، فأشار ﷺ إلى فساد وهمهم بأن هذا لجهلهم بمصالح هذه السباع والعقارب والحيات التي يزعمون أنها من الشُّرُورِ التي لا يليق بالحكيم خلقها.

[٢٥] قوله ﷺ: «الْمُعَلَّلِينَ»^(٥) أي الشاغلين أنفسهم عن طاعة ربهم بأُمُور يحكم العقل السليم باستحالته. قال الفيروز آبادي: عَلَّلَهُ بِطَعَامٍ وَغَيْرِهِ

(١) الصفحة ٧١، السطر ٧. و الرواية التي رجحناها في المتن «غَرَبْتُ» بالزاي.

(٢) الصفحة ٧١، السطر ١٠.

(٣) لم أقف على «الأَرْب» بمعنى الحاجة، و إنما نصّوا على الأَرْب و الإِرْب، فكأن صواب العبارة: «الإِرْب بالكسر و بفتحتين: الحاجة».

(٤) الصفحة ٧١، السطر ١١. و الذي رجحناه في المتن «الْمَنَانِيَّة»، و كلاهما نسبة إلى ماني.

(٥) الصفحة ٧٢، السطر ١.

تَعْلِيلًا: شَغَلَهُ بِهِ^(١).

[٢٦] قال الفيروزآبادي: نَصَدَ مَتَاعَهُ يَنْصِدُهُ: جَعَلَ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، فَهُوَ مَنْصُودٌ، انتهى^(٢).

[٢٧] التَّخْوِيلُ^(٣): الْإِعْطَاءُ وَالتَّمْلِيكُ.

[٢٨] قوله عليه السلام: «وَأَنَّ الْخَالِقَ لَهُ وَاحِدٌ»^(٤) أقول: أشار عليه السلام بذلك إلى أقوى براهين التوحيد، وهو أَنَّ ائتلاف أجزاء العالم واحتياج بعضها إلى بعض وانتظام بعضها ببعض، يدل على وحدة مدبرها، كما أَنَّ ارتباط أجزاء الشخص بعضها ببعض وانتظام بعض أعضائه مع بعض يدل على وحدة مدبره. وقد قيل في تطبيق العالم الكبير على العالم الصغير لطائف لا يسع المقام ذكرها، وربما يستدل عليه أيضاً بما قد تقرر من أَنَّ المتلازمين إما أن يكون أحدهما علّة للآخر، أو هما معلولا علّة ثالثة.

[٢٩] الْأَدِيمُ^(٥): الْجِلْدُ.

[٣٠] الطَّلُقُ^(٦): وَجَعُ الْوِلَادَةِ.

[٣١] يقال: أَرْعَجَهُ^(٧)، أَي قَلَعَهُ عَنْ مَكَانِهِ.

(١) القاموس المحيط ٤: ٢٠.

(٢) انظر القاموس المحيط ١: ٣٤١. وانظر قول الإمام عليه السلام في الصفحة ٧٢، السطر ١١.

(٣) الصفحة ٧٣، السطر ١.

(٤) الصفحة ٧٣، السطر ٤.

(٥) الصفحة ٧٤، السطر ٢.

(٦) الصفحة ٧٤، السطر ٣.

(٧) الصفحة ٧٤، السطر ٣.

[٣٢] يقال: تَلَمَّظَ^(١)، إذا أخرج لسانَهُ فمسحَ بِهِ شَفَتَيْهِ، وَتَلَمَّظَتِ الْحَيَّةُ إذا أَخْرَجَتْ لِسَانَهَا كَتَلَمَّظَ الْآكِلُ.

[٣٣] الإداوة^(٢) - بالكسر -: إناء صغير من جلد يُتَّخَذُ للماء.

[٣٤] الطَّوَاحِنُ^(٣): الأضراسُ. وتُطلق الأضراسُ غالباً على المآخيرِ، والأسنانُ على المقاديمِ كما هو الظاهر هنا، وإن لم يفرَّق اللُّغَوِيُّونَ بينهما، والمرادُ بالطَّوَاحِنُ هنا جميعُ الأسنان.

[٣٥] الإِسَاعَةُ^(٤): الأَكْلُ والشَّرْبُ بِسُهُولَةٍ.

[٣٦] أَفْرَأَيْتَ^(٥)، أي أَخْبِرْنِي. قال الزمخشري: لَمَّا كَانَتْ مَشَاهِدَةُ الْأَشْيَاءِ وَرُؤْيُهَا طَرِيقاً إِلَى الْإِحَاطَةِ بِهَا عِلْماً وَصَحَّةَ الْخَبَرِ عَنْهَا، اسْتَعْمَلُوا أَرَأَيْتَ بِمَعْنَى أَخْبِرْ، انْتَهَى^(٦).

[٣٧] يقال: ذَوَى^(٧) الْعُوْدُ، أي يَبِسَ.

[٣٨] الْمَوْوُودُ^(٨): الَّذِي ذُفِنَ فِي الْأَرْضِ حَيًّا، كما كان المشركون يفعلون

في الجاهليَّةِ ببناتهم.

(١) الصفحة ٧٤، السطر ٦.

(٢) الصفحة ٧٤، السطر ٧.

(٣) الصفحة ٧٤، السطر ٩.

(٤) الصفحة ٧٤، السطر ١٠.

(٥) الصفحة ٧٥، السطر ٢.

(٦) الكشف ٣: ٣٩ في تفسير الآية ٧٧ من سورة مريم.

(٧) الصفحة ٧٥، السطر ٣.

(٨) الصفحة ٧٥، السطر ٤.

[٣٩] قوله عليه السلام: «أَوْ يُقِيمُهُ»^(١) أَي عَدَمُ طُلُوعِ الْأَسْنَانِ.

[٤٠] قوله عليه السلام: «ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيَهُمْ»^(٢) يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا لَتَعْذِيبِ الْآبَاءِ وَإِنْ كَانَ الْأَوْلَادُ يُوجَرُونَ لِقَبَاحَةِ مَنْظَرِهِمْ، أَوْ لِلْأَوْلَادِ لِمَا كَانَ فِي عِلْمِهِ تَعَالَى صَدُورُهُ عَنْهُمْ بِاخْتِيَارِهِمْ.

[٤١] يَرْصُدُهُ^(٣)، أَي يَرْقُبُهُ.

[٤٢] قوله عليه السلام: «فَإِنْ كَانَ الْإِهْمَالُ»^(٤) أَي إِذَا لَمْ تَكُنِ الْأَشْيَاءُ مَنْوُطَةً بِأَسْبَابِهَا، وَلَمْ تَرْتَبِطِ الْأُمُورُ بِعِلَلِهَا، فَكَمَا جَازَ أَنْ يَحْصَلَ هَذَا التَّرْتِيبُ وَالنِّظَامُ التَّامُّ بِلا سَبَبٍ فَجَازَ أَنْ يَصِيرَ التَّدْيِيرُ فِي الْأُمُورِ سَبَبًا لِاخْتِلَالِهَا، وَهَذَا خِلَافُ مَا يَحْكُمُ بِهِ عَقُولُ كَافَّةِ الْخَلْقِ؛ لِمَا نَرَى مِنْ سَعْيِهِمْ فِي تَدْيِيرِ الْأُمُورِ وَذَمِّهِمْ مَنْ يَأْتِي بِهَا عَلَى غَيْرِ تَأَمُّلٍ وَرَوِيَّةٍ.

وَيُحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ الْوَجْدَانَ يَحْكُمُ بِتَضَادِّ آثَارِ الْأُمُورِ الْمُتَضَادَّةِ، وَزُبْمَا أَمْكَنَ إِقَامَةَ الْبُرْهَانِ عَلَيْهِ أَيْضًا، فَإِذَا أَتَى الْإِهْمَالُ بِالصَّوَابِ يَجِبُ أَنْ يَأْتِيَ ضِدُّهُ - وَهُوَ التَّدْيِيرُ - بِالخَطَأِ وَهَذَا أَفْظَعُ وَأَشْنَعُ.

[٤٣] وَالْمُرَادُ بِالْمُحَالِ^(٥) الْأَمْرُ الْبَاطِلُ الَّذِي لَمْ يَأْتِ عَلَى وَجْهِهِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ. قَالَ الْفَيْرُوزْآبَادِي: الْمُحَالُ مِنَ الْكَلَامِ - بِالضَّمِّ - مَا عُدِلَ عَنْ وَجْهِهِ، انْتَهَى^(٦).

(١) الصفحة ٧٥، السطر ٦.

(٢) الصفحة ٧٦، السطر ١. وَ الَّذِي أَثْبَتْنَاهُ أَنَّهَا آيَةٌ كَرِيمَةٌ ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيَكُمْ﴾.

(٣) الصفحة ٧٦، السطر ٢.

(٤) الصفحة ٧٦، السطر ٣.

(٥) الصفحة ٧٦، السطر ٤.

(٦) القاموس المحيط ٣: ٣٦٣.

[٤٤] التَّيَّةُ^(١): الصَّلَالُ والحَيْرَةُ.

[٤٥] الغَضَاصَةُ^(٢) - بالفتح -: الدَّلَّةُ والمنقصةُ.

[٤٦] قوله ﷺ: «مُعَصَّبًا»^(٣) أي مشدوداً.

[٤٧] التَّسْجِيَةُ^(٤): التغطية بثوبٍ يُمَدُّ عليه.

[٤٨] الغَبِيُّ^(٥) - على فعيل -: قليلُ الفطنة.

[٤٩] الاعتبارُ^(٦): من العبرة، وذُكِرَ في مقابلة السَّهْوِ والغفلةِ.

[٥٠] قوله: «ما قدر»^(٧) وما يوجب^(٨) كلاهما معطوفان على

«موضع»^(٩).

[٥١] قوله: «من المكلفات»^(١٠) بيانٌ لـ «ما يوجب»^(١١)، أي لذهب

التكاليف المتعلقة بالأولاد بأن يبرؤوا آباءهم ويعطفوا عليهم عند حاجة الآباء إلى تربيتهم، وإعانتهم لكبرهم وضعفهم، جزاء لما قاسوا من الشدائد في تربيتهم.

(١) الصفحة ٧٦، السطر ٨.

(٢) الصفحة ٧٦، السطر ١٣.

(٣) الصفحة ٧٦، السطر ١٣.

(٤) الصفحة ٧٦، السطر ١٤.

(٥) الصفحة ٧٧، السطر ٢.

(٦) الصفحة ٧٧، السطر ٥.

(٧) الصفحة ٧٧، السطر ٨.

(٨) الصفحة ٧٧، السطر ٩.

(٩) الصفحة ٧٧، أوّل السطر ٨.

(١٠) الصفحة ٧٧، السطر ٩. والذي أثبتناه في المتن «من المكافاة».

(١١) الصفحة ٧٧، أوّل السطر ٩.

[٥٢] قوله: «أن يرى»^(١) خبر لقوله: «أقل ما في ذلك»^(٢).

[٥٣] الدُّأْبُ^(٣): الجدُّ والتَّعَبُ.

[٥٤] التَّوَحَّى^(٤): التَّحَرَّى والقصد.

[٥٥] قوله عليه السلام: «كل ما لا يعرفه»^(٥) أي ممَّا لا يقصر عنه عِلْمُ

المخلوقين.

[٥٦] يقال: أبطل^(٦)، أي جاء بالباطل.

[٥٧] المشاكلة^(٧): المشابهة والمُناسبة.

[٥٨] اسم الإشارة^(٨) راجع إلى ما مضى من التَّديير في الخلق، ويحتمل

إرجاعه إلى الجماع.

[٥٩] قوله عليه السلام: «فما يمنعهم»^(٩) لعل المراد أنهم إذا قالوا بذلك فقد

أثبتوا الصانع، فلم يَسْمُونه بالطبيعة وهي ليست بذات علم وإرادة وقدرة.

[٦٠] قوله عليه السلام: «عِلْمَ أَنَّ هذا الفعل»^(١٠) أي ظاهر بطلان هذا الزعم.

(١) الصفحة ٧٨، السطر ١.

(٢) الصفحة ٧٧، السطر ١٤.

(٣) الصفحة ٧٨، السطر ٩. والدُّأْبُ والدُّأْبُ والدُّؤُوب كلُّها بمعنى الجد والتعب.

(٤) الصفحة ٧٨، السطر ٩.

(٥) الصفحة ٧٨، السطر ١٣.

(٦) الصفحة ٧٩، السطر ٩.

(٧) الصفحة ٧٩، السطر ١٢.

(٨) وهي قوله عليه السلام: «ذلك» من قوله «يُشَاكِلُ ذلك». الصفحة ٧٩، السطر ١٢.

(٩) الصفحة ٨٠، السطر ١٢.

(١٠) الصفحة ٨٠، السطر ١٤.

والَّذِي صار سبباً لذهولهم أَنَّ الله تعالى أجرى عادته بأن يخلق الأشياء بأسبابها، فذهبوا إلى استقلال تلك الأسباب في ذلك، وبعبارة أخرى: إِنَّ سُنَّةَ الله وعادته قد جرت - لِجَحْمٍ كثيرة - أَنْ تكون الأشياء بحسب بادئ النظر مستندةً إلى غيره تعالى، ثُمَّ يُعَلِّمُ بعد الاعتبار والتفكير أَنَّ الكُلَّ مستندٌ إلى قُدْرته وتأثيره تعالى، وإنما هذه الأشياء وسائل وشرائط لذلك، فلذا تحيروا في الصانع تعالى، فالضمير المنصوب في قوله: «أجراها»^(١) راجع إلى السُنَّة، وضمير «عليه»^(٢) راجع إلى الموصول.

[٦١] قال الفيروزآبادي: وَشَجَّتْ^(٣) العروق والأغصان: اشتبكت^(٤).

[٦٢] وقال [الفيروزآبادي]: نَكَأَ^(٥) القَرْحَةَ - كمنع - قَشَرَهَا قبل أن تَبْرَأَ

فَنَدَيْتَ، انتهى^(٦).

[٦٣] المفائض^(٧): في بعض النسخ بالفاء، أي مجاري؛ من فاض الماء.

وفي بعضها بالغين؛ من غاض الماء غِضاً أي نَصَبَ وذهب في الأرض، والمَغِيضُ: المكان الذي يغيض فيه.

(١) الصفحة ٨١، السطر ١.

(٢) الصفحة ٨١، آخر السطر ١.

(٣) الصفحة ٨١، السطر ٤.

(٤) لم يذكر الفيروزآبادي في القاموس ذلك، والظاهر أنه نقله عن النهاية الأثيرية ٥: ١٨٧، فسها قلمه. انظر بحار الأنوار ٢١: ٣٥٥ «بيان».

(٥) الصفحة ٨١، السطر ٥.

(٦) القاموس المحيط ١: ٣١.

(٧) الصفحة ٨١، السطر ٨.

- [٦٤] و«إلى» في قوله: «إلى ما في تركيب»^(١) بمعنى «مع».
- [٦٥] قال الفيروزآبادي: الغُضْرُوفُ^(٢): كُلُّ عَظْمٍ رَخْوٍ يُؤَكَّلُ، وَهُوَ مَارِنُ الْأَنْفِ، وَبَعْضُ الْكَتِفِ، وَرُؤُوسُ الْأَضْلَاحِ، وَرَهَابَةُ الصَّدْرِ، وَدَاخِلُ قَوْفِ الْأُذُنِ، انْتَهَى^(٣).
- [٦٦] قوله: «لا تتزايد ولا تنقص»^(٤) أي النسبة بين الأعضاء.
- [٦٧] بلوغ الأشد^(٥) - وهو القوة -: أن يكتهل ويستوفي السنَّ الذي يستحكم فيها قُوَّتُهُ وعقله وتمييزه.
- [٦٨] قوله عليه السلام: «بعضها يلقي بعضاً»^(٦) حال، أو صفة بتأويل أو تقدير.
- [٦٩] رَوْحُ الْمُخَاطَبَةِ^(٧) - بِالْفَتْحِ - أَي رَاحَتُهَا وَلَذَّتُهَا.
- [٧٠] الشجُو^(٨): الْحُزْنُ. وَلَا يُتَوَهَّمُ جَوَازُ الْإِسْتِدْلَالِ بِهِ^(٩) عَلَى عَدَمِ حُرْمَةِ الْغِنَاءِ مُطْلَقاً، لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ الْأَفْرَادَ الْمُحَلَّلَةَ مِنْهَا كَمَا ذَكَرَهَا الْأَصْحَابُ، أَوْ يَكُونُ فَائِدَةٌ لِإِدْرَاكِ تِلْكَ اللَّذَّةِ عِظَمِ الثَّوَابِ فِي تَرْكِهَا لَوَجْهِهِ تَعَالَى.

(١) الصفحة ٨٢، السطر ٦.

(٢) الصفحة ٨٢، السطر ٧.

(٣) انظر القاموس المحيط ٣: ١٧٩. وفيه: «رَخَصَ» بدل «رَخْوَ»، و«تَغَضَّ» بدل «بعض».

(٤) الصفحة ٨٢، السطر ٨. والذي أثبتناه في المتن «لا يتزايد ولا ينقص».

(٥) الصفحة ٨٢، السطر ٨ - ٩.

(٦) الصفحة ٨٤، السطر ٩.

(٧) الصفحة ٨٥، السطر ١٠.

(٨) الصفحة ٨٥، السطر ١١.

(٩) أي بقوله عليه السلام «ويعدم لذة الأصوات واللحون الشجية والمطربة». الصفحة ٨٥، السطر ١١.

- [٧١] قوله ﷺ: «توافي خلقه»^(١) خبر «صارت»^(٢).
- [٧٢] المُرُّ^(٣): بين الحلو والحامض.
- [٧٣] الثَّجُّ^(٤): السَّيْلَان.
- [٧٤] الغَصَصُ^(٥): أَنْ يَقِفَ الشَّيْءُ فِي الْحَلْقِ فَلَمْ يَكَدْ يُسَيِّغُهُ.
- [٧٥] الْجُمُجُمَةُ^(٦): عَظْمُ الرَّأْسِ الْمُشْتَمِلُ عَلَى الدِّمَاغِ.
- [٧٦] الْبَيْضَةُ^(٧): هِيَ الَّتِي تُوَضَّعُ عَلَى الرَّأْسِ فِي الْحَرْبِ.
- [٧٧] الْفَتْ^(٨): الْكَسْرُ.
- [٧٨] هَذَا^(٩) الْبِنَاءُ: كَسَرُهُ وَضَعُوعُهُ، وَهَذِهِ الْمُصِيبَةُ أَيْ أَوْهَنْتُ رُكْنَهُ.
- [٧٩] الْحِيطَةُ^(١٠) - بِالْكَسْرِ -: الْحِيَاطَةُ وَالرَّعَايَةُ.
- [٨٠] الْجَفْنُ^(١١): غَطَاءُ الْعَيْنِ مِنْ أَعْلَى وَأَسْفَلِ.

(١) الصفحة ٨٦، السطر ٤.

(٢) الصفحة ٨٦، السطر ٣.

(٣) الصفحة ٨٩، السطر ٧.

(٤) الصفحة ٩٠، السطر ١.

(٥) الصفحة ٩٠، السطر ١.

(٦) الصفحة ٩٠، السطر ٨.

(٧) الصفحة ٩٠، السطر ٨.

(٨) الصفحة ٩٠، السطر ٩. والذي أثبتناه «تقيه» بدل «يفته» الموجودة في مطبوعة البحار،

والذي في نسخة «ب»: «يفته».

(٩) الصفحة ٩٠، السطر ٩. والذي أثبتناه «حدّ» بدل «هذّ».

(١٠) الصفحة ٩١، السطر ١. والذي أثبتناه في المتن «للحياطة».

(١١) الصفحة ٩١، السطر ٤.

[٨١] الأشفار^(١): هي حُرُوفُ الأَجْفَانِ الَّتِي عَلَيْهَا الشَّعْرُ.

[٨٢] الأَشْرَاجُ^(٢): العُرَى.

وكانه عليه السلام شبه الأشفار بالعرى والخيط المشدود بها، فإنَّ بهما ترفع الأستار وتسدل عند الحاجة إليهما، أو بالعرى التي تكون في العَيْبَةِ من الأَدَمِ وغيره، يكون فيها خيطٌ إذا شَدَّتْ به يكون ما في العيبة محفوظاً مستوراً، وكلاهما مناسب، والأوّل أنسب بالغشاء. قال الجزري: في حديث الأحنف: فأدخلت ثياب صَوْنِي العَيْبَةَ فَأَشْرَجْتُهَا. يقال: أَشْرَجْتُ العَيْبَةَ وَشَرَجْتُهَا، إذا سَدَدْتُهَا بِالشَّرَجِ وهي العُرَى، انتهى^(٣).

[٨٣] أولجها^(٤) يعني أدخلها.

[٨٤] الجَوَانِحُ^(٥): الأَضْلَاحُ الَّتِي مِمَّا يَلِي الصَّدْرَ.

[٨٥] قوله عليه السلام: «لَا تُخِلُّ»^(٦) من الإِخْلَالِ بِالشَّيْءِ بِمعنى تَرْكِهِ.

[٨٦] قوله: «تَتَحَيَّزُ»^(٧) إمَّا من الْحَيَّزِ أَي تَسْكُنُ، أو من قولهم: تَحَيَّزَتْ

الْحَيَّةُ: أَي تَلَوَّتْ.

[٨٧] الكَوَكِبُ^(٨): المَحْبِسُ.

(١) الصفحة ٩١، السطر ٤.

(٢) الصفحة ٩١، السطر ٤.

(٣) النهاية الأثيرية ٢: ٤٥٦. وجمع الشَّرَجِ أَشْرَاجٌ.

(٤) الصفحة ٩١، السطر ٥.

(٥) الصفحة ٩١، السطر ٨.

(٦) الصفحة ٩٢، السطر ٢. والذي أثبتناه في المتن. «ولا تختلُّ».

(٧) الصفحة ٩٢، السطر ٢.

(٨) الصفحة ٩٣، السطر ٤. والذي أثبتناه في المتن «اللُّوْلُبُ».

[٨٨] اطَّرَدَ^(١) الشَّيْءُ تَبَعَ بَعْضُهُ بَعْضاً وَجَرَى .

[٨٩] قال الجوهرى : حُمَّةٌ^(٢) الْحَرَّ : مُعْظَمُهُ^(٣) .

[٩٠] قوله ﷺ : «لَا مِنْ خَلْقِهِ مُؤَمَّلًا»^(٤) إشارة إلى أَنَّ الأمل والرَّجاء في

البقاء هو السبب لتحصيل النسل ، ولذا جُعِلَ الإنسان ذا أملٍ لبقاء نوعه .

[٩١] قوله ﷺ : «لَا مِنْ ضَرْبِهِ بِالْحَاجَةِ»^(٥) أي سَبَّبَ له أسباب الاحتياج

وخلَقَهُ بحيثُ يحتاجُ .

[٩٢] قوله ﷺ : «لَا مِنْ تَوَكَّلَ بِتَقْوِيمِهِ»^(٦) أي تَكَفَّلَ برفع حاجته وتقويم

أَوْدِهِ .

[٩٣] الْحَوْلُ^(٧) : الْقُوَّةُ .

[٩٤] قال الجوهرى : وَزَعَتْهُ^(٨) أَرْعُهُ وَزَعَأَ : كَفَفَتْهُ ، انتهى^(٩) .

[٩٥] الْكَلْبُوبُ^(١٠) - بالتشديد - : حديدة معوجة الرأس . وفي بعض

النسخ «كَلُون» وهو فارسي .

(١) الصفحة ٩٣ ، السطر ٤ .

(٢) الصفحة ٩٣ ، السطر ٥ .

(٣) الصحاح ٥ : ١٩٠٦ .

(٤) الصفحة ٩٣ ، السطر ١١ .

(٥) الصفحة ٩٣ ، السطر ١٢ .

(٦) الصفحة ٩٣ ، السطر ١٣ .

(٧) الصفحة ٩٤ ، السطر ٢ .

(٨) الصفحة ٩٥ ، السطر ١ .

(٩) الصحاح ٣ : ١٢٩٧ .

(١٠) الصفحة ٩٥ ، السطر ٢ .

[٩٦] قوله ﷺ: «مهيأ»^(١). في بعض النسخ بالياء، فلفظة «من» تعليلية. وفي بعضها بالنون، ف«من» تعليلية أو ابتدائية، أي إنما يتم عيشه بأنثى. وعلى التقديرين يحتمل أن يكون بمعنى «مع» إن جُوِّز استعماله فيه.

[٩٧] قال الجوهري: تَبَأَ^(٢) لفلان، تَنْصِبُهُ على المصدر بإضمار فعل، أي أَلْزَمَهُ اللهُ هَلَاكاً وَخُسْرَاناً^(٣).

[٩٨] وقال [الجوهري]: التَّعْسُ^(٤): الْهَلَاكُ ... يقال: تَعَسَا لفلان، أي أَلْزَمَهُ اللهُ هَلَاكاً^(٥).

[٩٩] أَلْفَى^(٦) أي وَجَدَ.

[١٠٠] قوله ﷺ: «منصباً»^(٧) إمّا من الأنصباب، كناية عن التدلي، أو من باب التفعيل من النَّصَبِ؛ قال الفيروآبادي: نَصَبَ الشَّيْءَ: وَضَعَهُ وَرَفَعَهُ -ضِدًّا- كَنَصَبِهِ، فَانْتَصَبَ وَتَنَصَّبَ^(٨).

[١٠١] الرِّكَبُ^(٩) - بالتحريك - مَنبْتُ العانة.

(١) الصفحة ٩٥، السطر ٥.

(٢) الصفحة ٩٥، السطر ٥.

(٣) الصحاح ١: ٩٠.

(٤) الصفحة ٩٥، السطر ٥.

(٥) الصحاح ٣: ٩١٠.

(٦) الصفحة ٩٦، السطر ٩.

(٧) الصفحة ٩٦، السطر ٩.

(٨) القاموس المحيط ١: ١٣٢.

(٩) الصفحة ٩٩، السطر ١.

- [١٠٢] مُسْتَنْقَعٌ^(١) الماءِ - بالفتح -: مُجْتَمَعُهُ .
- [١٠٣] شِرَّةُ^(٢) السَّبابِ - بالكسر -: حِرْصُهُ ونَشَاطُهُ .
- [١٠٤] العَادِيَّةُ^(٣) : الظُّلُمُ والشَّرُّ .
- [١٠٥] الْأَشْرُ^(٤) - بالتحريك -: البَطَرُ وشِدَّةُ الفَرَجِ .
- [١٠٦] اللَّهَوَاتُ^(٥) : جمع لَهَاةٍ ، وهي اللَّحْمَةُ في سَقْفِ أَقْصَى الفَمِ .
- [١٠٧] قوله ﷺ : «مِنْ الْمِرَّةِ»^(٦) بيان لموضع «آخر»^(٧) .
- [١٠٨] عَتَا عُتَوًا^(٨) : استكبرَ وجَاوَزَ الحَدَّ .
- [١٠٩] يقال : تَحَلَّبَ^(٩) العَرَقُ ، أي سَالَ .
- [١١٠] الْخَطْلُ^(١٠) : المنطقُ الفاسِدُ الْمُضْطَرَبُ .
- [١١١] الطَّغْمُ^(١١) - بالضم -: الْأَكْلُ .
- [١١٢] الْكَرَى^(١٢) : السَّهْرُ .

(١) الصفحة ٩٩ ، السطر ٢ .

(٢) الصفحة ٩٩ ، السطر ٥ .

(٣) الصفحة ٩٩ ، السطر ٥ .

(٤) الصفحة ٩٩ ، السطر ٦ .

(٥) الصفحة ٩٩ ، السطر ٩ .

(٦) الصفحة ١٠٠ ، السطر ١ .

(٧) الصفحة ٩٩ ، السطر ١٢ .

(٨) الصفحة ١٠٠ ، السطر ١١ .

(٩) الصفحة ١٠٠ ، السطر ١٢ .

(١٠) الصفحة ١٠١ ، السطر ٥ .

(١١) الصفحة ١٠١ ، السطر ٧ .

(١٢) الصفحة ١٠١ ، السطر ٩ .

[١١٣] الْجَمَامُ^(١) - بالفتح - : الرَّاحَةُ ، يقال : جَمَّ الفَرَسُ جَمًّا وَجَمَامًا ، إذا ذَهَبَ إِعْيَاؤُهُ .

[١١٤] السَّبْقُ^(٢) - بالتحريك - : شِدَّةُ شَهْوَةِ الْجِمَاعِ .

[١١٥] تَوَانَى^(٣) في حَاجَتِهِ ، أي قَصَرَ .

[١١٦] لَا يَخْفِلُ بِهِ^(٤) ، أي لَا يُبَالِي بِهِ .

[١١٧] تَحَذَّرُ الثُّفْلَ^(٥) - كَتَنُصِرَ - أي تُرْسِلَ .

[١١٨] قوله عليه السلام : «ولولا الجاذبة»^(٦) يدلُّ على أنَّ لها مدخلًا في شهوة الطعام .

[١١٩] قوله عليه السلام : «خِلَّةٌ»^(٧) كأنَّه بالضمِّ جَمْعُ الخَلَّةِ وهي الحاجة ، أو بالكسر أي الخِلَالِ والفُرَجِ التي حَصَلَتْ في البَدَنِ بتَحَلُّلِ الرُّطُوبَاتِ .

[١٢٠] قوله عليه السلام : «ولعلَّكَ ترى»^(٨) يحتمل أن يكون الغرض دفع توهم السائل كون ذكر التمثيل بعد ذكر القوى ومنافعها على الوجه الذي ذكره

(١) الصفحة ١٠١ ، السطر ١٠ . وكان الأنسب أن يذكر أيضاً «أَجَمَ الفَرَسُ : تُرِكَ فلم يُركب فعفا من تَعَبِهِ وذهب إِعْيَاؤُهُ» .

(٢) الصفحة ١٠١ ، السطر ١٠ .

(٣) الصفحة ١٠١ ، السطر ١٣ .

(٤) الصفحة ١٠٢ ، السطر ٦ .

(٥) الصفحة ١٠٢ ، السطر ١٣ .

(٦) الصفحة ١٠٣ ، السطر ١ .

(٧) الصفحة ١٠١ ، السطر ٤ . والظاهر أنَّ العلامة عليه السلام متكلِّف في الشرح ، فإنَّ الخَلَلَ هو الفساد والوَهْن .

(٨) الصفحة ١٠٤ ، السطر ٢ .

الأطباء واكتفوا به إطناباً وتكراراً.

وحاصله: إِنَّ الأطباءَ إِنَّمَا ذكروها على ما يحتاجون إليه في صناعتهم من ذكر أفعال تلك القوى وسبب تعطلها، ولذا لم يحتاجوا إلى ذكر ما أوردنا من التمثيل، ونحن إِنَّمَا ذكرنا هذا التمثيل لتتضح دلالتها على صانعها ومدبرها، إذ هذه مقصودنا من ذكرها.

ويحتمل أن يكون الغرض رفع توهم أن ذكر هذه القوى بعد كونها مذكورة في كتب الأطباء فضّل لا حاجة إليه، بأن الغرض مُختلف في بياننا وبيانهم، وبذلك يختلف التقرير أيضاً، فلذا ذكرناها هنا بهذا التقرير الشافي، فالضمير في قوله: «وُصِفَتْ» على بناء المجهول راجع إلى القوى، والعائدُ محذوف، أي «وُصِفَتْ به» لكنه بعيد.

[١٢١] دون الجميع^(١)، أي فضلاً عن الجميع.

[١٢٢] يقال: سلا عنه^(٢)، أي نسيه.

[١٢٣] إقراء الضيف^(٣): ضيافتهم وإكرامهم.

[١٢٤] التَّنَكُّبُ^(٤): التَّجَنُّبُ.

[١٢٥] وُقِّي^(٥) - على بناء المجهول - من التَّوْفِيَةِ وهي إعطاء الشيء وافيّاً.

[١٢٦] كلامه هاهنا^(٦) مُشعَّرٌ بأنّ واضع اللغات البَشَرُ، فتدبر.

(١) الصفحة ١٠٥، السطر ٦ - ٧.

(٢) الصفحة ١٠٥، السطر ٨.

(٣) الصفحة ١٠٦، السطر ١.

(٤) الصفحة ١٠٦، السطر ٢.

(٥) الصفحة ١٠٦، السطر ٥.

(٦) من السطر ٧ من الصفحة ١٠٦، إلى آخر سطر من ص ١٠٧.

- [١٢٧] أَنهَمَكَ^(١) الرَّجُلُ فِي الْأَمْرِ، أَي جَدَّ وَلَجَّ.
- [١٢٨] التَّسَلَّفُ^(٢): الْاِقْتِرَاضُ، كَأَنَّهُ يُجْرِي مَعَامَلَةً مَعَ رَبِّهِ، بِأَن يَتَصَرَّفَ فِي اللَّذَاتِ عَاجِلًا، وَيَعِدُّ رَبَّهُ فِي عَوَضِهَا التَّوْبَةَ لِيُؤَدِّيَ إِلَيْهِ أَجَلًا. وَفِي بَعْضِ النُّسخ: يَسْتَسَلِفُ، وَهُوَ طَلَبُ بَيْعِ الشَّيْءِ سَلْفًا.
- [١٢٩] الْمُعَانَاةُ^(٣): مَقَاسَاةُ الْعَنَاءِ وَالْمَشَقَّةِ.
- [١٣٠] يَرْهَقُهُ^(٤)، أَي يَغْشَاهُ وَيَلْحَقُهُ.
- [١٣١] انْتِهَاكَ الْمَحَارِمِ^(٥): الْمَبَالِغَةُ فِي خَرْقِهَا وَإِتْيَانِهَا.
- [١٣٢] الْارْعَوَاءُ^(٦): الْكُفُّ عَنِ الشَّيْءِ، وَقِيلَ: النَّدَمُ عَلَى الشَّيْءِ وَالانْصِرَافُ عَنْهُ وَتَرْكُهُ.
- [١٣٣] الْمَرَحُ^(٧): شِدَّةُ الْفَرَحِ.
- [١٣٤] قَالَ الْفَيْرُوزْ أَبَادِي: الْعَقِيلَةُ^(٨) مَنْ كُلَّ شَيْءٍ: أَكْرَمُهُ ... وَكَرِيمَةُ الْإِبِلِ. وَقَالَ: الْعِقَالُ - كَكِتَابٍ -: زَكَاةُ عَامٍ مِنَ الْإِبِلِ^(٩).
- [١٣٥] التَّفَكُّهُ^(١٠): التَّنَعُّمُ.

(١) الصفحة ١٠٩، السطر ١٢.

(٢) الصفحة ١١٠، السطر ٩.

(٣) الصفحة ١١٠، السطر ١١.

(٤) الصفحة ١١١، السطر ١.

(٥) الصفحة ١١١، السطر ٧.

(٦) الصفحة ١١١، السطر ٩.

(٧) الصفحة ١١١، السطر ٩.

(٨) الصفحة ١١١، السطر ١٧.

(٩) القاموس المحيط ٤: ١٩.

(١٠) الصفحة ١١٢، السطر ١٣.

[١٣٦] الْكِلْسُ ^(١) - بالكسر -: الصَّارُوجُ.

[١٣٧] قوله ﷺ: «لِلْأَرْضِ» ^(٢) أَي لِفَرْشِهَا.

[١٣٨] جَنَى ^(٣) الذَّنْبَ عَلَيْهِ يَجْنِيهِ جِنَايَةً: جَزَهُ إِلَيْهِ.

[١٣٩] الْجِدَّةُ ^(٤) - بالتخفيف -: الْغَنَاءُ.

[١٤٠] قوله ﷺ: «فِي تَشَابِهِ الْأَشْيَاءِ» ^(٥) أَي قَدْ يَشْتَبِه مَالُ شَخْصٍ بِمَالِ

شَخْصٍ آخَرَ - كَثُوبٌ أَوْ نَعْلٌ أَوْ دِينَارٌ أَوْ دِرْهَمٌ - فَيَصِيرُ سَبَباً لِلِاشْتِبَاهِ وَالتَّشَاجُرِ وَالتَّنَازَعِ، فَضْلاً عَنْ تَشَابِهِ الصُّورَةِ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ فُسَاداً. وَالمَرَادُ: أَنَّ النَّاسَ كَثِيراً مَا يَشْتَبِه عَلَيْهِمْ أَمْرٌ رَجُلَيْنِ لِتَشَابِهِ لِبَاسِهِمَا وَمَرْكُوبِهِمَا وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَيُؤْخَذُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، فَكَيْفَ مَعَ تَشَابِهِ الصُّورَةِ؟

[١٤١] قوله ﷺ: «اشْتَبَهَتْ مَقَادِيرُهَا» ^(٦) أَي لَمْ يُعْرَفْ غَايَةُ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ

مَقْدَارُهُ، فَيَشْتَبِه الْأَمْرُ عَلَيْهِ فِيمَا يَرِيدُ أَنْ يَهَيِّئَهُ لِنَفْسِهِ مِنْ دَارٍ وَدَائِبَةٍ وَثِيَابٍ وَزُجْجَةٍ.

[١٤٢] قوله ﷺ: «وَيَجْفُو» ^(٧) أَي يَبْعُدُ وَيَجْتَنِبُ وَلَا يُدَاوِمُ عَلَى

الصَّنَاعَاتِ اللَّطِيفَةِ، أَيِ الَّتِي فِيهَا دَقَّةٌ وَلَطَافَةٌ. قَالَ الْجَزْرِيُّ: وَفِي الْحَدِيثِ: اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، أَيِ تَعَاهَدُوهُ وَلَا تَبْعُدُوا عَنْهُ.

(١) الصفحة ١١٣، السطر ١.

(٢) الصفحة ١١٣، السطر ٢.

(٣) الصفحة ١١٥، السطر ٣.

(٤) الصفحة ١١٦، السطر ٥.

(٥) الصفحة ١١٦، السطر ٣. والذي أثبتناه في المتن «تشابه الأسماء».

(٦) الصفحة ١١٧، السطر ٣.

(٧) الصفحة ١١٧، السطر ٦. والذي أثبتناه في المتن «وتجفو».

تِلَاوَتِهِ، انتهى^(١).

والحاصل: أَنَّ الله تعالى جَعَلَ الإنسانَ بحيثُ يثقلُ عن الحركة والمشى قبل سائر الحيوانات، ويكُلُّ عن الأعمال الدقيقة، لتعظم عليه مؤونة تحصيل ما يحتاج إليه فلا يبطر ولا يطغى، أو ليكون لهذه الأعمال أَجْرٌ فيصيرُ سبباً لمعاشِ أقوامٍ يُزاولونها.

[١٤٣] الدُّعَارُ^(٢): في بعض النسخ بالمهملة من الدَّعْرِ - محرَّكةً - [وهو] الفسادُ والفِسْقُ والخُبْثُ. وفي بعضها بالمعجمة من الدَّغْرِ وهى أخذُ الشيءِ اختِلاساً.

[١٤٤] العِرْسُ^(٣) - بالكسر -: امرأةُ الرَّجُلِ.

[١٤٥] الخَوْلُ^(٤) - محرَّكة -: ما أعطاك الله من النِّعم والعبيد والإماء.

[١٤٦] المُفَاكَهَةُ^(٥): المُمَارَحَةُ والمُضَاكَهَةُ.

[١٤٧] قوله عليه السلام: «وَتَتَخَلَّلُ مواضع الخطأ»^(٦) يحتمل أن تكون الجملة حاليَّةً، أي تأتي بالصواب مع أنها تدخُلُ مواضع هي مظنةُ الخطأ، من قولهم: تَخَلَّلْتُ القومَ أي دخلتُ خلالهم. ويحتمل أن يكون المراد بالتخلُّل التخلُّفُ أو الخُرُوجُ من خلالها، لكنَّ تطبيقهما على المعاني

(١) النهاية الأثرية ١: ٢٨١.

(٢) الصفحة ١١٧، السطر ١٢.

(٣) الصفحة ١١٩، السطر ٢.

(٤) الصفحة ١١٩، السطر ٢.

(٥) الصفحة ١١٩، السطر ٤.

(٦) الصفحة ١١٩، السطر ٥.

اللغوية يحتاج إلى تكلف.

[١٤٨] «مدير الأدوار»^(١) لعل فيه مضافاً محذوفاً، أي ذوي الأدوار، أو الإسناد مجازي. وفي بعض النسخ بالباء الموحدة، وهو أظهر.

[١٤٩] الأكوار^(٢): جمع كَوْر - بالفتح - وهو الجماعة الكثيرة من الإبل والقطيع من الغنم، ويقال: كُلُّ دَوْرٍ كَوْرٌ^(٣). والمُرَادُ إمَّا استثنافُ قرنٍ بعد قرن وزمان بعد زمان، أو إعادةُ أهل الأكوار والأدوار جميعاً في القيامة، والأوّل أظهر.

[١٥٠] قال الجزري: قِيلَ لِلْقَرْنِ طَبَقٌ^(٤) لَأَنَّهُمْ طَبَقُوا لِلْأَرْضِ ثُمَّ يَنْقَرِضُونَ فَيَأْتِي طَبَقٌ آخَرُ^(٥).

[١٥١] قوله ﷺ: «في نظائر»^(٦) أي قالها في ضمن نظائر لها، أو مع نظائرها.

[١٥٢] قوله ﷺ: «إنما هي»^(٧) أي المَثُوبَاتُ والعُقُوبَاتُ، «أعمالكم» أي جزاؤها.

(١) الصفحة ١٢١، السطر ٣. والذي أثبتناه في المتن «مدير الأدوار».

(٢) الصفحة ١٢١، السطر ٣.

(٣) في العبارة غموض، والمراد قول اللغويين: كَارَ الرَّجُلُ الْعِمَامَةَ كَوْرًا: أدارها على رأسه، وكُلُّ دَوْرٍ كَوْرٌ تسميةً بالمصدر.

(٤) الصفحة ١٢١، السطر ٣ - ٤.

(٥) النهاية الأثرية ٣: ١١٣. في شرح شعر العباس:

إذا مضى عالمٌ بدا طَبَقٌ

قال: يقول: إذا مضى قَرْنٌ بدا قَرْنٌ، وقيل للقرن... الخ.

(٦) الصفحة ١٢١، السطر ٧.

(٧) الصفحة ١٢٢، السطر ١.

[١٥٣] العَمَّةُ^(١): التَّحْيِيرُ والتَّرْدُّدُ.

[١٥٤] الْحَيْدُ^(٢): الْمَيْلُ.

[١٥٥] الْمَذْرَجَةُ^(٣): الْمَذْهَبُ وَالْمَسْلَكُ.

[١٥٦] رَحْزَحَةٌ^(٤): أَبْعَدُهُ.

[١٥٧] الْإِثْنَاءُ^(٥): الْإِنْعَاطُفُ وَالْمَيْلُ.

[١٥٨] قوله عليه السلام: «ولا يغرون»^(٦) في بعض النسخ بالغين المعجمة والراء المهملة على بناء المفعول، من قولهم: أَغْرَيْتُ الْكَلْبَ بِالصَّيْدِ، أي لا يُؤَوَّرُ فيهم الإغراء، والتحريض على جميع الأعمال التي يحتاج إليها الخلق من ذلك العمل الذي تأتي به الدواب. وفي بعضها بالعين المهملة والزاي المعجمة، من عَزَي - من باب تَعَبَ - أي صبر على ما نابه، والأوَّلُ أظهر. [١٥٩] الْفَادِخُ^(٧)، من قولهم: فَدَحَهُ الدَّيْنُ: أَثْقَلَهُ.

(ثم اعلم أنه ينبغي حمل السؤال^(٨) على أنه كان يمكن أن يُكْتَفَى بخلق الحيوانات لأنَّ بعضَهم ينتقادون ويطيعون بعضاً، فالجواب منطبق من غير تكلف)^(٩).

(١) الصفحة ١٢٢، السطر ٢.

(٢) الصفحة ١٢٢، السطر ٥.

(٣) الصفحة ١٢٢، السطر ٥.

(٤) الصفحة ١٢٢، السطر ٦.

(٥) الصفحة ١٢٣، السطر ١.

(٦) الصفحة ١٢٤، السطر ٨. والذي أثبتناه في المتن «يُغْرُونَ».

(٧) الصفحة ١٢٤، السطر ١٢.

(٨) السؤال المذكور في السطرين ٥ - ٦ من الصفحة ١٢٤.

(٩) عن البحار المطبوع.

[١٦٠] «أوكدّها»^(١) أي أوكد الأشياء وأحوجها إلى هذا النوع من الخلق هذه الصناعات. (ويحتمل إرجاع الضمير إلى جنس البشر فيكون فعلاً أي ألزمها أو ألهمها هذه الصناعات. ولا يبعد إرجاعه إلى الأكف أيضاً)^(٢).
[١٦١] قوله ﷺ: «مدمجة»^(٣) أي انضم بعضها إلى بعض، قال الجوهرى: دَمَجَ الشَّيْءُ دُمُوجاً، إِذَا دَخَلَ فِي الشَّيْءِ وَاسْتَحْكَمَ فِيهِ ...، وَأَدْمَجْتُ الشَّيْءَ، إِذَا لَفَقْتُهُ فِي ثَوْبٍ^(٤). وفي بعض النسخ: مُدَبِّحَةٌ بالباء والحاء المهملة، ولعل المراد مُعَوِّجَةً، من قولهم: دَبَّحَ تَذِيحاً، أي بَسَطَ ظَهْرَهُ وَطَاطَأَ رَأْسَهُ، وهو تصحيف^(٥).

[١٦٢] البرائن^(٦) من السباع والطير بمنزلة الأصابع من الإنسان.

[١٦٣] المِخْلَبُ^(٧): ظَفَرُ الْبُرْثَنِ.

[١٦٤] الْمُتَمَلِّمُ^(٨) - بفتح اللامين -: الْمُجْتَمِعُ الْمُدَوَّرُ الْمُصْمُومُ.

[١٦٥] الْأَخْمَصُ^(٩) من باطن القدم: ما لا يُصِيبُ الْأَرْضَ.

[١٦٦] السَّدْقُ^(١٠): جَانِبُ الْفَمِ.

(١) الصفحة ١٢٥، السطر ٦.

(٢) عن البحار المطبوع.

(٣) الصفحة ١٢٥، السطر ٩.

(٤) الصحاح ١: ٣١٥-٣١٦.

(٥) الصواب أن النسخة الأخرى «مُدَبِّحَةٌ» وهي صحيحة المعنى.

(٦) الصفحة ١٢٥، السطر ٩.

(٧) الصفحة ١٢٥، السطر ٩.

(٨) الصفحة ١٢٦، السطر ١.

(٩) الصفحة ١٢٦، السطر ١.

(١٠) الصفحة ١٢٦، السطر ٤.

[١٦٧] الطَّعْمُ^(١) - بالضم - : الطَّعَامُ.

[١٦٨] الْأُمَاتُ^(٢) : جمعُ الْأُمِّ. وقيل : إنما تستعمل في البهائم ، وأما في الناس فيقال : أُمّهاتٌ.

[١٦٩] يقال : قابَ الطَّيْرُ بِيضَتَهُ : فَلَقَهَا ، فَأُنْقَابَتْ^(٣).

[١٧٠] الْيَمَامُ^(٤) : حَمَامُ الْوَحْشِ.

[١٧١] الْحُمُرُ^(٥) - بضم الحاء وفتح الميم - : طائرٌ ، وقد يشدّد الميم.

[١٧٢] يقال : مَجَّ^(٦) الرَّجُلُ الطَّعَامَ مِنْ فِيهِ ، إِذَا رَمَى بِهِ.

[١٧٣] الْمَوْدَعُ^(٧) من الخيل - بفتح الدال - : الْمُسْتَرِيحُ.

[١٧٤] نَيْرُ^(٨) الْفَدَانِ - بالكسر - : الْخَشَبَةُ الْمُعْتَرِضَةُ فِي عُنُقِ الثَّوْرَيْنِ.

[١٧٥] قوله عليه السلام : «يَرْكَبُ السَّيْفُ»^(٩) أي يستقبلها بجُرْأَةٍ كَأَنَّهُ يَرْكَبُهَا ، أَوْ

بمعنى يَرْتَكِبُ مَوَاجَهَتَهَا.

[١٧٦] الْمُؤَاتَاةُ^(١٠) : الْمُوَافَقَةُ.

(١) الصفحة ١٢٦ ، السطر ١.

(٢) الصفحة ١٢٦ ، السطر ١٢.

(٣) الصفحة ١٢٧ ، السطر ٤.

(٤) الصفحة ١٢٧ ، السطر ٥.

(٥) الصفحة ١٢٧ ، السطر ٥.

(٦) الصفحة ١٢٧ ، السطر ٦.

(٧) الصفحة ١٢٨ ، السطر ٥.

(٨) الصفحة ١٢٨ ، السطر ٧.

(٩) الصفحة ١٢٨ ، السطر ٨.

(١٠) الصفحة ١٢٨ ، السطر ٨.

- [١٧٧] الدَّبِيبَةُ^(١) - كَعْنَبَةُ - جَمْعُ الدُّبِّ .
- [١٧٨] يُقال : أَحْجَمَ^(٢) القَوْمُ عنه ، أي نَكَّصُوا وتأخروا وتهَيَّبُوا أَخَذَهُ .
- [١٧٩] ساوَرَهُ^(٣) : وائْتَبَهُ .
- [١٨٠] يُقال : حَامَيْتُ^(٤) عنه ، أي مَنَعْتُ مِنْهُ .
- [١٨١] العَيْنُ^(٥) - بالفتح - : الغِلْظُ في الجِسمِ والخُسُونَةُ .
- [١٨٢] الخَفَرُ^(٦) : المَنْعُ .
- [١٨٣] شَخِصَ^(٧) البَصْرُ : ارتفع ، وشَخِصَ الرَّجُلُ بَصْرَهُ : إذا فَتَحَ عَيْنِيهِ .
- [١٨٤] الخَطْمُ^(٨) - بالفتح - من كُلِّ طائرٍ : منقارُهُ ، ومن كُلِّ دابةٍ : مقدَّمُ أنْفِهِ وفيهِ .
- [١٨٥] قَضِمَ^(٩) - كَسَمَعَ - : أَكَلَ بِأَطْرافِ أَسْنانِهِ .
- [١٨٦] الجَحْفَلَةُ^(١٠) : بمنزلةِ السَّفَةِ للبالغِ والحميرِ والخيلِ ، وهي بتقديم الجيم على الحاء المهملة .

(١) الصفحة ١٢٩ ، السطر ٣ .

(٢) الصفحة ١٢٩ ، السطر ٥ .

(٣) الصفحة ١٢٩ ، السطر ٧ .

(٤) الصفحة ١٢٩ ، السطر ٩ .

(٥) الصفحة ١٣٠ ، السطر ٤ . والذي أثبتناه في المتن «أعين» .

(٦) الصفحة ١٣٠ ، السطر ٥ .

(٧) الصفحة ١٣٠ ، السطر ٧ .

(٨) الصفحة ١٣٠ ، السطر ٩ .

(٩) الصفحة ١٣١ ، السطر ٢ .

(١٠) الصفحة ١٣١ ، السطر ٢ .

[١٨٧] الطَّبَقُ^(١) - محرّكة -: غِطَاءُ كُلِّ شَيْءٍ .

[١٨٨] الْحَيَاءُ^(٢) : الْفَرْجُ .

[١٨٩] المراد بمراقى^(٣) البطن ما ارتفع منه مِنْ وَسْطِهِ أَوْ قُرْبَ مِنْهُ .

[١٩٠] الْوَصْرُ^(٤) : الدَّرَنُ .

[١٩١] الْمِذْبَةُ^(٥) - بكسر الميم -: مَا يُذَبُّ بِهِ الذُّبَابُ .

[١٩٢] بَطَحَهُ^(٦) : أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ .

[١٩٣] كَفَحْتُهُ كَفْحاً وَكِفَاحاً^(٧) : إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ .

[١٩٤] الْمِشْفَرُ^(٨) مِنْ الْبَعِيرِ : كَالْجَحْفَلَةِ مِنَ الْفَرَسِ .

[١٩٥] قال الجوهري : الرَّزَافَةُ^(٩) وَالرُّزَافَةُ - بفتح الزاي وضمّها مخففة

الفاء -: دَابَّةٌ يُقَالُ لَهَا بِالْفَارَسِيَّةِ : أَشْتَرُ گاو پَلَنگُ^(١٠) .

[١٩٦] قال الفيروزآبادي : السَّمْعُ^(١١) - بكسر السين وسكون الميم -: وَلَدٌ

(١) الصفحة ١٣١ ، السطر ٤ .

(٢) الصفحة ١٣١ ، السطر ٤ .

(٣) الصفحة ١٣١ ، السطر ٥ . والذي أثبتناه في المتن «مَرَأَى البطن» وهي مَارَقٌ مِنْهُ وَلَانْ ، واحداً مَرَقٌ ، أو لا واحد لها .

(٤) الصفحة ١٣١ ، السطر ٥ .

(٥) الصفحة ١٣١ ، السطر ٦ .

(٦) الصفحة ١٣١ ، السطر ١٤ .

(٧) الصفحة ١٣٢ ، السطر ٣ .

(٨) الصفحة ١٣٢ ، السطر ٥ .

(٩) الصفحة ١٣٣ ، السطر ١١ .

(١٠) الصحاح ٤ : ١٣٦٩ .

(١١) الصفحة ١٣٤ ، السطر ٨ .

الدُّب من الضَّبُع [يزعمون أنه] لا يموت حتفه أنفه كالحَيَّة، وعدَّوهُ أَسْرَعُ مِنَ الطَّيْرِ، ووُثِبَتْهُ تَزِيدُ عَلَى ثَلَاثِينَ ذِرَاعاً^(١).

[١٩٧] وقال [الفيروزآبادي]: شَحِيحُ^(٢) البغلِ والحمارِ: صَوْتُهُ^(٣).

[١٩٨] الْغِيَاطِلُ^(٤): جَمْعُ الْغَيْطَلِ، وَهُوَ الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمُتَنَفِّ.

[١٩٩] قوله ﷺ: «أَنْ يَكُونَ»^(٥) أَي خُلِقَ كَذَلِكَ لِأَنْ يَكُونَ عِبْرَةً لِلْإِنْسَانِ.

[٢٠٠] السَّنَخُ^(٦) - بالكسر -: الْأَصْلُ.

[٢٠١] قوله: «بِالصَّحَّةِ هُوَ النَّقْصُ فِي الْعَقْلِ»^(٧) أَي الْفَضْلُ الصَّحِيحُ الَّذِي

يَضْلُحُ واقِعاً أَنْ يَكُونَ فَاصِلاً. وَفِي أَكْثَرِ النُّسخ: «وَهُوَ» وَعَلَى هَذَا لَا يَبْعَدُ

أَنْ تَكُونَ تَصْحِيفُ «الْقِحَّة» أَي قَلَّةُ الْحَيَاءِ.

[٢٠٢] قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: قَالَ الْكَسَائِيُّ: رَجُلٌ حَافٍ بَيْنَ الْحَفْوَةِ وَالْحِفَاءِ

بِالْمَدِّ، وَهُوَ الَّذِي يَمْشِي بِلا خُفٍّ وَلَا نَعْلٍ، وَقَالَ: وَأَمَّا الَّذِي حَفِيٍّ مِنْ

كَثْرَةِ الْمَشْيِ - أَي رَفَّتْ قَدَمُهُ أَوْ حَافِرُهُ - فَإِنَّهُ حَفٍ بَيْنَ الْحَفَا^(٨)؛ مَقْصُوراً،

وَأَحْفَاءُ غَيْرُهُ، انْتَهَى^(٩).

(١) انظر القاموس المحيط ٣: ٤١.

(٢) الصفحة ١٣٤، السطر ١٢.

(٣) انظر القاموس المحيط ١: ١٩٥. وفيه «شحيحُ البغلِ والغرابِ صوته».

(٤) الصفحة ١٣٥، السطر ٥.

(٥) الصفحة ١٣٥، السطر ١٣.

(٦) الصفحة ١٣٦، السطر ١.

(٧) الصفحة ١٣٦، السطر ٦.

(٨) الصفحة ١٣٦، السطر ١٠.

(٩) انظر الصحاح ٦: ٢٣١٦.

[٢٠٣] قوله ﷺ: «وَرَوْعَةٌ»^(١) من قولهم: راعني الشيء: أعجبني.

[٢٠٤] السَّرْبُ^(٢) - بالكسر - والسَّرْبَةُ: القطيع من الظباء والقطا والخيل ونحوها، والجمع أسراب.

[٢٠٥] المَهَاءُ^(٣): البقرة الوحشية، والجمع مَهَا.

[٢٠٦] الوَعْلُ - بالفتح وكسيف -: نيس الجبل، والجمع وعال ووُعول^(٤).

[٢٠٧] الإَيْلُ - بضم الهمزة وكسرها وفتح الياء المشددة وكسيد -: الذكور من الأوعال، ويقال: هو الذي يسمى بالفارسية: «گوزن»، والجمع أيايل^(٥).

[٢٠٨] القانص^(٦): الصائد.

[٢٠٩] خَلَصَ إِلَيْهِ^(٧) وَصَلَ.

[٢١٠] المرادُ بالتمثيل^(٨) ما ذكره الله تعالى في قصة قابيل.

[٢١١] المَعَرَّةُ^(٩): الأذى.

(١) الصفحة ١٣٧، السطر ٧.

(٢) الصفحة ١٣٨، السطر ٦.

(٣) الصفحة ١٣٨، السطر ٦.

(٤) الصفحة ١٣٨، السطر ٧.

(٥) الصفحة ١٣٨، السطر ٧.

(٦) الصفحة ١٣٨، السطر ١٠.

(٧) الصفحة ١٣٨، السطر ١٣.

(٨) قوله في السطر ١٣ من الصفحة ١٣٨ «وعلموه بالتمثيل الأول الذي مثّل لهم».

(٩) الصفحة ١٣٨، السطر ١٤.

- [٢١٢] قوله: «لا بعقلٍ وروية»^(١) لعل المراد أن هذه الأمور من محض لطيفه تعالى حيث يلهمهم ذلك لا بعقل وروية. وفي أكثر النسخ: لا يعقل ومروته^(٢)، وهو تصحيف، والمراد معلوم.
- [٢١٣] الجُهد^(٣): الطَّاقَةُ والمَشَقَّةُ، أي أصابته مشقة عظيمة من العطش.
- [٢١٤] العَجِيجُ^(٤): الصَّياحُ ورفَعُ الصَّوتِ.
- [٢١٥] أَغَوَزَهُ الشَّيْءُ^(٥)، أي احتاج إليه.
- [٢١٦] التَّماوُثُ^(٦): إظهارُ الموتِ حيلةً.
- [٢١٧] المُساوَرَةُ^(٧): هي الوُثوبُ على وجه الصَّيدِ.
- [٢١٨] قال الفيروزآبادي: الدُّلْفِينُ^(٨) - بالضم - دابةٌ بحريَّةٌ تُنَجِّي الغريقَ^(٩).

- [٢١٩] قوله ﷺ: «يُنَوِّرُ الماءَ»^(١٠) أي يَهَيِّجُهُ وَيُحَرِّكُهُ.
- [٢٢٠] التَّنِينُ^(١١): حَيَّةٌ عظيمةٌ معروفةٌ.

(١) الصفحة ١٣٩، السطر ٤.

(٢) لم نجد هذا ولا في نسخة من نُسخنا.

(٣) الصفحة ١٣٩، السطر ٦.

(٤) الصفحة ١٣٩، السطر ٦.

(٥) الصفحة ١٣٩، السطر ١١.

(٦) الصفحة ١٣٩، السطر ١١.

(٧) الصفحة ١٣٩، السطر ١٤.

(٨) الصفحة ١٤٠، السطر ٢.

(٩) القاموس المحيط ٣: ١٤١.

(١٠) الصفحة ١٤٠، السطر ٣.

(١١) الصفحة ١٤٠، السطر ٧، في قول المفضل «خبرني يا مولاي عن التنين».

[٢٢١] نَقَفَهُ^(١)، أَي وَجَدَهُ.

[٢٢٢] الْقَيْظُ^(٢): صَمِيمُ الصَّيْفِ مِنْ طُلُوعِ الثَّوْبِ إِلَى طُلُوعِ سُهَيْلٍ.

[٢٢٣] الصَّخْوُ^(٣): ذَهَابُ الْغَيْمِ.

[٢٢٤] الْاِخْتِشَادُ^(٤): الْاجْتِمَاعُ.

[٢٢٥] الرُّيْبَةُ^(٥) - بِالضَّمِّ -: الْحُفْرَةُ.

[٢٢٦] النَّشْرُ^(٦) - بِالْفَتْحِ وَالتَّحْرِيكِ -: الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ.

[٢٢٧] قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: اللَّيْثُ^(٧): الْأَسَدُ، وَضَرَبَ مِنَ الْعَنَاكِبِ يَضْطَاذُ

الدُّبَابَ بِالْوُثْبِ، انْتَهَى^(٨).

[٢٢٨] الْمَوَاتُ^(٩) - بِالْفَتْحِ -: مَا لَا رُوحَ فِيهِ.

[٢٢٩] يُقَالُ: مَا بِهِ خَرَاكُ^(١٠) - كَسَحَابٍ - أَي حَرَكَتٌ.

[٢٣٠] السَّرَكُ^(١١) - بِالتَّحْرِيكِ -: حِبَالَةُ الصَّائِدِ.

(١) الصفحة ١٤٠، السطر ٨.

(٢) الصفحة ١٤٠، السطر ١٠.

(٣) الصفحة ١٤٠، السطر ١٠.

(٤) الصفحة ١٤١، السطر ٧.

(٥) الصفحة ١٤١، السطر ٨.

(٦) الصفحة ١٤١، السطر ١٢. وفي متن «ب» والشرح هنا «نَشْر» بالراء، لكن يبدو أنه من غلط النسخ، لأنَّ شرح المجلسي عليه السلام يقتضي أنها بالزاي المعجمة.

(٧) الصفحة ١٤٢، السطر ١.

(٨) الصحاح ١: ٢٩٢.

(٩) الصفحة ١٤٢، السطر ٣.

(١٠) الصفحة ١٤٢، السطر ٣.

(١١) الصفحة ١٤٢، السطر ٧.

- [٢٣١] يقال: أحوال عليه^(١) بالسَّوْطِ يَضْرِبُهُ، أي أقبَل.
- [٢٣٢] قوله ﷺ: «فلا يضع منه»^(٢) أي لا ينقُص من قدر المعنى النفيس تمثيلاً بالشيء الحقير. قال الفيروز آبادي: وَضَعَ عَنْهُ: حَطَّ مِنْ قَدْرِهِ^(٣).
- [٢٣٣] أَقْلَهُ^(٤) أي حَمَلَهُ وَرَفَعَهُ.
- [٢٣٤] جَسَا^(٥) - كَدَعَا -: صَلَبَ وَيَسَسَ.
- [٢٣٥] يقال: سَحَجْتُ^(٦) جِلْدَهُ فأنسَحَجَ، أي قَشَرْتُهُ فأنقَشَرَ.
- [٢٣٦] التَّقْصُفُ^(٧): التَّكْسُرُ.
- [٢٣٧] الغَرِيضُ^(٨): الطَّرِيُّ، أي غَيْرُ مَطْبُوخٍ.
- [٢٣٨] العَجَمُ^(٩) - بالتَّحْرِيك -: النُّوى.
- [٢٣٩] حَصَنَ^(١٠) الطَّاوِزُ يَحْصُنُهُ يَحْصُنُهُ: إِذَا ضَمَّهُ إِلَى نَفْسِهِ تَحْتَ جَنَاحِهِ.
- [٢٤٠] رَقَّ^(١١) الطَّاوِزُ فَرَخَهُ يَرْقُّهُ، أي أَطْعَمَهُ فِيهِ.
- [٢٤١] تَقَوَّى^(١٢)، أي تَصَيَّحَ.

(١) الصفحة ١٤٢، السطر ٨.

(٢) الصفحة ١٤٢ - ١٤٣، السطر ١٣ - ١٠.

(٣) القاموس المحيط ٣: ٩٤.

(٤) الصفحة ١٤٣، السطر ٨.

(٥) الصفحة ١٤٣، السطر ١٠.

(٦) الصفحة ١٤٣، السطر ١٠.

(٧) الصفحة ١٤٣، السطر ١١.

(٨) الصفحة ١٤٣، السطر ١٢.

(٩) الصفحة ١٤٣، السطر ١٣.

(١٠) الصفحة ١٤٤، السطر ٥.

(١١) الصفحة ١٤٤، السطر ٧.

(١٢) الصفحة ١٤٥، السطر ٣.

[٢٤٢] الْمُحُّ^(١) - بضم الميم والحاء المهملة -: صُفْرَةُ الْبَيْضِ . وفي بعض النسخ بالحاء المعجمة .

[٢٤٣] قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : أَخْزَرْتُ^(٢) الرُّبْدَ : تركته خائراً ، وذلك إذا لم تَذِبْهُ^(٣) .

[٢٤٤] تَنْقَابُ^(٤) ، أَي تَنْفَلِقُ .

[٢٤٥] الْمَرْجُ^(٥) - بالتحرير -: الفساد والاضطراب والاختلاط . وفي بعض النسخ بالزاي المعجمة ، والأوّل أظهر .

[٢٤٦] الْوَشْيُ^(٦) : نقش الثوب ، ويكون من كلّ لونٍ .

[٢٤٧] السُّلُوكُ^(٧) : جَمْعُ السِّلْكِ وهو جَمْعُ السِّلْكَةِ - بالكسر -: الخيط يُخاطُ بِهِ .

[٢٤٨] ماءٌ ضَخْضَاخٌ^(٨) ، أَي قَرِيبُ الْقَعْرِ .

[٢٤٩] الرِّيْثَةُ^(٩) - بالهمز -: العَيْنُ وَالطَّلِيْعَةُ الَّذِي يَنْظُرُ لِلْقَوْمِ لِيَتْلَا يَدَهُمُ عَدُوٌّ ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى جَبَلٍ أَوْ شَرَفٍ .

(١) الصفحة ١٤٥ ، السطر ٧ .

(٢) الصفحة ١٤٥ ، السطر ٧ .

(٣) هذا النص بعينه في الصحاح ٢ : ٦٤٢ .

(٤) الصفحة ١٤٥ ، السطر ٨ .

(٥) الصفحة ١٤٧ ، السطر ٣ .

(٦) الصفحة ١٤٧ ، السطر ٥ .

(٧) الصفحة ١٤٧ ، السطر ٩ .

(٨) الصفحة ١٤٨ ، السطر ٤ .

(٩) الصفحة ١٤٨ ، السطر ٤ .

[٢٥٠] المَرْقَبُ^(١): المَوْضِعُ المُشْرِفُ يَرْتَفِعُ عَلَيْهِ الرَّقِيبُ.

[٢٥١] الدُّعْرُ^(٢): الخَوْفُ.

[٢٥٢] البَشْمُ^(٣) - محرّكة -: التُّخْمَةُ والسَّامَةُ، بِشَم - كَفَرَح - وأُبَشْمَةُ الطَّعَامُ.

[٢٥٣] الفَرَّاشُ^(٤): هي الَّتِي تَقَعُ فِي السَّرَاجِ.

[٢٥٤] اليَغْسُوبُ^(٥): أَمِيرُ النَّحْلِ، وَطَائِرٌ أَصْغَرُ مِنَ الْجَرَادَةِ أَوْ أَعْظَمُ.

[٢٥٥] قوله ﷺ: «ناشزتين»^(٦) - بالمعجمة - أي مرتفعتين. وفي بعض النسخ بالمهملة، أي مَبْسُوطَتَيْنِ.

[٢٥٦] السُّرَى^(٧): السَّيْرُ بِاللَّيْلِ.

[٢٥٧] قال الفيروز آبادي: التُّمْرَةُ - كَقُبْرَةٍ - وابنُ ثُمْرَةٍ^(٨): طَائِرٌ أَصْغَرُ مِنَ

العُصْفُورِ، انتهى^(٩).

[٢٥٨] فَغَرَّ فَاهُ^(١٠)، أي فَتَحَهُ.

(١) الصفحة ١٤٨، السطر ٥.

(٢) الصفحة ١٤٨، السطر ٧.

(٣) الصفحة ١٤٩، السطر ٧.

(٤) الصفحة ١٥٠، السطر ٥.

(٥) الصفحة ١٥٠، السطر ٦.

(٦) الصفحة ١٥١، السطر ٤.

(٧) الصفحة ١٥١، السطر ٦.

(٨) الصفحة ١٥٢، السطر ٦.

(٩) القاموس المحيط ١: ٣٨٠.

(١٠) الصفحة ١٥٢، السطر ٧.

- [٢٥٩] الْحَسَكُ ^(١) - محرَّكة -: نَبَاتٌ تَعْلَقُ ثَمَرَتُهُ بِصُوفِ الْغَنَمِ .
- [٢٦٠] قوله عليه السلام: «غَبِيًّا جَاهِلًا» ^(٢) أي ليس له عَقْلٌ يَتَصَرَّفُ فِي سَائِرِ الْأَشْيَاءِ عَلَى نَحْوِ تَصَرُّفِهِ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمَخْصُوصِ ، فَظَهَرَ أَنَّ خُصُوصَ هَذَا الْأَمْرِ إِلَهَامٌ مِنْ مَدْبِرِ حَكِيمٍ ، أَوْ خَلْقَةٌ وَطَبِيعَةٌ جَبَلَةٌ عَلَيْهَا ، لِيَصْدُرَ عَنْهُ خُصُوصُ هَذَا الْأَمْرِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ مَعَ كَوْنِهِ غَافِلًا عَنِ الْمَصْلَحَةِ أَيْضًا ، وَلَعَلَّ هَذَا يُؤَيِّدُ مَا يُقَالُ : إِنَّ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجَمَ غَيْرُ مُدْرِكَةٍ لِلْكُلِّيَّاتِ .
- [٢٦١] يُقَالُ : ذَلَفَتِ ^(٣) الْكَتِيبَةُ فِي الْحَرْبِ ، أَيِ تَقَدَّمَتْ . وَيُقَالُ : ذَلَفْنَاهُمْ .
- ف«العساكر» تَحْتَمِلُ الرَّفْعَ وَالتَّصَبُّ .
- [٢٦٢] الرَّجُلُ ^(٤) - بِالْفَتْحِ -: جَمْعُ رَاجِلٍ ؛ خِلَافَ الْفَارِسِ .
- [٢٦٣] أَنْسَابٌ ^(٥) : جَرَى وَمَشَى مُسْرِعًا .
- [٢٦٤] لَا يُؤَوِّدُهَا ^(٦) ، أَيِ لَا يُثْقِلُهَا .
- [٢٦٥] لُبَّةٌ ^(٧) الْمَاءِ : مُعْظَمُهُ .
- [٢٦٦] الْمِجْذَافُ ^(٨) : مَا تَجْرِي بِهِ السَّفِينَةُ .
- [٢٦٧] ائْتَجَعَ ^(٩) : طَلَبَ الْكَلَاءَ فِي مَوْضِعِهِ .

(١) الصفحة ١٥٢ ، السطر ٩ .

(٢) الصفحة ١٥٣ ، السطر ٩ .

(٣) الصفحة ١٥٤ ، السطر ٣ .

(٤) الصفحة ١٥٤ ، السطر ٤ .

(٥) الصفحة ١٥٤ ، السطر ٨ .

(٦) الصفحة ١٥٤ ، السطر ١١ .

(٧) الصفحة ١٥٥ ، السطر ١ .

(٨) الصفحة ١٥٥ ، السطر ٢ .

(٩) الصفحة ١٥٥ ، السطر ٥ .

[٢٦٨] حَافَاتُ الْأَجَامِ^(١): جَوَائِثُهَا.

[٢٦٩] عَكَفَ عَلَى الشَّيْءِ^(٢): أَقْبَلَ عَلَيْهِ مُوَاطِبًا.

[٢٧٠] قَالَ الْفَيْرُوزْ أِبَادِي: الْقِرْمِزُ^(٣): صَبْغٌ أَرْمَنِيٌّ يَكُونُ مِنْ عَصَارَةِ دُودٍ

يَكُونُ فِي أَجَامِهِمْ^(٤).

[٢٧١] وَقَالَ [الْفَيْرُوزْ أِبَادِي]: الْحَلَزُونُ^(٥) - مُحَرَّكَ - : دَابَّةٌ تَكُونُ فِي

الرَّمْثِ^(٦)؛ أَيْ بَعْضُ مِرَاعِي الْإِبِلِ. وَيُظْهِرُ مِنْ كَلَامِهِ ﷺ اتِّحَادُهُمَا،

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمِرَادُ أَنَّ مِنْ صَبْغِ الْحَلَزُونِ تَفَطَّنُوا بِإِعْمَالِ الْقِرْمِزِ

لِلصَّبْغِ لِتَشَابُهِهِمَا.

[٢٧٢] «اصْطَفَانَا بِعِلْمِهِ»^(٧) أَيْ اخْتَارَنَا وَفَضَّلَنَا عَلَى الْخَلْقِ بِأَنْ أَعْطَانَا مِنْ

عِلْمِهِ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا.

[٢٧٣] «أَيَّدَنَا بِحِلْمِهِ»^(٨) أَيْ قَوَّانَا عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ بِمَا حَلَّلْنَا بِهِ مِنْ

حِلْمِهِ لِنَصْبِرَ عَلَى مَا يَلْقَانَا مِنْ أَذَى النَّاسِ وَتَكْذِيبِهِمْ.

[٢٧٤] الدَّوْحَةُ^(٩): الشَّجَرَةُ الْعَظِيمَةُ.

(١) الصفحة ١٥٥، السطر ١١ - ١٢.

(٢) الصفحة ١٥٥، السطر ١٢.

(٣) الصفحة ١٥٦، السطر ٤.

(٤) القاموس المحيط ٢: ١٨٧.

(٥) الصفحة ١٥٦، السطر ٦.

(٦) القاموس المحيط ٢: ١٧٣.

(٧) الصفحة ١٥٧، السطر ٤.

(٨) الصفحة ١٥٧، السطر ٤.

(٩) الصفحة ١٥٧، السطر ٥.

[٢٧٥] الصَّخْرُ^(١): الْحَجَرُ الْعِظَامُ.

[٢٧٦] أَدِيمُ السَّمَاءِ^(٢)، وَجْهَهَا، كَمَا يُطْلَقُ أَدِيمُ الْأَرْضِ عَلَى وَجْهَهَا،
وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ سَبَبُهَا بِالْأَدِيمِ.

[٢٧٧] قَوْلُهُ عَلَيْهِ: «حِكْمَةُ بِالْغَةِ»^(٣) بِالرَّفْعِ خَبْرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ، أَوْ بِالنَّصْبِ
بِالْحَالِيَّةِ أَوْ بِكَوْنِهِ مَفْعُولًا لِأَجَلِهِ.

[٢٧٨] الدَّوْلَةُ^(٤): بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ -: انْقِلَابُ الزَّمَانِ، وَدَالَتِ الْأَيَّامُ: دَارَتْ،
وَاللَّهُ يُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ.

[٢٧٩] هَذَا^(٥) - كَمَنْعَ - هَذَا أَوْ هَذُوْءًا: سَكَنَ.

[٢٨٠] يُقَالُ: نَكَيْتُ^(٦) فِي الْعَدُوِّ نَكَايَةً، إِذَا قَتَلْتَ فِيهِمْ وَجَرَ حَتَّ.

[٢٨١] جَثَمَ^(٧) الْإِنْسَانُ وَالطَّائِرُ وَالنَّعَامُ، يَجْثِمُ جَثْمًا وَجُثْمًا: لِيَزِمَ مَكَانَهُ
فَلَمْ يَبْرَحْ، وَالْمَرَادُ جُثُوْمُهُمْ فِي اللَّيْلِ.

[٢٨٢] الظَّاهِرُ^(٨): التَّعَاوُنُ.

[٢٨٣] نَوَّرَ^(٩) الشَّجَرُ، أَي أَخْرَجَ نَوْرَهُ.

(١) الصفحة ١٥٧، السطر ٩. والذي أثبتناه في المتن «الصَّخُو».

(٢) الصفحة ١٥٨، السطر ٦ - ٧.

(٣) الصفحة ١٥٨، السطر ٩.

(٤) الصفحة ١٥٨، السطر ١٢.

(٥) الصفحة ١٥٩، السطر ٣.

(٦) الصفحة ١٥٩، السطر ٦.

(٧) الصفحة ١٥٩، السطر ٧.

(٨) الصفحة ١٥٩، السطر ١٢.

(٩) الصفحة ١٦٠، السطر ٦.

[٢٨٤] حَدِّمُ^(١) النَّارِ: شِدَّةُ احْتِرَاقِهَا.

[٢٨٥] التَّقْصِي^(٢): بُلُوغُ أَقْصَى الشَّيْءِ وَنَهَائِيَّتِهِ.

[٢٨٦] الْغَايِرُ^(٣): الْبَاقِي وَالْمَاضِي، وَالْمَرَادُّ هُنَا الثَّانِي.

[٢٨٧] بَرَّغَتْ^(٤) الشَّمْسُ بُرُوعًا: شَرَقَتْ، أَوْ الْبُرُوعُ ابْتِدَاءُ الطُّلُوعِ.

[٢٨٨] قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: اعْتَلَّ^(٥) عَلَيْهِ [بِعِلَّةٍ] وَاعْتَلَّتْهُ: إِذَا اعْتَاقَهُ عَنْ أَمْرِ،

انْتَهَى^(٦).

[٢٨٩] لَيْلَةٌ دَاجِيَّةٌ^(٧)، أَي مُظْلِمَةٌ.

[٢٩٠] قَوْلُهُ ﷺ: «لَا تَفَارِقْ مَرَكَزَهَا»^(٨) لَعَلَّ الْمَرَادَّ أَنَّهُ لَيْسَ لَهَا حَرَكَةٌ بَيِّنَةٌ

ظَاهِرَةٌ كَمَا فِي السِّيَّارَاتِ، أَوْ لَا تَخْتَلِفُ نِسْبُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ بِالْقُرْبِ

وَالْبَعْدِ؛ بَأَن تَكُونَ الْجُمْلَةُ التَّالِيَةُ مَفْسَّرَةً لَهَا. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُّ

بِمَرَكَزِهَا الْبُرُوجَ الَّتِي تُنْسَبُ إِلَيْهَا عَلَى مَا هُوَ الْمَصْطَلَحُ بَيْنَ الْعَرَبِ مِنْ

اعْتِبَارِ مُحَاذَةِ تِلْكَ الْأَشْكَالِ فِي الْإِنْتِقَالِ إِلَى الْبُرُوجِ وَإِنْ انْتَقَلَتْ عَنْ

مَوَاضِعِهَا، وَعَلَيْهِ يَنْبَغِي أَنْ يَحْمَلَ قَوْلُهُ ﷺ: «وَبَعْضُهَا مُطْلَقَةٌ تَنْتَقِلُ فِي

الْبُرُوجِ»؛ أَوْ عَلَى مَا ذَكَرْنَا سَابِقًا مِنْ كَوْنِ انْتِقَالِهَا فِي الْبُرُوجِ ظَاهِرَةً بَيِّنَةً

(١) الصفحة ١٦٠، السطر ٨. والأوضح شرحها بالاختدام بمعنى شدة الحر.

(٢) الصفحة ١٦٠، السطر ١٢.

(٣) الصفحة ١٦١، السطر ٦.

(٤) الصفحة ١٦١، السطر ١٠. والذي أثبتناه في المتن «شروقها».

(٥) الصفحة ١٦٢، السطر ٤.

(٦) الصحاح ٥: ١٧٧٤.

(٧) الصفحة ١٦٣، السطر ١.

(٨) الصفحة ١٦٣، السطر ١٢.

يعرفه كلُّ أحدٍ. والأوّلُ أظهرُ كما سيظهر من كلامه عليه السلام.

[٢٩١] قوله: «فإنَّ الإهمال معنى واحد»^(١) يحتمل أن يكون المراد أنَّ الطبيعة أو الدَّهر - اللَّذَيْنِ يجعلونهُما أصحابَ الإهمال مؤثَّرين - كلُّ منهما أمر واحد غير ذي شعور وإرادة، ولا يُمكنُ صدورُ الأمرين المختلفين عن مثل ذلك كما مرَّ. أو المراد أنَّ العقلَ يحكم بأنَّ مثل هذين الأمرين المتَّسِقين الجارِيين على قانونِ الحكمة لا يكون إلاَّ من حكيم راعى فيهما دقائق الحِكم. أو المراد أنَّ الإهمال - أي عدم الحاجة إلى العلة - وترجيحُ الأمرِ الممكنِ من غير مرجِّح كما تزعمون أمرٌ واحد حاصل فيهما، فلمْ صارت إحداهُما راتبَةً والأُخرى منتقلةً؟ ولمْ لَمْ يُعكَّس الأمرُ؟ والأوّلُ أظهرُ كما لا يخفى.

[٢٩٢] قوله عليه السلام: «لبطلت الدلالات»^(٢) ظاهرة كونُ الأوضاع النجومية علاماتٍ للحوادث.

[٢٩٣] قوله عليه السلام: «في البروج الراتبه»^(٣) يدلُّ ظاهراً على ما أشرنا إليه من أنَّه عليه السلام راعى في انتقال البروج محاذاة نفس الأشكال، وإنَّ أمكن أن يكون المراد بيانَ حكمةٍ بَطءِ الحركة ليصلحَ كونُ تلك الأشكال علاماتٍ للبروج ولو بقربها منها، لكنّه بعيدٌ.

[٢٩٤] قوله عليه السلام: «والشَّعْرَيْنِ»^(٤). قال الجوهرِي: الشَّعْرَى: الكوكب

(١) الصفحة ١٦٤، السطر ٨ - ٩.

(٢) الصفحة ١٦٤، السطر ١٣.

(٣) الصفحة ١٦٥، السطر ٣.

(٤) الصفحة ١٦٥، السطر ١٠.

الذي يطلُّع بعد الجوزاء، وطلُّوعه في شدّة الحرّ، وهما الشَّعْرِيَّان: الشَّعْرَى العَبُورُ التي في الجوزاء، والشَّعْرَى الغَمِيصَاءُ التي في الذراع. تزعم العرب أنَّهما أختا سُهَيْلٍ، انتهى^(١).

[٢٩٥] القِفَارُ^(٢): جمع قَفَرٍ، وهو الخلاءُ من الأرض.

[٢٩٦] خَطَفَ^(٣) البرقُ البَصَرَ: ذهبَ به.

[٢٩٧] وَهَجُ^(٤) النَّارِ - بالتَّسْكِينِ -: تَوَقُّدُهَا.

[٢٩٨] قوله: «حَثِيثًا»^(٥) أي مُسْرِعًا.

[٢٩٩] تَجَافَى^(٦)، أي لم يَلْزَمْ مكانَهُ.

[٣٠٠] بَرَحَ^(٧) مكانَهُ: زَالَ عَنْهُ.

[٣٠١] قوله ﷺ: «لَا يُجَاوِزُ ذَلِكَ»^(٨) أي في مُعْظَمِ المَعْمُورَةِ.

[٣٠٢] قال الفيروزآبادي: خَوَتْ^(٩) الدَّارُ: تَهَدَّمَتْ ... والنُّجُومُ حَيًّا:

أَمَحَلَتْ فلم تُمَطِّرْ، كَأَخَوَتْ^(١٠).

(١) الصحاح ٢: ٦٩٩.

(٢) الصفحة ١٦٦، السطر ١٠.

(٣) الصفحة ١٦٦، السطر ١٤.

(٤) الصفحة ١٦٦، السطر ١٤.

(٥) الصفحة ١٦٧، السطر ٢.

(٦) الصفحة ١٦٧، السطر ٧. والذي أثبتناه في المتن «النَّجَاءُ فِي» بدل «التَّجَافَى».

(٧) الصفحة ١٦٧، السطر ٨.

(٨) الصفحة ١٦٩، السطر ١ - ٢.

(٩) الصفحة ١٧٠، السطر ٢.

(١٠) القاموس المحيط ٤: ٣٢٦.

[٣٠٣] وقال [الفيروزآبادي]: الْمُتَنَكِّتُ^(١): الْمَهْزُولُ^(٢).

[٣٠٤] وقال [الفيروزآبادي]: التَّرْسُلُ^(٣): الرَّفْقُ والتَّوَدُّ، انتهى^(٤).

[٣٠٥] قوله عليه السلام: «بِعَدِّ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقَيْنِ»^(٥) أي المشرق والمغرب، كناية عن عِظَمِ الدَّائِرَةِ التي يقطع عليها البروج، أو مِشْرِقِ الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ.

[٣٠٦] قوله عليه السلام: «الْجَاسِيَّةُ»^(٦) أي الصُّلْبَةُ.

[٣٠٧] يَنْفَكُّهُ^(٧) بها، أي يَتَمَتَّعُ بها.

[٣٠٨] الرِّيعُ^(٨): النَّمَاءُ وَالرِّيَادَةُ.

[٣٠٩] قال الجوهرِيُّ: أَمْضَيْي^(٩) الْجُرْحُ إِمضَاضًا، إِذَا أَوْجَعَكَ، وفيه لغة

أُخْرَى: مَضَّيِي الْجُرْحُ؛ وَلَمْ يَعْرِفْهَا الْأَصْمَعِيُّ^(١٠).

[٣١٠] رُكُودُ^(١١) الرِّيحِ: سُكُونُهَا.

(١) الصفحة ١٧٠، السطر ٢.

(٢) القاموس المحيط ١: ١٧٦.

(٣) الصفحة ١٧٠، السطر ٣.

(٤) القاموس المحيط ٣: ٣٨٤.

(٥) الصفحة ١٧٠، السطر ١٢.

(٦) الصفحة ١٧١، السطر ٣.

(٧) الصفحة ١٧١، السطر ٣.

(٨) الصفحة ١٧١، السطر ٥.

(٩) الصفحة ١٧١، السطر ٨.

(١٠) الصحاح ٣: ١١٠٦.

(١١) الصفحة ١٧١، السطر ١١.

- [٣١١] الْحَرَضُ ^(١): فَسَادُ الْبَدَنِ .
- [٣١٢] يقال : نَهَكَتُهُ ^(٢) الْحُمَى ، أَي أَضْنَتُهُ وَهَزَلَتْهُ .
- [٣١٣] قوله ﷺ : «وَالهَوَاءُ يُوْدِّيهِ» ^(٣) يدلُّ على ما هو المنصور ^(٤) من تَكْيُفِ الهَوَاءِ بِكَيْفِيَّةِ الصَّوْتِ على ما فُصِّلَ في مَحَلِّهِ .
- [٣١٤] يقال : كَرَبَهُ ^(٥) الْأَمْرُ ، أَي شَقَّ عَلَيْهِ .
- [٣١٥] فَدَحَهُ ^(٦) الدَّيْنُ ، أَي أَثْقَلَهُ .
- [٣١٦] رَيْشِمَا ^(٧) فَعَلَ كَذَا ، أَي قَدَرَ مَا فَعَلَهُ . و «يبلغ» إمَّا على بناء المجرَّد ذُ «العالم» فاعله ، أو على التفعيل ذُ «الهواء» ^(٨) فاعله .
- [٣١٧] الرُّوحُ ^(٩) - بالفتح - : الرَّاحَةُ وَنَسِيمُ الرِّيحِ .
- [٣١٨] اطَّرَدَ ^(١٠) الشَّيْءُ : تَبَعَ بَعْضُهُ بَعْضًا وَجَرَى .
- [٣١٩] الْأَرَايِيحُ ^(١١) : جَمْعٌ لِلرِّيحِ .

(١) الصفحة ١٧١ ، السطر ١٢ . والذي أثبتناه في المتن «ويمرض الأصحاء» بدل «ويحرَضُ الأصحاء» .

(٢) الصفحة ١٧١ ، السطر ١٢ .

(٣) الصفحة ١٧٢ ، السطر ٣ .

(٤) كذا في «ب» ، ولعلَّ الصواب : «المتصور» .

(٥) الصفحة ١٧٢ ، السطر ٥ .

(٦) الصفحة ١٧٢ ، السطر ٥ .

(٧) الصفحة ١٧٢ ، السطر ٨ . وهو قوله ﷺ : «ريشما يبلغ العالم حاجته» .

(٨) في قوله ﷺ في السطر ٧ من الصفحة ١٧٢ «هذا الهواء» .

(٩) الصفحة ١٧٣ ، السطر ١ .

(١٠) الصفحة ١٧٣ ، السطر ١ .

(١١) الصفحة ١٧٣ ، السطر ٢ .

[٣٢٠] تُرْجِي السَّحَابَ^(١) - على بناء الإفعال - أي تَسَوِّقُهُ.

[٣٢١] تَفْصُّهُ^(٢)، أي تُفَرِّقُهُ.

[٣٢٢] التَّفْشِّي^(٣): الانتشار.

[٣٢٣] تُرْخِي الْأَطْعِمَةَ^(٤) - على التفعيل أو الإفعال - أي تُصَيِّرُهَا رِخْوَةً لَطِيفَةً.

[٣٢٤] تُشِبُّ النَّارَ^(٥)، أي تُوقِدُهَا.

[٣٢٥] الْعَقَاقِيرُ^(٦): أَصُولُ الْأَدْوِيَةِ.

[٣٢٦] الْغِنَاءُ^(٧) - بالفتح -: الْمَنْفَعَةُ.

[٣٢٧] الْخَاوِيَةُ^(٨): الْخَالِيَةُ.

[٣٢٨] الْفَذْدُ^(٩): الْفَلَاةُ، وَالْمَكَانُ الصُّلْبُ الْغَلِيظُ وَالْمُرْتَفِعُ، وَالْأَرْضُ

الْمُسْتَوِيَّةُ.

[٣٢٩] الْفُسْحَةُ^(١٠) - بِالضَّم -: السَّعَةُ.

(١) الصفحة ١٧٣، السطر ٥.

(٢) الصفحة ١٧٣، السطر ٦.

(٣) الصفحة ١٧٣، السطر ٦.

(٤) الصفحة ١٧٣، السطر ٧.

(٥) الصفحة ١٧٣، السطر ٧.

(٦) الصفحة ١٧٤، السطر ٢.

(٧) الصفحة ١٧٤، السطر ٣.

(٨) الصفحة ١٧٤، السطر ٤.

(٩) الصفحة ١٧٤، السطر ٦.

(١٠) الصفحة ١٧٤، السطر ٨.

[٣٣٠] يُقَالُ: لِي عَنْ هَذَا الْأَمِيرِ مَنُذُوحَةَ^(١) وَمُنْتَدَحَّ، أَيِ سَعَةٍ.

[٣٣١] حَزَبَهُ أَمْرٌ^(٢)، أَيِ أَصَابُهُ.

[٣٣٢] الرَّائِبَةُ^(٣): الثَّابِتَةُ.

[٣٣٣] الْأَرَاكِنَةُ^(٤): السَّاكِنَةُ.

[٣٣٤] هَذَا^(٥) هَذَا وَهَذَا: سَكَنَ.

[٣٣٥] قَوْلُهُ ﷺ: «رَجْرَاجَةٌ»^(٦) أَيِ مُتَزَلِّزِلَةٌ مُتَحَرِّكَةٌ.

[٣٣٦] التَّكْفُوفُ^(٧): الْإِنْقِلَابُ وَالتَّمَايُلُ وَالتَّحَرُّكُ.

[٣٣٧] الْأَرْتِجَاجُ^(٨): الْأَضْطِرَابُ.

[٣٣٨] الْأَرْعَوَاءُ^(٩): الرُّجُوعُ عَنِ الْجَهْلِ وَالْكَفُّ عَنِ الْقَبِيحِ.

[٣٣٩] الصِّلْدُ^(١٠) - وَيَكْسِرُ -: الصُّلْبُ الْأَمْلَسُ.

[٣٤٠] قَوْلُهُ ﷺ: «كَيْفَ تَنْصَبُ»^(١١) كَذَا فِي أَكْثَرِ النُّسخِ، وَالنَّصْبُ يَكُونُ

بِمَعْنَى الرِّفْعِ وَالْوَضْعِ، وَلَعَلَّ الْمَرَادَ هُنَا الثَّانِي، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ تَصْحِيفٌ

(١) الصفحة ١٧٤، السطر ٨.

(٢) الصفحة ١٧٤، السطر ٩.

(٣) الصفحة ١٧٤، السطر ١٠.

(٤) الصفحة ١٧٤، السطر ١٠.

(٥) الصفحة ١٧٥، السطر ١.

(٦) الصفحة ١٧٥، السطر ٢.

(٧) الصفحة ١٧٥، السطر ٢. والذي أثبتناه في المتن «منكفة» لا «متكفة». والمعنيان قريبان.

(٨) الصفحة ١٧٥، السطر ٣.

(٩) الصفحة ١٧٥، السطر ٧.

(١٠) الصفحة ١٧٦، السطر ١.

(١١) الصفحة ١٧٦، السطر ٢. والذي أثبتناه في المتن «كيف نقصت».

«نقصت» أو نحوه .

[٣٤١] قوله عليه السلام: «إِنَّ مَهَبَّ الشَّمَالِ أَرْفَعُ»^(١) أي بعد ما خرجت الأرض من الكروية الحقيقية صار ما يلي الشمال منها في أكثر المعمورة أرفع مما يلي الجنوب، ولذا ترى أكثر الأنهار - كدجلة والفرات وغيرهما - تجري من الشمال إلى الجنوب، ولما كان الماء الساكن في جوف الأرض تابعاً للأرض في ارتفاعه وانخفاضه فلذا صارت العيون المتفجرة تجري هكذا من الشمال إلى الجنوب حتى تجري على وجه الأرض؛ ولذا حكموا بفوقية الشمال على الجنوب في حكم اجتماع البئر والبالوعة، وإذا تأملت فيما ذكرنا يظهر لك ما بينه عليه السلام من الحكم في ذلك، وأنه لا ينافي كروية الأرض .

[٣٤٢] التَّدْفُقُ^(٢): النَّصْبُ .

[٣٤٣] قوله عليه السلام: «فَإِنَّهُ سَوَى الْأَمْرِ الْجَلِيلِ»^(٣) الضمير راجع إلى الماء وهو اسم «إِنَّ»، و «يُمَزَجُ»^(٤) خبره، أي للماء سوى النفع الجليل المعروف - وهو كونه سبباً لحياة كل شيء - منافع أخرى؛ منها: أنه يُمَزَجُ مع الأشربة .

[٣٤٤] قال الجوهرى: الْحَمِيمُ: الماء الحار... وقد اسْتَحْمَمْتُ^(٥) إذا

(١) الصفحة ١٧٦، السطر ٥ .

(٢) الصفحة ١٧٦، السطر ١١ .

(٣) الصفحة ١٧٧، السطر ٣ - ٤ .

(٤) الصفحة ١٧٧، السطر ٥ .

(٥) الصفحة ١٧٧، السطر ٨ .

اغْتَسَلْتُ بِهِ ... ثُمَّ صَارَ كُلُّ اغْتِسَالٍ اسْتِحْماماً بِأَيِّ مَاءٍ كَانَ، انتهى^(١).

[٣٤٥] الوَصْبُ^(٢) - محرّكة -: المَرَضُ.

[٣٤٦] المُكْتَنَفُ^(٣) - بفتح النون - من الكَنَفِ بمعنى الحِفْظِ والإِحاطَةِ، واكْتَنَفَهُ أَي أَحاطَ بِهِ. ويظهرُ منه أَنَّ نوعاً من الياقوتِ يتكوّنُ في البحر، وقيل: أُطلق على المرجان مجازاً. ويحتمل أن يكون المراد ما يُسْتَخْرَجُ منه بالغوص وإن لم يتكوّن فيه.

[٣٤٧] الِيلَنْجُوجُ^(٤): عُودُ البَخُورِ.

[٣٤٨] «من العراق»^(٥) أي البصرة، و«إلى العراق» أي الكوفة، أو بالعكس.

[٣٤٩] قوله ﷺ: «ويعجز»^(٦) أي لولا كثرة الهواء لعجز الهواء عما يستحيلُ الهواء إليه من السَّحابِ والضَّبابِ التي تتكوّن من الهواء.

[٣٥٠] «أولاً وأولاً»^(٧) أي تدريجاً، أي كان الهواء لا يفي بذلك أو لا يتسع لذلك.

[٣٥١] الضَّبابُ^(٨) - بالفتح -: نَدَى كالغيم، أو سَحَابٌ رقيقٌ كالدُّخانِ.

(١) الصحاح ٥: ١٩٠٥.

(٢) الصفحة ١٧٧، السطر ٩.

(٣) الصفحة ١٧٨، السطر ١.

(٤) الصفحة ١٧٨، السطر ٣.

(٥) الصفحة ١٧٨، السطر ٥. والذي أثبتناه في المتن «من العراق إلى الصين» بدل «من العراق إلى العراق».

(٦) الصفحة ١٧٨، السطر ١٢. والذي أثبتناه في المتن «ولَعَجَزَ».

(٧) الصفحة ١٧٨، السطر ١٢.

(٨) الصفحة ١٧٨، السطر ١٢.

[٣٥٢] الأَحْيَيْنُ^(١): جمع أحيانٍ، وهو جَمْعٌ حِينٍ بمعنى الدَّهْرِ والزَّمانِ.
[٣٥٣] قوله عليه السلام: «فلا هي تمسك بالمادَّة والحطب»^(٢) أي دائماً بحيث
إذا انطَفَأَتْ لم يُمكن إعادتها. والمادَّة: الزَّيَادَةُ المتَّصِلَةُ، والمرادُ هنا
الدُّهْنُ ومثله.

[٣٥٤] دِفَاءُ الأَبْدَانِ^(٣) - بالكسر -: دَفْعُ البردِ عنها.

[٣٥٥] «يَعْتَقِبَانِ»^(٤) أي يأتي كلُّ منهما عَقِيبَ صاحبه.

[٣٥٦] خَصِرَ الهَوَاءُ^(٥) - بكسر الصاد المهملة - يقال: خَصِرَ يَوْمُنَا، أي
اشتدَّ برده، وماءٌ خَاصِرٌ: بارد. وفي أكثر النسخ بالحاء المهملة والسين من
خَسِرَ أي كَلَّ، وهو لا يستقيم إلَّا بتكَلَّفٍ وَتَجَوُّزٍ. وفي بعضها بالحاء
المعجمة، والثاء المثناة، من قولهم: خَثَرَ اللَّبَنُ خَثْرًا، إذا غُلِظَ.

[٣٥٧] البَشِيعُ^(٦): الكَرِيهُ الطَّعْمِ الذي يأخذ بالحَلْقِ.

[٣٥٨] القِنْطَارُ^(٧): مِيعَارٌ، ويُروى أَنَّهُ أَلْفٌ ومائتا أوقية، ويقال: هو مائة
وعشرون رطلاً، ويقال: هو مِلٌّ مَسْكٍ الثَّوْرِ ذَهَباً.

[٣٥٩] قوله عليه السلام: «ويذهبُ له بِهِ الصَّوْتُ»^(٨) أي يملأُ صَيْتُ كَرَمِهِ وَجُودِهِ
الآفاقَ.

(١) الصفحة ١٧٩، السطر ٣.

(٢) الصفحة ١٧٩، السطر ٥.

(٣) الصفحة ١٨٠، السطر ٧.

(٤) الصفحة ١٨٠، السطر ١٠.

(٥) الصفحة ١٨١، السطر ٢.

(٦) الصفحة ١٨١، السطر ١١.

(٧) الصفحة ١٨٢، السطر ١.

(٨) الصفحة ١٨٢، السطر ٢.

[٣٦٠] الذَّمْرُ^(١): المَلَامَةُ والتَّهْدُدُ.

[٣٦١] قوله: «لَيْتَفْسَى»^(٢) التَّفْسَى: الاتِّسَاع، والأَظْهَرُ «لَيْغَسَى» بالغين المعجمة كما في بعض النسخ.

[٣٦٢] الحَطْمُ^(٣): الكَسْرُ.

[٣٦٣] الأَنْدِفَاتُ^(٤): الأنْصِبَابُ.

[٣٦٤] الْيَرْقَانُ^(٥): آفَةُ لِلزَّرْعِ.

[٣٦٥] قوله: «مَمَّا عَسَى أَنْ يُرْزَأَ»^(٦)، من الرُّزْءِ: الْمُصِيبَةِ.

[٣٦٦] «الْمَقَالِ»^(٧) في بعض النسخ بالقاف، وكأنَّه من الْقِيلُولَةِ. وفي بعضها بالغين، ولعلَّه من الْغِيلِ: الشَّجَرُ الْمَلْتَفٌ. وفي بعض كتب اللغة: الْمَغَالَةُ: الْعُشُّ. وفي بعض النسخ: مَعَاوِلٌ، جمع الْمَعْقِلِ وَهُوَ الْمَلْجَأُ.

[٣٦٧] الْكِلْسُ^(٨) - بالكسر -: الصَّارُوجُ.

[٣٦٨] الْجِبْسُ^(٩) - بالكسر -: الْجِصُّ. وفي أكثر النسخ: الجبسين، ولم أجده فيما عندنا من كتب اللغة، لكن في كتب الطب كما في أكثر النسخ.

(١) الصفحة ١٨٢، السطر ٥.

(٢) الصفحة ١٨٢، السطر ١٠. والذي أثبتناه في المتن «ليغسى».

(٣) الصفحة ١٨٣، السطر ٨.

(٤) الصفحة ١٨٣، السطر ٨.

(٥) الصفحة ١٨٣، السطر ١٢.

(٦) الصفحة ١٨٤، السطر ٤ - ٥.

(٧) الصفحة ١٨٤، السطر ١١.

(٨) الصفحة ١٨٥، السطر ٦.

(٩) الصفحة ١٨٥، السطر ٦.

[٣٦٩] الْمَرْتُكُ^(١) - كَمَقْعَدَ -: المرء اسنح .

[٣٧٠] الْقُونِيَا^(٢) - بالباء الموحدة أو الياء المثناة من تحت - ولم أجدهما في كتب اللغة ، لكن في القاموس : الْقَوْنَةُ : الْقِطْعَةُ من الحديد أو الصُّفْرِ يُرَفَّقُ بِهَا الْإِنَاءُ^(٣) . وفي بعض النسخ : التُّوتِيَا ، وفي كتب اللغة أنه حَجَرٌ يَكْتَحِلُ بِهِ^(٤) .

[٣٧١] الْقَارُ^(٥) : الْقَيْرُ .

[٣٧٢] جَبَى^(٦) الْخِرَاجَ جِبَايَةً : جَمَعَهُ .

[٣٧٣] الْإِيغَالُ^(٧) : الْمِبَالْغَةُ فِي الدُّخُولِ وَالذَّهَابِ .

[٣٧٤] أَنْصَلَتْ^(٨) : مَضَى وَسَبَقَ .

[٣٧٥] لِحَاءُ^(٩) السَّجَرَةِ - بالكسر - : قَشْرُهَا .

[٣٧٦] يَنْسِفُهُ^(١٠) - بالكسر - أَي يَقْلَعُهُ .

[٣٧٧] بَشِمْ^(١١) الْحَيَوَانَ بَشْمًا - من باب تَعَبَ -: اتَّخَمَ مِنْ كَثَرَةِ الْأَكْلِ .

(١) الصفحة ١٨٥ ، السطر ٦ .

(٢) الصفحة ١٨٥ ، السطر ٦ .

(٣) القاموس المحيط ٤ : ٢٦١ .

(٤) انظر المصباح المنير : ٧٨ ، ولسان العرب ٢ : ١٨ .

(٥) الصفحة ١٨٥ ، السطر ٨ .

(٦) الصفحة ١٨٦ ، السطر ١ .

(٧) الصفحة ١٨٦ ، السطر ٥ .

(٨) الصفحة ١٨٦ ، السطر ٥ .

(٩) الصفحة ١٨٧ ، السطر ٤ .

(١٠) الصفحة ١٨٩ ، السطر ٥ .

(١١) الصفحة ١٨٩ ، السطر ٥ .

[٣٧٨] الكَذْحُ^(١): العَمَلُ والسَّعْيُ.

[٣٧٩] الشَّقَا^(٢): الشَّدَّةُ والعُسْرُ، شَقِيَّ كَرِضِي.

[٣٨٠] الدَّوْحُ^(٣) - بفتح الدالِ وسكون الواوِ -: جمعُ الدَّوْحَةِ؛ وهي الشَّجَرَةُ العَظِيمَةُ.

[٣٨١] قوله ﷺ: «معجماً»^(٤) لعل المراد شدة ارتباطها؛ قال الفيروز آبادي: بابٌ مُعْجَمٌ، كَمُكْرَمٍ: مُقْفَلٌ، انتهى^(٥). ويحتمل أن يكون كنايةً عن خفائها؛ كقوله ﷺ: «صلاةُ النَّهارِ عَجْمَاءُ».

[٣٨٢] وقوله ﷺ: «إِنْ عَاقَ دُونََ الْغَرَسِ»^(٦) أي عَزِيسَ الْأَغْصَانِ عَائِقٌ تُغْرِسُ النَّوَى بَدَلَهَا.

[٣٨٣] الشَّدْحُ^(٧): الْكَسْرُ والغَمْرُ، والمُشْدَحُ: هُوَ يُسْرُ يُغْمَرُ وَيُيَبِّسُ لِلشَّتَاءِ.

[٣٨٤] الدَّلْبُ^(٨) - بالضم -: الصَّنَاؤُ.

[٣٨٥] قوله ﷺ: «فتحتبس الحرارة الغريزية»^(٩) يدلُّ على أنَّ الحرارة

(١) الصفحة ١٨٩، السطر ٧.

(٢) الصفحة ١٨٩، السطر ٨. و الشَّقَا و الشَّقَاءُ كلاهما مصدر شَقِيَّ.

(٣) الصفحة ١٩٠، السطر ٦.

(٤) الصفحة ١٩١، السطر ٢.

(٥) القاموس المحيط ٤: ١٤٧.

(٦) الصفحة ١٩٢، السطر ١.

(٧) الصفحة ١٩٢، السطر ٣.

(٨) الصفحة ١٩٢، السطر ٩.

(٩) الصفحة ١٩٢، السطر ١٣.

الغريزية لا تختص بالحيوان، بل تُوجَدُ في النبات أيضاً كما صرح به جماعة من المحققين.

[٣٨٦] يقال: رَصَفْتُ^(١) الحِجَارَةَ في البناءِ رَصْفاً، أي صَمَمْتُ بعضَها إلى بعض.

[٣٨٧] اسْتَحْصَفَ^(٢): اسْتَحْكَمَ.

[٣٨٨] التَّذَرُّعُ^(٣): كَثْرَةُ الكلام والإفراط فيه.

[٣٨٩] قال الفيروز آبادي: اليَقْطِينُ^(٤): ما لا ساقَ لَهُ من النباتِ ونحوه^(٥).

[٣٩٠] الْقَصْفُ^(٦): الْكُسْرُ.

[٣٩١] قال الجوهري: الْجِرْؤُ^(٧) وَالْجَرْؤُ وَالْجَرْؤُ: وَلَدُ الْكَلْبِ وَالسَّبَاعِ، وَالْجَمْعُ أَجْرٍ - وَأَصْلُهُ أَجْرُؤٌ عَلَى أَفْعَلَ - وَجِرَاءٌ، وَجَمْعُ الْجِرَاءِ أَجْرِيَّةٌ، وَالْجِرْؤُ وَالْجِرْؤَةُ: الصَّغِيرُ مِنَ الْقِتَاءِ، انْتَهَى^(٨).

[٣٩٢] الْحَمَارَةُ^(٩): بِتَخْفِيفِ الْمِيمِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَقَدْ يُخَفَّفُ فِي الشَّعْرِ -: شِدَّةُ الْحَرِّ.

(١) الصفحة ١٩٣، السطر ٨.

(٢) الصفحة ١٩٤، السطر ٣.

(٣) الصفحة ١٩٤، السطر ٥.

(٤) الصفحة ١٩٤، السطر ٧.

(٥) القاموس المحيط ٤: ٢٦٠.

(٦) الصفحة ١٩٤، السطر ١٠.

(٧) الصفحة ١٩٤، السطر ١٣.

(٨) الصحاح ٦: ٢٣٠١.

(٩) الصفحة ١٩٥، السطر ٢.

[٣٩٣] في الأساس: مالي أراك تشرح^(١) إلى كل رتبة؛ وهو إظهار الرغبة إليها^(٢).

[٣٩٤] وفيه [أي في الأساس]: هو شره^(٣) العين: يطمع في كل ما يراه يرمي نفسه عليه ويتمناه، انتهى^(٤).

[٣٩٥] استوخمه^(٥): لم يجد مريئاً موافقاً.

[٣٩٦] المغبة^(٦): العاقبة.

[٣٩٧] قوله ﷺ: «ليصلح»^(٧) بيان لما يتحصل مما مرّ لا للمتانة^(٨) فقط.

[٣٩٨] النزف^(٩): النزح.

[٣٩٩] قوله ﷺ: «هب الإنسان»^(١٠) أي سلمنا أنه كذلك.

[٤٠٠] الحضر^(١١): بالضم -: اعتقال البطن.

[٤٠١] السوقة^(١٢): بالضم -: الرعية؛ للواحد والجمع والمذكر والمؤنث.

[٤٠٢] الغلف -: بضمة، وبضمّتين، وكرّع -: جمع غلاف.

(١) الصفحة ١٩٥، السطر ٣.

(٢) انظر أساس البلاغة: ٢٢٧. وفيه: «كل دنية» بدل «كل رتبة».

(٣) الصفحة ١٩٥، السطر ٦.

(٤) لم أجده في مظنه من الأساس.

(٥) الصفحة ١٩٥، السطر ٦.

(٦) الصفحة ١٩٥، السطر ٦.

(٧) الصفحة ١٩٦، السطر ٤.

(٨) في قوله «وفيه مع ذلك متانة ليصلح»، الصفحة ١٩٦، السطر ٤.

(٩) الصفحة ١٩٧، السطر ١.

(١٠) الصفحة ١٩٧، السطر ٦.

(١١) الصفحة ١٩٧، السطر ٨.

(١٢) الصفحة ١٩٨، السطر ٣.

[٤٠٣] الزُّبْلُ^(١) - بالكسر -: السَّرْقِينُ.

[٤٠٤] قال الفيروز آبادي: السَّمَادُ^(٢): السَّرْقِينُ برماد^(٣). وقال الجزري: هو ما يُطْرَحُ في أصول الزَّرْعِ والخُضَرِ من العَذِرَةِ والزُّبْلِ لِيَجُودَ نَبَاتُهُ^(٤). أقول: يدلُّ ظاهراً على جواز استعمال العَذِرَاتِ النَّجِسَةِ في ذلك، وربما يُسْتَدَلُّ به على تطهير الاستحالة.

[٤٠٥] قوله عليه السلام: «للاسَّمِ الأقدم»^(٥) لعلَّ المراد بالاسم المُسَمَّى، أو المراد الاسم الذي أظهره وأثبتته في اللُّوحِ قبل سائر الأسماء، أو المراد الاسم الذي يَخُصُّ الذَّاتَ، فهو أَسْبَقُ الأسماءِ في الاعتبارِ وأشرفُها كما يظهر من الآثار.

[٤٠٦] قوله: «والغيب المحذور»^(٦) أي الممنوع عن غيره تعالى إلا من ارتضاه لذلك.

[٤٠٧] قوله: «بالعَرَضِ»^(٧)، قال الفيروز آبادي: عَرَضَ الشَّيْءُ: ظَهَرَ... والعَرَضُ: أَنْ يَمُوتَ الْإِنْسَانُ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ^(٨).
[٤٠٨] الاجْتِيَاخُ^(٩): الاستِئْصَالُ.

(١) الصفحة ١٩٨، السطر ٧.

(٢) الصفحة ١٩٨، السطر ٩.

(٣) انظر القاموس المحيط ١: ٣٠٣.

(٤) النهاية الأثيرية ٢: ٣٩٩.

(٥) الصفحة ٢٠١، السطر ٣-٤.

(٦) الصفحة ٢٠١، السطر ٥.

(٧) الصفحة ٢٠٢، السطر ٩.

(٨) انظر القاموس المحيط ٢: ٣٣٤.

(٩) الصفحة ٢٠٣، السطر ٨.

[٤٠٩] قوله ﷺ: «ويلذع»^(١) يقال: لَذَعْتُهُ النَّارَ، أي أحرَقْتُهُ، وَلَذَعَهُ يَلْسَانُهُ أي أَوْجَعَهُ بكلامٍ. وفي بعض النسخ بإهمال الأول وإعجام الثاني من لَذَغِ الْعَقْرَبِ.

[٤١٠] يقال: رَثَيْتُ^(٢) لِفُلَانٍ، أي رَفَقْتُ لَهُ.

[٤١١] الْمَضْضُ^(٣) - مُحَرَّكَةٌ -: وَجَعُ الْمُصِيبَةِ.

[٤١٢] قوله ﷺ: «إذا كان يكون غير محمود»^(٤) يمكن أن يقرأ «إذا» بالتونين وبدونها. وعلى الثاني يكون خبر «كان» محذوفاً، أي إذا كان الإنسان كذلك.

ثم اعلم أنه ينبغي أن تُحْمَلَ الْعِصْمَةُ الْمَأْخُودَةُ فِي السُّؤَالِ عَلَى غَيْرِ الْمَعْنَى الْمَشْهُورِ الَّذِي سَيَأْتِي تَحْقِيقُهُ فِي بَابِ عِصْمَةِ الْأُئِمَّةِ ﷺ، بل المرادُ الْعِصْمَةُ بِمَعْنَى الْإِلْجَاءِ الَّذِي لَمْ يَبْقَ مَعَهُ اخْتِيَارٌ، وَلِذَا فَرَعَ ﷺ عَلَيْهِ عَدَمَ اسْتِحْقَاقِ الثَّوَابِ، وَإِلَّا فَالْعِصْمَةُ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالْأُئِمَّةُ ﷺ لَا يَنَافِي ذَلِكَ كَمَا سَنَحَقِّقُهُ فِي مَقَامِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

ويمكن أن يقال - على تقدير أن يكون المراد هذا المعنى أيضاً - بأنه إذا صار هذا عامّاً في جميع البشر لا يتأتى في بعض المواد التي لا تستحق ذلك من نفوس الأشرار والفجار إلا بالإلجاء الزايف للاستحقاق.

(١) الصفحة ٢٠٣، السطر ١٠.

(٢) الصفحة ٢٠٤، السطر ٧.

(٣) الصفحة ٢٠٤، السطر ٨.

(٤) الصفحة ٢٠٥، السطر ٣.

[٤١٣] قوله عليه السلام: «إلى غاية الكلب والضراوة»^(١)، قال الجوهري: دَفَعْتُ عَنْكَ كَلْبَ فَلَانٍ، أَي شَرَّهُ وَأَذَاهُ، وَالْكَلْبُ أَيْضاً شَبِيهٌ بِالْجُنُونِ^(٢)، وَقَالَ: ضَرِيَّ الْكَلْبُ بِالصَّيْدِ ضَرَاوَةً، أَي تَعَوَّدَ^(٣).

أقول: لما كان السؤال مبنياً على فرض العصمة ظاهراً فتصحیح هذا الجواب في غاية الإشكال، وَخَطَرَ بِالْبَالِ وَجُوهٌ:

الأول: أن لا يكون السؤال مبنياً على فرض العصمة، بل يكون المراد أنه لما ذكرت أن العصمة تُنافي الاستحقاق فنقول: لِمَ لَمْ يَبْدُلْ لَهُمُ الثَوَابَ عَلَى أَيْ حَالٍ بَأَن يَكْلَفُهُمُ الْعَمَلُ لِيَسْتَحِقُّوا الثَوَابَ إِنْ أَرَادُوا اسْتِحْقَاقَهُ وَإِلَّا أَعْطَاهُمْ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ؟ إِذْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَطْلُبُونَ النَّعِيمَ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ، فَلَا يَكُونُ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ سَخَطٌ عَلَى الْمَخَالَفَةِ، وَعَلَى هَذَا الْجَوَابِ ظَاهِرُ الْانْطِبَاقِ عَلَى السُّؤَالِ كَمَا لَا يَخْفَى.

الثاني: أن يكون السؤال مبنياً على فرض العصمة في بعضهم، وهم الذين يطلبون الثواب ولا يريدون استحقاقه كما هو ظاهر السياق، ويكون حاصل الجواب: أنه لو كان المَجْبُورُ عَلَى الْخَيْرَاتِ مُثَاباً فَمُقْتَضَى الْعَدْلِ أَنْ يَكُونَ غَيْرُ الْمَجْبُورِ الطَّالِبُ لِلْخَيْرِ وَالْاسْتِحْقَاقِ غَيْرَ مُعَاقِبٍ عَلَى حَالٍ، وَإِلَّا لَكَانَ لَهُ الْحِجَّةُ عَلَى رَبِّهِ بِأَنَّكَ لَمْ تَعْصِمْنِي كَمَا عَصَمْتَ غَيْرِي، وَمَنْعْتَ عَنِّي اللَّطْفَ بِالْبَلَايَا وَالصَّوَارِفِ عَنِ الْمَعَاصِي فِي الدُّنْيَا ثُمَّ تَعَذَّبَنِي عَلَى الْمَعَاصِي، فَعَلَى هَذَا فَلَوْ فَعَلَ غَيْرُ الْمَعْصُومِينَ ذَلِكَ لَدَعْتَهُمْ

(١) الصفحة ٢٠٦، السطر ٣.

(٢) الصحاح ١: ٢١٤.

(٣) الصحاح ٦: ٢٤٠٨.

الدَّواعي النفسانيَّة إلى غاية الفساد، وهذا وجهٌ وجيَّةٌ لكن يحتاجُ إلى طيِّ بعض المقدمات.

الثالث: أن يكون السؤال مبنياً على ذلك الفرض أيضاً، لكن يكون الجواب مبنياً على أنه قد يستلزم المحالَّ نقيضه، إذ الكلام في هذا النوع من الخلق المسمّى بالإنسان الذي اقتضت الحكمة أن يكون قد رُكِّبَتْ فيه أنواع الشهوات والدواعي، فلو فرضتُه على غير تلك الحالة لكان من قبيل فرض الشيء إنساناً ومَلَكاً وهما لا يجتمعان، فعلى هذا يلزمه أيضاً لفرض كونه إنساناً أن يدعوه عدُّمُ خوفِ العقابِ والفراغُ إلى الأشرِّ والبَطَرِ وأنواع المعاصي، وحاصله يرجع إلى تغيير الجواب الأول إلى جواب آخر لا يردُّ عليه السؤالُ على غاية اللطفِ والدقَّة.

[٤١٤] الرَّدُّعُ^(١): الكُفُّ والمنعُ.

[٤١٥] قوله: «يغتبطون»^(٢) على البناء للفاعل؛ من الاغْتِبَاطِ وهو حسن الحال بحيث يتمنى غيره حاله.

[٤١٦] الحَصُّ^(٣): الحثُّ والتَّحريضُ.

[٤١٧] تَمَحِيصُ الأَوْزَارِ^(٤): تَنْقِيصُها وإِزَالَتُها.

[٤١٨] قوله ﷺ: «فإن قال: ولم يحدث على الناس؟»^(٥)

(١) الصفحة ٢٠٧، السطر ٣.

(٢) الصفحة ٢٠٧، السطر ٦.

(٣) الصفحة ٢٠٧، السطر ٧.

(٤) الصفحة ٢٠٧، السطر ١٣.

(٥) الصفحة ٢٠٨، السطر ٣. والذي أثبتناه في المتن «فإن قال قائل ولم يحدث على الناس».

أقول: لما كان آخر الكلام مؤمهاً لأن هذه الأمور بعد حدوثها يصيرها الله تعالى إلى الحكمة والصلاح، سأل ثانياً: ما السبب في أصل حدوث حتى يحتاج إلى أن يجعله الله صلاحاً؟

ويحتمل أن يكون مراده: أننا علمنا أن وجودها صلاحاً، فهل في عدمها فساد؟ والجواب على التقديرين ظاهر.

[٤١٩] قال الفيروز آبادي: عَوَزَ^(١) الشَّيْءُ - كَفَرِحَ -: لم يُوجَدْ... وأَعَوَزَهُ الشَّيْءُ: احتاج إليه، والدَّهْرُ: أحوَجُهُ^(٢).

[٤٢٠] وقال [الفيروز آبادي]: تَنَاشَبُوا^(٣): تَضَامُوا وتَعَلَّقَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَنَشَبَ الأَمْرُ كَلِزِمَهُ زَنَةً ومعنى^(٤).

[٤٢١] وقال [الفيروز آبادي]: أَفْرَجُوا^(٥) عن الطَّرِيقِ والقَتِيلِ: انكشَفُوا، وعن المكان: تَرَكَوهُ، انتهى^(٦). والمراد هنا عدم التَّخْلِيَةِ بَيْنَ أَحَدٍ وَبَيْنَ مَا يُرِيدُهُ.

[٤٢٢] قوله عليه السلام: «ولا سلا عن شيء»^(٧) أي لا يَنْسَى وَيَتَسَلَّى عن شيء من المصائب؛ إذ بتذكُّر الموتِ تَزُولُ شِدَّةُ المِحَنِ، من قولهم: سلا عن الشيء، أي نسيه.

(١) الصفحة ٢٠٩، السطر ٢.

(٢) القاموس المحيط ٢: ١٨٤.

(٣) الصفحة ٢٠٩، السطر ٣.

(٤) القاموس المحيط ١: ١٣٢.

(٥) الصفحة ٢٠٩، السطر ٦.

(٦) القاموس المحيط ١: ٢٠٣.

(٧) الصفحة ٢٠٩، السطر ٦-٧.

[٤٢٣] قال الجوهري: بَرَّهَ يَبْرُهُ بَرًّا: سَلَبَهُ، وفي المثل: «مَنْ عَزَّ بَرًّا»^(١) أي مَنْ غَلَبَ أَخَذَ السَّلْبَ^(٢).

[٤٢٤] وقال [الجوهري]: سَامَهُ^(٣) خَسَفًا وَخُسْفًا - بالضم - أي أولاه دُولًا^(٤).

[٤٢٥] قال الفيروزآبادي: لَمَعَ^(٥) يَبِيدُهُ: أَشَارَ^(٦).

[٤٢٦] وقال [الفيروزآبادي]: تَفَاقَمَ^(٧) الْأَمْرُ: عَظُمَ^(٨).

[٤٢٧] قوله ﷺ: «وبخت نصر بالتيه»^(٩). أقول: لعلَّه إشارة إلى ما ذكره جماعة من المؤرخين أنَّ مَلَكًا من الملائكة لَطَمَ بُخْتَ نَصْرَ لَطْمَةً ومسَّخه وصار في الوحش في صورة أسد وهو مع ذلك يعقل ما يفعله الإنسان، ثم ردَّه الله تعالى إلى صورة الإنس وأعاد إليه مُلْكَهُ، فلمَّا عاد إلى مُلْكِهِ أراد قتل دانيال فقتله الله على يد واحدٍ من غِلْمَانِهِ، وقيل في سبب قتله: إنَّ الله أرسل عليه بَعُوضَةً فدخلت في منخره وصعدت إلى رأسه، فكان لا يقرُّ ولا يسكن حتَّى يَذُقَ رَأْسَهُ، فمات من ذلك.

(١) الصفحة ٢١٠، السطر ١١.

(٢) الصحاح ٣: ٨٦٥.

(٣) الصفحة ٢١٠، السطر ١٢.

(٤) الصحاح ٤: ١٣٥٠ مادة «خسف».

(٥) الصفحة ٢١١، السطر ٦.

(٦) القاموس المحيط ٣: ٨٢.

(٧) الصفحة ٢١٢، السطر ٣.

(٨) مقتضى العطف أنَّ النَصَّ المنقول هو للفيروزآبادي، لكنَّا لم نجده عنده، و وجدناه بنصّه

في الصحاح للجوهري ٥: ٢٠٠٣.

(٩) الصفحة ٢١٢، السطر ٤.

[٤٢٨] بلبيس^(١): غير معروف عند المؤرخين.

[٤٢٩] التَّطَاوُلُ^(٢) هنا مبالغة في الطول بمعنى الفضل والإحسان.

[٤٣٠] دُخِلَتْ^(٣) الرَّجُلُ - مثلثة -: نَيْتُهُ ومذهبه وجميع أمره ويطائنه.

[٤٣١] قوله عليه السلام: «والشاهد المحنة»^(٤) أي بالشاهد يمكن امتحان

الغائب.

[٤٣٢] جَاشَ^(٥) الْبَحْرُ وَالْقَدْرُ وغيرهما يَجِيشُ جَيْشًا: غلا.

[٤٣٣] قوله عليه السلام: «قال أصحاب الهندسة»^(٦). أقول: المشهور بين

متأخريهم أَنَّ جِزْمَ الشَّمْسِ مائة وستة وستون مثلاً ورُبْعٌ وثُمْنٌ لِجِزْمِ الأرض، وما ذكره عليه السلام لعله كان مذهب قدامتهم، مع أنه قريب من المشهور، والاختلاف بين قدامتهم ومتأخريهم في أمثال ذلك كثير.

[٤٣٤] قوله عليه السلام: «الحق الذي»^(٧) أي الأمور الحقة الثابتة التي تطلب

معرفتها من بين الأشياء. وفي بعض النسخ: «لحق» أي ما يحق وينبغي أن تطلب معرفته من أحوال الأشياء هو أربعة أوجه.

[٤٣٥] قال الجوهرى: قولهم: لَقِيتُهُ فِي الْفَرْطِ^(٨) بعد الْفَرْطِ، أي الحين

(١) الصفحة ٢١٢، السطر ٥.

(٢) الصفحة ٢١٢، السطر ١٤.

(٣) الصفحة ٢١٣، السطر ٣.

(٤) الصفحة ٢١٣، السطر ٤.

(٥) الصفحة ٢١٧، السطر ٨.

(٦) الصفحة ٢١٨، السطر ٩.

(٧) الصفحة ٢١٩، السطر ٧.

(٨) الصفحة ٢٢١، السطر ١١.

بعدَ الحين^(١).

[٤٣٦] الصَّدى^(٢) - بالفتح -: العَطَشُ.

ثمَّ اعلم أنَّ بعض تلك الفقرات تومئ إلى تجرّد النفس ، والله يعلم
وحججه صلوات الله عليهم أجمعين.

(١) الصحاح ٣: ١١٤٨ .

(٢) الصفحة ٢٢٤ ، السطر ٥ .

الفهرس الفلئف

- فهرس الآفات القرآنية
- فهرس الأحادف
- فهرس الأعلام
- فهرس المذاهب والطوائف
- فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة/الآية	الصفحة
﴿اسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾	طه: ١٣	٢٢٦
﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	الزخرف: ٨٦	٢٢٧
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ...﴾	النساء: ١٥٠ - ١٥٢	٢٣٢
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ ...﴾	آل عمران: ١٩٠	٢٢٦
﴿أَلَمْ تَر إِلَى رُبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ ...﴾	الفرقان: ٤٥	٢٣٠
﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ ...﴾	آل عمران: ١٨٢	٧٦
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا ...﴾	الزلزلة: ٧ - ٨	١٢١
﴿قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾	التوبة: ٣٠، المنافقون: ٤	٢٠٢، ١٥٨
﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ ...﴾	إبراهيم: ٧	٧٢
﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ...﴾	النجم: ٣١	١٢١
﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ...﴾	الأنفال: ٤٢	٢٠١
﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِآذَنِهِ وَسِرَاجًا مُبِيرًا﴾	الأحزاب: ٤٦	٢٠١
﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾	آل عمران: ٩٧	١٠٧
﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾	آل عمران: ٢٨ و ٣٠	٢٢٩
﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ﴾	البقرة: ٢٧	٢٣٢
﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا ...﴾	الدخان: ٤١ - ٤٢	١٢٢

فهرس الأحاديث

* احاديث رسول الله ﷺ :

<u>الصفحة</u>	<u>الحديث</u>
٢٣٢	إِنَّكَ كَأَشْفُفُ الْهَمِّ عَنِّي ، وَأَنْتَ مُفَرِّجُ كُرْبَتِي ...
٢٣٣ ، ٢٣١	أنا مدينةُ العلمِ و عليُّ بابُها ...
٢٣٢	أنا و عليُّ كهاتينِ ...

* احاديث الإمام الصادق عليه السلام :

<u>الصفحة</u>	<u>الحديث</u>
١٦٢	استدِلَّ بالقمر ففيه دلالة جليلة تستعملها العامة في معرفة الشهور ...
٩٦	اعتبر الآن يا مفضل بعظم النعمة على الإنسان في مطعمه ...
١٤٥	اعتبر بخلق البيضة وما فيها من المح الأصفر الخاثر والماء ...
١٩٣	اعتبر بخلق الرمانة وما ترى فيها من أثر العمد والتدبير ...
١٦٩	اعتبر بهذا الحرّ والبرد كيف يتعاوران العالم ، ويتصرّفان ...
١١٥	اعتبر لم لا يتشابه الناس واحد بالآخر ، كما تتشابه الوحوش ...
١١٣	اعتبر يا مفضل بأشياء خلقت لمآرب الإنسان وما فيها من التدبير ...

• احاديث الإمام الصادق عليه السلام :

الصفحة	الحديث
٧٥	اعتبر يا مفضل فيما يدبّر به الإنسان في هذه الأحوال المختلفة ...
٧٨	اعرف يا مفضل ما للأطفال في البكاء من المنفعة ...
٩٧	اعلم أنّ آلام البدن وأدواءه تخرج بخروج الشعر في مسامه ...
٢٢٧	اعلم أنّ الذات تجلّى عن الأسماء و الصفات ...
١٠٢	اعلم أنّ في الإنسان قوى أربعاً ...
٧٨	اعلم أنّ في أدمغة الأطفال رطوبة إن بقيت ...
٢١٤	اعلم يا مفضل أنّ اسم هذا العالم بلسان اليونانية الجاري ...
٢٢٧	اعلم يا مفضل أنّ الظهور تمام البطون ، و البطون تمام ...
١١٤	اعلم يا مفضل أنّ رأس معاش الإنسان وحياته : الخبز والماء ...
٢٢٩	اعلم يا مفضل أنّه ليس بين الأحدي والواحد إلا ...
٨٩	الأسنان لمضغ الطعام حتّى يلين وتسهل إساغته ، وهي ...
١٥٧	الحمد لله الذي اصطفانا ولم يصطف علينا ، اصطفانا بعلمه ...
١٧٥	إنّ الأرض - في طباعها الذي طبعها الله عليه - باردة يابسة ...
١٠٣	إنّ البدن بمنزلة دار الملك وله فيها ...
٢٠٧	إنّ الخالق تعالى ذكره بحكمته وقدرته قد يصرف ...
١٤٠	إنّ السحاب كالموكل به ، يختطفه حيثما ثقفه كما يختطف ...
١٨١	إنّ الصحو إذا دام جفّت الأرض ، واحترق النبات ...
١٠١	إنّ المعدة والكبد والفؤاد إنّما تفعل أفعالها بالحرارة الغريزية ...
٩٨	إنّ المنانيّة وأشباههم ، حين اجتهدوا في عيب الخلقة ...

* احاديث الإمام الصادق عليه السلام :

الصفحة	الحديث
١٧٢	انبثك عن الهواء بخلة أخرى ، فإن الصوت أثر يؤثره ...
١٧١	انبهك يا مفضل على الريح وما فيها ، ألسنت ترى ركودها ...
١٢٦	انظر الآن إلى ذوات الأربع كيف تراها تتبع أمانتها ...
١٣٣	انظر الآن كيف يجعل حياء الأنثى من الفيلة في أسفل بطنها ؟ ...
٨٣	انظر الآن يا مفضل إلى هذه الحواس التي خُص بها الإنسان ...
٧٩	انظر الآن يا مفضل كيف جعلت آلات الجماع في الذكر والأنثى ...
١٤٥	انظر إلى الدجاجة كيف تهيج لحضن البيض والتفريخ ، وليس لها ...
١٤٩	انظر إلى العصافير كيف تطلب أكلها بالنهار ، فلا هي تفقده ...
١٥٣	انظر إلى النحل واحتشاده في صناعة العسل ، وتهيته البيوت ...
١٤١	انظر إلى النمل واحتشاده في جمع القوت وإعداده ...
١٢٧	انظر إلى قوائم الحيوان كيف تأتي أزواجا لتتهيأ للمشي ...
١٥٤	انظر إلى هذا الجراد ما أضعفه وأقواه ! فإنك إذا ...
١٤٢	انظر إلى هذا الذي يقال له الليث وتسميه العامة «أسد الذباب» ...
١٣٦	انظر يا مفضل إلى لطف الله جل اسمه بالبهائم ، كيف كُسيّت ...
١٠٥	انظر يا مفضل إلى ما خُص به الإنسان دون جميع الحيوان ...
١٨٤	انظر يا مفضل إلى هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة ...
٨٢	انظر يا مفضل ما خُص به الإنسان في خلقه تشريفاً ...
٢٣٤	إنما يجعل الماء العذب في الحلق ليُسوغ ...
١٢٢	إنما هي أعمالكم ترد إليكم - رسول الله

✽ احاديث الإمام الصادق عليه السلام :

الصفحة	الحديث
٢٢٨	إِنَّ مَوْلَاكَ الْقَدِيمَ الْأَزَلَ - تَعَالَى ذِكْرُهُ - يَبْدَأُ مَشِيئَتَهَا ...
٩٤	أَصِفْ لَكَ الْآنَ يَا مَفْضَلُ الْفُؤَادَ .. اعْلَمْ أَنَّ فِيهِ ...
٨٨	أَطْلُ الْفِكْرَ يَا مَفْضَلُ فِي الصَّوْتِ وَالْكَلَامِ وَتَهْنِئَةِ آلَاتِهِ ...
٢١٤	أَعْجَبَ يَا مَفْضَلُ مَنْ قَوْمٌ لَا يَقْضُونَ عَلَى صِنَاعَةِ الطَّبِّ بِالْخَطَأِ ...
١٦٩	أَفَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ النَّهَارُ يَكُونُ مَقْدَارُهُ مِائَةَ سَاعَةٍ أَوْ مِائَتَيْ سَاعَةٍ ؟ ...
١٠٥	أَفَلَا تَرَى كَيْفَ جَعَلَ فِي الْإِنْسَانِ الْحِفْظَ وَالنِّسْيَانَ وَهُمَا مُخْتَلِفَانِ ...
١٧١	أَفَلَا تَرَى مَا فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ مِنْ عَظِيمِ الْغِنَاءِ وَالْمَنْفَعَةِ ...
٢٣٤	أَمَّا الْمَاءُ الْمُرُّ فِي الْأَذْنَيْنِ فَلَنَلَا تَهْجَمَ الْهُوَامُ ...
١٢٨	أَمَا تَرَى الْحِمَارَ كَيْفَ يَذَلُّ لِلطَّحْنِ وَالْحُمُولَةِ وَهُوَ يَرَى الْفَرَسَ مُودِعاً ...
١٨٠	أَنْتَبِهْكَ مِنْ مَنَافِعِ النَّارِ عَلَى خَلَّةٍ صَغِيرَةٍ عَظِيمِ مَوْقِعِهَا ...
٨٢	أَوَّلُ ذَلِكَ تَصْوِيرُ الْجَنِينِ فِي الرَّحِمِ حَيْثُ لَا تَرَاهُ عَيْنٌ ...
٨٩	بِالشَّفَتَيْنِ يَتَرَشَّفُ الشَّرَابُ ، حَتَّى يَكُونَ الَّذِي يَصِلُ ...
٨٩	بِاللِّسَانِ تَذَاقُ الطَّعُومُ فَيُمَيِّزُ بَيْنَهَا وَيَعْرِفُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا ...
١٠٩	تَأْمَلُ الْآنَ يَا مَفْضَلُ مَا سَتَرَ عَنِ الْإِنْسَانِ عِلْمَهُ مِنْ مَدَّةِ حَيَاتِهِ ...
١٨٩	تَأْمَلُ الْحِكْمَةَ فِي خَلْقِ الشَّجَرِ وَأَصْنَافِ النَّبَاتِ ، فَإِنَّهَا لَمَّا ...
١٥٤	تَأْمَلُ خَلْقَ السَّمَكِ وَمَشَاكِلَتَهُ لِلْأَمْرِ الَّذِي قُدِّرَ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ ...
١٩٥	تَأْمَلُ خَلْقَةَ الْجَذَعِ كَيْفَ هُوَ ؟ فَإِنَّكَ تَرَاهُ كَالْمَنْسُوجِ ...
١٣٥	تَأْمَلُ خَلْقَةَ الْقَرْدِ وَشَبْهَهُ بِالْإِنْسَانِ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَعْضَائِهِ ...
١٤٧	تَأْمَلُ رِيَشَ الطَّيْرِ كَيْفَ هُوَ ؟ فَإِنَّكَ تَرَاهُ مَنْسُوجاً كَنْسَجِ الثَّوْبِ ...

*** احاديث الإمام الصادق عليه السلام :**

<u>الصفحة</u>	<u>الحديث</u>
١٤٨	تأمل ضروب التدبير في خلق الطائر ، فإنك تجد كل طائر ...
١٣٢	تأمل مِسْفَر الفيل وما فيه من لطف التدبير ...
١٨٨	تأمل نبات هذه الحبوب من العدس والماش والبقلاء وما أشبه ذلك ...
١٨٢	تأمل نزوله على الأرض والتدبير في ذلك ، فإنه يجعل ينحدر عليها ...
٩٧	تأمل واعتبر بحسن التدبير في خلق الشعر والأظفار ، فإنهما ...
٩١	تأمل يا مفضل : الجفن على العين كيف جعل كالغشاء ...
١٤٣	تأمل يا مفضل جسم الطائر وخلقته ، فإنه حين قُدِّر أن يكون طائراً ...
١٩٠	تأمل يا مفضل خلق الورق ، فإنك ترى في الورقة شبه العروق ...
١٠٦	تأمل يا مفضل ما أنعم الله - تقدست أسماؤه - به على الإنسان من هذا النطق ...
١٠٤	تأمل يا مفضل هذه القوى التي في النفس ، وموقعها ...
١٧٦	ثم الماء لولا كثرتة وتدفعه في العيون والأودية والأنهار ، لضاق عمّا ...
٢٣٤	جعل الماء المالح في العينين إبقاءً على شحمة العين ...
١٥١	خلق الخفاش خلقه عجيبة بين خلقه الطير وذوات الأربع ...
٨٤	خلق السمع ليدرك الأصوات ، فلو كانت الأصوات ...
٢٢٨	خلق المبيئة للشيء - وهما الميم والشين ...
١٥٦	فإذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق ، وقصر علم المخلوقين ، فانظر ...
٨٩	فالحنجرة ليسلك فيها هذا النسيم إلى الرثة ...
١٩٠	فانظر إلى حكمة الخلقة كيف سبقت حكمة الصناعة ، فصارت ...
١٠٩	فانظر كيف أعطي الإنسان علم جميع ما يحتاج إليه لدينه ودنياه ...

*** احاديث الإمام الصادق عليه السلام :**

الصفحة	الحديث
١٧٩	فأما البهائم فلا تستعمل النار ، ولا تستمتع بها ...
٧٩	فأما ما يسيل من أفواه الأطفال من الريق ، ففي ذلك خروج ...
٨٦	فأما من عديم العقل فإنه يلحق بمنزلة البهائم ...
٨٤	فخلق البصر ليدرك الألوان ، فلو كانت الألوان ...
١٦٠	فكر الآن في تنقل الشمس في البروج الاثني عشر لإقامة دور ...
١٩٢	فكر الآن في هذا الذي تجده فوق النواة من الرطوبة ، وفوق العجم ...
١٣٣	فكر في خلق الزرافة ، واختلاف أعضائها ، وشبهها ...
١٩٢	فكر في ضروب من التدبير في الشجر ، فإنك تراه يموت ...
١٥٨	فكر في لون السماء وما فيه من صواب التدبير ، فإن هذا اللون ...
١٩١	فكر في هذا العجيم والنوى والعلّة فيه ، فإنه جعل ...
١٦٧	فكر في هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه ؛ تدور على العالم ...
١٩٦	فكر في هذه العقاقير وما خُصّ بها كلّ واحد منها ...
١٦٥	فكر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها ...
١٢٣	فكر يا مفضل - بعد هذا - في أجساد الأنعام ...
١١٢	فكر يا مفضل في الأحلام كيف دبر الأمر فيها فمزج صادقها بكاذبها ...
٨٧	فكر يا مفضل في الأعضاء التي خلقت أفراداً وأزواجاً ...
١٠١	فكر يا مفضل في الأفعال التي جعلت في الإنسان من الطعم ...
١٨٠	فكر يا مفضل في الصحو والمطر كيف يعتبان ...
١٣٩	فكر يا مفضل في الفطن التي جعلت في البهائم لمصلحتها ...

* احاديث الإمام الصادق عليه السلام :

الصفحة	الحديث
١٦٣	فَكَرَّ يا مَفْضَلُ في النجوم واختلاف مسيرها ، فبعضها لا تفارق ...
١٩٥	فَكَرَّ يا مَفْضَلُ في النخل ، فَإِنَّهُ لَمَّا صار فيه إناث تحتاج ...
١٢٢	فَكَرَّ يا مَفْضَلُ في أبنية أبدان الحيوان ، وتهيتها ...
٨٠	فَكَرَّ يا مَفْضَلُ في أعضاء البدن أجمع ، وتدير كل عضو منها ...
١٩٤	فَكَرَّ يا مَفْضَلُ في حمل البقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة ...
١٤٦	فَكَرَّ يا مَفْضَلُ في حوصلة الطائر ، وما قَدَّرَ له ، فَإِنَّ ...
١٣٨	فَكَرَّ يا مَفْضَلُ في خلقة عجيبة جعلت في البهائم ، فَإِنَّهُمْ ...
١٥٨	فَكَرَّ يا مَفْضَلُ في طلوع الشمس وغروبها ، لإقامة دولتي النهار ...
١٠٨	فَكَرَّ يا مَفْضَلُ فيما أعطي الإنسان علمه وما مَنَعَ ...
١٧٣	فَكَرَّ يا مَفْضَلُ فيما خلق الله عزَّ وجلَّ عليه هذه الجواهر الأربعة ...
١٦٨	فَكَرَّ يا مَفْضَلُ في مقادير النهار والليل ، كيف وقعت على ما فيه ...
٨٥	فَكَرَّ يا مَفْضَلُ فيمن عَدِمَ البصرَ من الناس ، وما يناله من الخلل ...
٨١	فَكَرَّ يا مَفْضَلُ في وصول الغذاء إلى البدن ، وما فيه من التدبير ...
١٨٧	فَكَرَّ يا مَفْضَلُ في هذا الريح الذي جُعِلَ في الزرع ، فصارت ...
١٨٧	فَكَرَّ يا مَفْضَلُ في هذا النبات وما فيه من ضرور المآرب ...
١١٢	فَكَرَّ يا مَفْضَلُ في هذه الأشياء التي تراها موجودة مُعَدَّة في العالم ...
١٢٥	فَكَرَّ يا مَفْضَلُ في هذه الأصناف الثلاثة من الحيوان وفي خلقها ...
٩٦	فَكَرَّ يا مَفْضَلُ في هذه الطواحي التي جعلت للإنسان ...
١٨٥	فَكَرَّ يا مَفْضَلُ في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة ...

• احاديث الإمام الصادق عليه السلام :

الصفحة	الحديث
٩٢	فَكَرَّ يَا مَعْزَلُ لِمَ صَارَ الْمَخُّ الرِّقِيقَ مُحَصَّنًا فِي أَنْيَابِ الْعِظَامِ ؟ ...
٢٢٩	فَمَوْلَاكَ يَا مَعْزَلُ اخْتَرَعَ الْأَسْمَ الْأَعْظَمَ وَالْمُسَيَّنَةَ الَّتِي ...
٢٢٧	كَانَ قَبْلَ الْقَبْلِ ، وَقَبْلَ أَنْ يُحْيِيَ الْحَيُّ ...
١١٨	لِمَ صَارَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ إِذَا أَدْرَكَا تَنَبَّتَ لِهَمَا الْعَانَةُ ...
١١٧	لَمَ صَارَتْ أَجْسَامُ الْإِنْسِ خَاصَّةً تَنْفُلُ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالْمَشْيِ ...
٧٦	لَوْ كَانَ الْمَوْلُودُ يُولَدُ فَهَيَّأَ عَاقِلًا ، لَأَنْكَرَ الْعَالَمُ عِنْدَ وَلَادَتِهِ ...
١٧١	لَوْلَا الْبَرْدُ لَمَا كَانَ الزَّرْعُ يَفْرُخُ هَكَذَا ، وَيَرِيحُ الرِّيحُ ...
١٧١	لَوْلَا الْحَرُّ لَمَا كَانَتْ الثَّمَارُ الْجَاسِيَةِ الْمَرْةَ تَنْضِجُ فَتَلِينُ ...
١١٨	لَوْ لَمْ يُولَدْ مِنَ الْحَيَّوَانِ إِلَّا ذُكُورٌ فَقَطْ أَوْ إُنَاثٌ فَقَطْ ، أَلَمْ يَكُنِ النَّسْلُ ...
١٧٦	مَنْ تَدْبِيرُ الْحَكِيمِ جَلَّ وَعَلَا فِي خَلْقَةِ الْأَرْضِ أَنَّ مَهَبَ الشَّمَالِ ...
٧٣	نَبْتَدِئُ يَا مَعْزَلُ بِذِكْرِ الْإِنْسَانِ فَاعْتَبِرْ بِهِ ...
١٢٢	يَا مَعْزَلُ ، الْخَلْقُ حَيَارَى عَمْهُونَ ، سَكَارَى ...
٧٠	يَا مَعْزَلُ ، إِنَّ الشُّكَّكَ جَهْلُوا الْأَسْبَابَ وَالْمَعَانِي فِي الْخَلْقَةِ ...
٢٣٣	يَا مَعْزَلُ ، إِنَّ الْقَدِيمَ هُوَ هُوَ بِلَا كَيْفِيَّةٍ ...
٦٩	يَا مَعْزَلُ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ وَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ ، وَهُوَ بَاقٍ ...
٢٢٧	يَا مَعْزَلُ ، إِنَّ ظُهُورَ الْأَزَلِ بَيْنَ خَلْقِهِ عَجِيبٌ ...
٧٢	يَا مَعْزَلُ ، أَوَّلُ الْعَبْرِ وَالْأَدَلَّةِ عَلَى الْبَارِي جَلَّ قُدْسُهُ ، تَهَيَّئْ هَذَا الْعَالَمَ ...
١٣٠	يَا مَعْزَلُ ، تَأَمَّلْ وَجْهَ الدَّابَّةِ كَيْفَ هُوَ ؟ فَإِنَّكَ تَرَى الْعَيْنَيْنِ ...
١٤١	يَا مَعْزَلُ ، تَأَمَّلْ وَجْهَ الذَّرَّةِ الْحَقِيرَةِ الصَّغِيرَةِ هَلْ تَجِدُ فِيهَا ...

* احاديث الإمام الصادق عليه السلام :

الصفحة	الحديث
٢٢٦	يا مفضلُ، علمنا صعبٌ مُستصعبٌ، و سِرُّنا وَ غَرْبُنا بعيدٌ ...
٦٨	يا مفضلُ، لألقينَ إِيَّاكَ من حكمةِ الباري .. في خلقِ العالم ...
٢٢٨	يا مُفضَّلُ، لقد سَأَلْتَ عَنِ الْمَشِيئَةِ كَيْفَ أَبْدَاهَا مُشِيئُهَا ...
٢٣٢	يا مُفضَّلُ، ليسَ مقدارُ أَخَذٍ من أَهْلِ العِلْمِ أَنْ يَفْصَلَ بَيْنَ الاسْمِ ...
٩١	يا مُفضَّلُ من غَيَّبَ الفؤادَ في جوفِ الصدرِ، وكساهِ المدرعة ...
٢٣١	يا مُفضَّلُ، نُورٌ مُنِيرٌ، وَقُدْرَةٌ قَدِيرٌ، وَظُهُورٌ ...
١٤٧	يا مُفضَّلُ، هذا الوشي -الذي تراه في الطواويس والدراج ...
٢٣٠	يَجِبُ أَنْ يَعْلَمَ يا مُفضَّلُ أَنَّ الصُّورَةَ الْأَنْزَعِيَّةَ -التي قالت ...

فهرس الأعلام

* تقدم أسماء المعصومين عليهم السلام

رسول الله صلى الله عليه وآله: ٦٥، ٦٦، ١٢٢.

علي بن أبي طالب عليه السلام: ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣.

الإمام الباقر عليه السلام: ٢٢٧.

الإمام الصادق عليه السلام: ٦٧، ١١٩، ٢٢٥، ٢٣٤.

□

ابن أبي العوجاء: ٦٥، ٦٦.

الدهریون: ٦٨.

المفضل بن عمر الجعفي: ٦٥، ٦٧، ٦٨، ٦٩.

٨٢، ٢٢٥.

أبو عبد الله الحسيني بن أحمد الصّيني: ٢٢٥.

أرسطاطاليس: ٢٢١.

بخت نصر: ٢١٢.

بليس: ٢١٢.

جابر: ٢٢٧.

جعفر بن مالك الفزاري الكوفي: ٢٢٥.

صفوان بن يحيى الكوفي: ٢٢٥.

عبد الله بن يونس الموصلی: ٢٢٥.

فرعون: ٢١٢.

ماني: ٢١٤.

محمد بن سنان الزاهري: ٦٥، ٢٢٥.

محمد بن صدقة العبدي: ٢٢٥.

محمد بن علي الحلبي (أبو الحسن): ٢٢٥.

مفضل: ٧٠، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١.

٨٣، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٦، ٩٧.

١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩، ١١٢، ١١٣.

١١٤، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٠.

١٣٢، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣.

١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٣.

١٦٨، ١٧١، ١٧٣، ١٨٠، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧.

١٩٠، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١٤.

٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩.

٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤.

فهرس المذاهب والطوائف

المعطلة: ١٤٧، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٥.

المنانية: ٧١، ٩٨، ٢٠٢، ٢٠٣.

فهرست المطالب

- المقدمة ٧
- كِتَابُ فَكْرُ الْمَعْرُوفِ بِتَوْحِيدِ الْمُفَضَّل ٦٣
- [كلام ابن أبي العوجاء مع صاحبه] ٦٥
- [محاورة المفضل مع ابن أبي العوجاء] ٦٧
- [سبب إملاء الكتاب على المفضل] ٦٨
- المجلس الأول ٦٩
- [جهل الشكّك بأسباب الخلقة ومعانيها] ٧٠
- [تهيئة العالم وتأليف أجزائه] ٧٢
- [خلق الإنسان وتدبير الجنين في الرحم] ٧٣
- [كيفية ولادة الجنين وغذائه وطلوع أسنانه وبلوغه] ٧٤
- [حال من لا ينبت في وجهه الشعر وعلة ذلك] ٧٥
- [حال المولود لو ولد فهماً عاقلاً وتعليل ذلك] ٧٦
- [منفعة الأطفال في البكاء] ٧٨
- [آلات الجماع وهيئتها] ٧٩

- ٨٠.....[أعضاء البدن وفوائد كل منها]
- ٨٠.....[زعم الطبيعيين وجوابه]
- ٨١.....[عملية الهضم وتكون الدم وجريانه في الشرايين والأوردة]
- ٨٢.....[أول نشوء الأبدان : تصوير الجنين في الرحم]
- ٨٢.....[اختصاص الإنسان بالانتصاب والجلوس دون البهائم]
- ٨٣.....[تخصيص الإنسان بالحواس وتشريفه بها دون غيره]
- ٨٣.....[الحواس الخمس وأعمالها وما في ذلك من الأسرار]
- ٨٤.....[تقدير الحواس بعضها يلقي بعضاً]
- ٨٥.....[فيمع عدم البصر والسمع والعقل وما في ذلك من الموعظة]
- ٨٧.....[الأعضاء المخلوقة أفراداً وأزواجاً وكيفية ذلك]
- ٨٨.....[الصوت والكلام وتهئية آلاته في الإنسان وعمل كل منها]
- ٨٩.....[ما في الأعضاء من المآرب الأخرى]
- ٩٠.....[الدماغ وأغشيته والجمجمة وفائدتها]
- ٩١.....[الجفن وأشفاره]
- ٩١.....[الفؤاد ومدرعته]
- ٩١.....[الخلق والمريء]
- ٩٢.....[الرئة وعملها ... أشراج منافذ البول والغائط]
- ٩٢.....[المعدة عصبانية والكبد]
- ٩٢.....[المنخ والدم والأظفار والأذن ولحم الإليتين والفخذين]
- ٩٣.....[الإنسان ذكر وأنثى وتناسله وآلات العمل وحاجته وحيلته وإلزامه بالحجة]

- ٩٤.....[الفؤاد وثقبه المتصلة بالرئة]
- ٩٥.....[فرج الرجل والحكمة فيه]
- ٩٦.....[منفذ الغائط ووصفه]
- ٩٦.....[الطواحن من أسنان الإنسان]
- ٩٧.....[الشعر والأظفار وفائدة قصّهما]
- ٩٨.....[شعر الركب والإبطين]
- ٩٩.....[الريق وما فيه من المنفعة]
- ١٠٠.....[محاذير كون بطن الإنسان كهيئة القباء]
- ١٠١.....[أفعال الإنسان في الطعم والنوم والجماع وشرح ذلك]
- ١٠٤.....[قوى النفس وموقعها من الإنسان]
- ١٠٥.....[النعمة على الإنسان في الحفظ والنسيان]
- ١٠٥.....[اختصاص الإنسان بالحياء دون بقيّة الحيوانات]
- ١٠٦.....[اختصاص الإنسان بالمنطق والكتابة]
- ١٠٨.....[إعطاء الإنسان ما يصلح دينه ودنياه ومنعه ممّا سوى ذلك]
- ١٠٩.....[ما ستر عن الإنسان علمه من مدّة حياته]
- ١١٢.....[الأحلام وامتزاج صادقها بكاذبها وسرّ ذلك]
- ١١٢.....[الأشياء المخلوقة لمآرب الإنسان وإيضاح ذلك]
- ١١٤.....[الخبز والماء رأس معاش الإنسان وحياته]
- ١١٥.....[اختلاف صور الناس وتشابه الوحوش والطيور وغيرها والحكمة في ذلك]
- ١١٦.....[نموّ أبدان الحيوان وتوقّفها وسبب ذلك]

[ما يعترى أجسام الإنس من ثقل الحركة والمشى لو لم يصبها ألم] ١١٧

[انقراض الحيوان لو لم يلد ذكوراً وإناثاً] ١١٨

[ظهور شعر العانة عند البلوغ ونبات اللحية للرجل دون المرأة وما في ذلك

من التدبير] ١١٨

✽ المجلس الثاني ١٢١

[أبنية أبدان الحيوان وتهيتها وإيضاح ذلك] ١٢٢

[أجساد الأنعام وما أعطيت وما مُنعت وسبب ذلك] ١٢٣

[خلق الأصناف الثلاثة من الحيوان] ١٢٥

[آكلات اللحم من الحيوان والتدبير في خلقها] ١٢٥

[ذوات الأربع واستقلال أولادها] ١٢٦

[قوائم الحيوان وكيفية حركتها] ١٢٧

[انقياد الحيوانات المسخرة للإنسان وسببه] ١٢٨

[افتقاد السباع للعقل والروية وفائدة ذلك] ١٢٩

[عطف الكلب على الإنسان ومحاماته عنه] ١٢٩

[وجه الدابة وفمها وذنبها وشرح ذلك] ١٣٠

[الفيل ومشفره] ١٣٢

[حياء الأنثى من الفيلة] ١٣٣

[الزرافة وخلقها وكونها ليست من لقاح أصناف شتى] ١٣٣

[القرد وخلقته والفرق بينه وبين الإنسان] ١٣٥

[إكساء أجسام الحيوانات وخلق أقدامها بعكس الإنسان وأسباب ذلك] ١٣٦

- ١٣٨..... [مؤارة البهائم عند إحساسها بالموت]
- ١٣٩..... [الفطن التي جعلت في البهائم : الأيل والتعلب والدلفين]
- ١٤٠..... [التّنين والسحاب]
- ١٤١..... [في الذرّة والنمل وأسد الذباب والعنكبوت وطبائع كلّ منها]
- ١٤٣..... [جسم الطائر وخلقه]
- ١٤٥..... [الدجاجة وتهيجها لحض البيض والتفريخ]
- ١٤٥..... [خلق البيضة والتدبير في ذلك]
- ١٤٦..... [حوصلة الطائر]
- ١٤٧..... [اختلاف ألوان الطير وعلة ذلك]
- ١٤٧..... [ريش الطائر ووصفه]
- ١٤٨..... [الطائر الطويل الساقين والتدبير في ذلك]
- ١٤٩..... [المصافير وطلبها للأكل]
- ١٥٠..... [معاش البوم والهام والخفّاش]
- ١٥١..... [خلقة الخفّاش]
- ١٥٢..... [حيله الطائر ابن تمره بالحسكة ومنفعتها]
- ١٥٣..... [النحل : عسله وبيوته]
- ١٥٤..... [الجراد وبلاؤه]
- ١٥٤..... [كثرة الجراد]
- ١٥٤..... [وصف السمك]
- ١٥٥..... [كثرة نسل السمك وعلة ذلك]

- [سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين] ١٥٦
- * المجلس الثالث ١٥٧
- [لون السماء وما فيه من صواب التدبير] ١٥٨
- [طلوع الشمس وغروبها والمنافع في ذلك] ١٥٨
- [التدبير والمصلحة في الفصول الأربعة من السنة] ١٦٠
- [معرفة الأزمنة والفصول الأربعة عن طريق حركة الشمس] ١٦٠
- [الاستدلال بالقمر في معرفة الشهور] ١٦٢
- [ضوء القمر وما فيه من المنافع] ١٦٢
- [النجوم واختلاف مسيرها والسبب في أن بعضها راتبة والأخرى متنقلة] ١٦٣
- [فوائد بعض النجوم] ١٦٥
- [الشمس والقمر والنجوم والبروج تدلّ على الخالق] ١٦٧
- [مقادير الليل والنهار] ١٦٨
- [الحَرّ والبرد وفوائدهما] ١٦٩
- [الريح وما فيها] ١٧١
- [الهواء والأصوات] ١٧٢
- [هيئة الأرض] ١٧٣
- [فوائد الماء والسبب في كثرته] ١٧٦
- [فوائد الهواء والسبب في كثرته] ١٧٨
- [منافع النار وجعلها كالممزونة في الأجسام] ١٧٩
- [الصحو والمطر وتعاقبهما على العالم وفوائد ذلك] ١٨٠

[مصالح نزول المطر على الأرض وأثر التدبير فيه] ١٨٢

[منافع الجبال] ١٨٤

[أنواع المعادن واستفادة الإنسان منها] ١٨٥

[النبات وما فيه من ضروب المآرب] ١٨٧

[الريع في النبات وسببه] ١٨٧

[بعض النباتات وكيف تصان] ١٨٨

[الحكمة في خلق الشجر وأصناف النبات] ١٨٩

[خلق الورق ووصفه] ١٩٠

[العَجَمُ والنَّوى والعلّة في خلقه] ١٩١

[موت الشجر وتجدد حياته وما في ذلك من ضروب التدبير] ١٩٢

[خلق الرّمّانة وأثر العمد فيه] ١٩٣

[حمل اليقطين وما فيه من التدبير والحكمة] ١٩٤

[موافاة أصناف النبات في الوقت المشاكل لها] ١٩٥

[في النخل وخلقة الجذع والخشب وفوائد ذلك] ١٩٥

[العقاقير واختصاص كلّ منها] ١٩٦

✽ المجلس الرابع ٢٠١

[الموت والفناء وانتقاد الجهال وجواب ذلك] ٢٠٢

[الآفات ونظر الجهال إليها والجواب على ذلك] ٢٠٢

[لماذا تصيب الآفات جميع الناس وما الحجّة في ذلك؟] ٢٠٦

[الموت والفناء وانتقاد الجهال وجواب ذلك] ٢٠٨

[الظعن على التدبير من جهة أخرى والجواب عليه] ٢١٠

[اسم هذا العالم بلسان اليونانية] ٢١٤

[عمى ماني عن دلائل الحكمة وأدعاؤه علم الأسرار] ٢١٤

[انتقاد المعطلة فيما راموا أن يدركوا بالحس ما لا يدرك بالعقل] ٢١٥

[معرفة العقل للخالق معرفة إقرار لا معرفة إحاطة] ٢١٥

[الشمس واختلاف الفلاسفة في وضعها وشكلها ومقدارها] ٢١٧

[الحق الذي تطلب معرفته من الأشياء أربعة أوجه وتفصيل ذلك] ٢١٩

[أصحاب الطبائع ومناقشة أقوالهم] ٢٢٠

* المجلس الخامس ٢٢٥

[المستدرك] ٢٣٤

* شروح وتعليقات العلامة المجلسي رحمته الله ٢٣٥

* الفهارس الفنية ٢٩٩